علي القيّم

المرأة

في حضارات بلاد الشام القديمة



Bibliotheca Alexandrina
0125703

الطبعة الثانية

الأهالي


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين
http://al-maktabeh.com



المرأة في حضارات بلاد الشام القديمة

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الطبعة الثانية - ١٩٩٧

صور الغلاف للفنان مروان مسلماني.

http://al-maktabeh.com

المرأة

في حضارات بلاد الشام القديمة

(دراسة في ضوء المكتشفات الأثرية الحديثة)



علي القيّم

إلى أمامة . . والدتي التي تجسد المرأة العربية الأصيلة .

إلى سهام . . زوجتي التي اختارت لنفسها أن ترافقني رحلة المسافات الطويلة .

علي

http://al-maktabeh.com

المقدمة

حكاية المرأة في بلاد الشام، حكاية التاريخ، ليس في سطوره فقط، بل في عنوانه أيضاً، فهي قائدة الموكب البشري الذي يمضي نحو مستقبله . . .

وتاريخ الحضارة في بلاد الشام، تاريخ مديد لاتنضب مصادره، والمكتشفات الأثرية أكدت وجود حضارة الانسان في هذه البلاد منذ أكثر من مليون سنة ، وكان الانسان خلال هذه المسيرة الطويلة ، فاعلاً وصانعاً ، وحامل مشعل التطور نحو آفاق بعيدة مشرقة ، خالدة . . . وكان للمرأة دورها الكبير جداً في حمل مشعل هذه الحضارة العظيمة الخالدة . . .

في دراستي عن المرأة ودورها في بلاد الشام من خلال المكتشفات الأثرية ، كان لابد من تتبع مجمل عناصر الحضارة، منذ جذورها الأولى ، وحتى العصور اللاحقة ، وذلك من خلال مختلف الفنون والآثار والمخلفات الانتروبولوجية ، والمعمارية والتصويرية والنحتية والكتابات القديمة المختلفة ـ وذلك للوصول إلى معرفة مكانة المرأة السامية التي كانت تحتلها في مختلف العصور والعهود والأزمنة .

لقد كانت مهمة البحث عن المرأة مهمة مضنية وشاقة ، لأن المكتشفات الأثرية لم تشر إليها علانية ، ولابفواصل معروفة ، لذلك فقد ترتب عليّ الرجوع إلى كل ماله علاقة بها عساني أصل إلى ماأصبو إليه من هدف وغاية ، وفي كل ذلك كنت أجد أن المرأة في بلاد الشام كانت بوابة التاريخ ، وعالم يكاد يكون متكاملاً ، إن نحن فتحنا بوابته . . . دائرة تعب غيرنا في البحث عنها على الرغم أنها قريبة منّا ، كأقرب مايكون القرب . .

إنها رحلة بحث الرجل عن المرأة، ورحلة بحث المرأة عن الرجل . . .

تقع هذه الدراسة في سبعة فصول:

- يتناول الفصل الأول دور المرأة في بلاد الشام في المجتمع الأمومي، في عصور ماقبل التاريخ، على ضوء الأدلة المادية، والمكتشفات الأثرية الكثيرة التي وفرتها لنا مواقع بلاد الشام، وقد حاولت من خلال ذلك كله، أن أثبت أهمية المرأة في هذه العصور الطويلة . . . الموغلة في القدم، فالمرأة هي التي بنت الكوخ الأول، وسهرت على النار الأولى، وهي تربي الأطفال وقت غياب القبيلة في الصيد في فجر البشرية الأولى . . . وقد اكتشفت البذور وهي تبحث عن الطعام، وعجنت الفخار وشوته، ورسمت أول الرسوم الفنية عليه واكتشفت ماتهبه النار من نكهة في الطعام، وقد بحثت في الحشائش والنباتات البرية عن الدواء . . . وغزلت وحاكت، ولاتزال - حتى اليوم - تسهر على نار البيت وتزرع وتزخرف وتحوك وتداوي، ولو مشينا معها في رحلة العمل من الصباح إلى المساء، لكانت الرحلة في التاريخ . . .

- الفصل الثاني، يتطرق إلى الدور الانتقالي للمرأة منذ مطلع الألف الخامس قبل الميلاد وحتى منتصف الألف الرابع قبل الميلاد، حيث حصلت في هذا العصر ابتكارات حضارية هامة وسريعة للمرأة وكان للمرأة الدور الأكبر فيها . . . وكانت المدن الأولى «ثمرة زواج» مجتمع المرأة الرعوي، ومجتمع المرأة المدني.

- الفصل الثالث: يتطرق باختصار إلى دور المرأة في سومر وآكاد وبابل، لأنني رأيت من خلال البحث والدراسة أنه من الصعب فصل جذور الحضارة في بلاد الشام عن بلاد مابين النهرين، فالجذور واحدة، والأصول واحدة، والحضارة واحدة . . لذلك كان لابد من دراسة أوضاع المرأة الرافدية ولو باختصار، لفهم أوضاع المرأة الشامية، في العصور القديمة.

- الفصل الرابع: خصص للبحث في أوضاع المرأة في مملكة إيبلا، تل مرديخ، في الألفين الثالث والثاني قبل الميلاد، وكان لعشتار الدور الأول

بتعـريف علماء الآثـار بهويـة هذا المـوقـع الأثـري الهام الذي غير الكثير من المفاهيم والمعلومات عن حضارة بلاد الشام في فجر السلالات السورية .

ـ أمـا المـرأة في ماري فقد احتلت الفصل الخامس من الدراسة حيث كانت المـرأة تحتـل مركـز الصـدارة في الحيـاة السياسية والاقتصادية والدينية والاجتـماعيـة والفنيـة . . فقـدمت لمحـات عن المـرأة الملكـة والـربـة الأم، والمـرأة العـاملة، والمـرأة الفنـانة والمرأة المدبرة الصبورة المجاهدة . . إنها في الاجمال صورة شاملة عن حياتها وطقوسها وعاداتها وتقاليدها وزينتها وأزيائها . . .

ـ الفصـل السـادس، يتطرق إلى أوضاع المرأة في مملكة اوغاريت ـ رأس الـشمـرة ـ حيث المـرأة في المـلاحم والأسـاطـير، والمـرأة خارج الأسطورة . . . فقد احتلت المرأة في مجتمع اوغاريت مكانة عالية تسمو إلى حد التقـديس كيف لا ونسـاء اوغـاريت، جميـلات وعالمات، يعرفن كيف يحيين من سيموت؟! .

ـ الفصل السابع : خصص للتحدث عن بعض الشخصيات النسائية اللواتي كان لهن دوراً كبيـراً في حضـارة بلاد الشام القديمة، حيث يذكرهن التاريخ بكثير من التمجيد والعظمة والرفعة، لدرجة أن بعضهم دخل حيز الأسطورة ومن أشهر هذه الشخصيات النسائية :

الملكـة سمـير اميس (سمـورامت) والملكـة الأرامية نقيـة (زاكـوتـو)، والامـبراطـوره العربية الحمصية (جوليا دومنا) واختها(جوليا ميزا) وابنتيها (جـوليـا سوميا) و (جوليا مامه) حيث امتزج تاريخ هؤلاء النسوة العربيات بتـاريـخ رومـا، وغـدت كل واحدة منهن امبراطورة وحكمن جميعهن على التـوالي رومـا والعـالم . . . وهنـاك أيضاً زنوبيا امبراطورة تدمر، تلك المرأة الفـذة التي كادت بسيـاستهـا وحنكتهـا أن تصبـح ملكـة العالم، ومن سحر زنوبيا أو زينب أن كل امرأة متميزة في هذا العالم كانت في وقت من الأوقات ترى في نفسها بعض زينب وتحلم بأن تصبح زينب بشيء ما .

لقـد حاولت في هذه الـدراسـة أن أقدم ملامح عامة عن دور المرأة في حضـارات بلاد الشـام القديمة، في ضوء المكتشفات الأثرية الحديثة وقد

بذلت قصارى جهدي في سبيل اعطاء صورة عن هذه الملامح ـ وإن تكن أحياناً غير متكاملة ـ فقد حال دون ذلك قلة المصادر والوثائق والمكتشفات الأثرية وكل ماأرجوه أن أكون قد استطعت أن أقدم بعض ماكنت أصبو إليه.

المؤلف

http://al-maktabeh.com

الفصل الأول

الربة الأم
والمجتمع الأمومي

إن دراسة ماقبل التاريخ، تهدف إلى فهم التاريخ الانساني من خلال الآثار المادية التي سبقت معرفة الكتابة، ولعله من الأدق أن نسمي عصور ماقبل التاريخ بعصور ماقبل الكتابة، بمعنى تدوين الوقائع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تخص حياة المجتمعات التي لم تترك لنا وثائق كتابية.

إن المصدر الأساسي لمعلوماتنا عن هذه العصور، هو المعطيات المادية المباشرة سواء كانت أثرية أو جيولوجية أو انتربولوجية أومستحاثات حيوانية أو نباتية، وعليه يمكن أن يوصف علم الآثار على أنه نظام تاريخي هدفه الأساسي اعادة بناء تاريخ الانسان وحضارته منذ أقدم العصور حتى العصر الحديث.. وللمساهمة في اعادة البناء هذه يلجأ عالم الآثار، إلى كل الحقائق المتاحة من تلك العلوم، حتى تتوفر له كل المعطيات الوثيقة الصلة بموضوع بحثه.

إن أقدم الآثار (الأدوات الصوانية) التي تنسب للانسان تؤرخ بحوالي / ٢,٢٠٠,٠٠٠ / سنة، وقد جاءتنا من جنوب افريقيا، وأول الوثائق الكتابية تعود إلى منتصف الألف الرابع قبل الميلاد، وقد جاءت من بلاد مابين النهرين، ومن هنا نرى أن هذه العصور التاريخية القديمة، تشكل مايزيد عن ٩٩٪ من تاريخ البشرية. لذلك لاغرابة أن نرى اليوم ذلك التركيز الشديد، في كل مكان على دراسة ماقبل التاريخ الانساني وفي قطرنا العربي السوري، لدينا أسباب

إضافية وأساسية عديدة، تدفعنا لايلاء تلك العصور، العناية المناسبة. فقد أثبتت الاكتشافات الأثرية الأخيرة، أنه كانت لمنطقتنا العربية عموماً، ولسورية خصوصاً، مكانة متميزة ألقت، وتلقي أضواء هامة على عصور ماقبل التاريخ في العالم كله[1].

لقد أثبتت المكتشفات والأبحاث الأثرية العديدة، أن الظهور الأول للانسان العاقل كان في بلاد الشام، وقد جاء هذا الانسان نتيجة تطور فيزيولوجي وحضاري بطيء، ومحلي أصيل، وفي وقت أبكر من أوربا، بحوالي خمسة آلاف عام، فمن مواقع الباليوليت الأعلى (٣٥ إلى ١٢) ألف سنة في فلسطين كمغارة الواد والكبارا والأميرة... وغيرها أتتنا المعلومات الأولى عن هذا العصر، ثم تتابعت الاكتشافات في سورية ولبنان والأردن، وكانت الأدوات الحجرية، المعيار الوحيد الذي يعكس تطور ثقافات الانسان العاقل في بلاد الشام، وهي تدل على أن الصناعة الحجرية، قد تطورت عبر مراحل مختلفة.[2] وقد جسد هذا الانسان مشاعره ومعتقداته عبر كل الأنواع الفنية المعروفة لدينا الآن كالنحت والرسم والحفر، ويعتبر الفن من أكبر انجازات هذا الانسان.

كانت فنون الانسان العاقل، إما على شكل قطع منقولة كالتماثيل والدمى، والأسلحة وأدوات الزينة، (الفن التطبيقي). أو آثاراً ثابتة، كالنحت والرسم على جدران المغائر والملاجىء (الفن الجداري) وقد صنع الانسان العاقل تماثيل للمرأة العارية، «الربة الأم» فاعتبرت الدليل الأول على عقيدة الخصب التي استمرت عصوراً طويلة فيما بعد، واخرى لحيوانات شدت اهتمامه، كالثور والغزال والماعز الجبلي. كما حفر على القبضات العظمية لأسلحته صوراً حيوانية وإنسانية مختلفة. وترك لنا في مواقعه العديدة مجموعات من الخرز وأدوات الزينة الأولى، علاوة على هذه الفنون «المتحركة» أبدع الانسان العاقل فنوناً ثابتة بينها مشاهد حيوانية وانسانية ترافقها العديد من الرموز والاشارات نحتها أو رسمها على جدران كهوفه وملاجئه، كما نفذت أشكال بشرية غريبة وإشارات غامضة ترمز للجنس أو النار. وقد خضعت فنون هذا العصر لدراسات وتفسيرات مختلفة فيرى البعض أنها مورست لمجرد الفن، ويرى آخرون أنها تحوي مضموناً سحرياً، من أجل تسهيل عمليات الصيد، بينما حملها البعض الأخر، معاني جنسية تدور حول الخصب.

١ ـ د. سلطان محيسن، عصور ماقبل التاريخ، دمشق ١٩٨٦ ـ ص/ ١٩ /.

٢ ـ نفس المصدر، ص/ ١٧١ /.

http://almaktabeh.com

وفي دراسة علمية متكاملة، يرى العالم «لوروا غوران» أن فنون الانسان العاقل في الباليوليت الأعلى تبرهن على وجود نظام ميثولوجي - اجتماعي متطور تحكمه عقائد معينة آمنت بها تلك المجتمعات، وهي تعكس فكراً شاملاً ومترسخاً في ذهن حامليه يحدد موقفهم من قضايا الموت والحياة والجنس. ويعتقد هذا العالم أن الأنوثة والذكورة كانتا من جوهر معتقدات ذلك الانسان وفنونه، لأنه رأى فيهما نفسه واستمرار جنسه، أي رأى فيهما عالمه الذي ربطه بعالمه الخارجي أي بيئته، فصور هذه البيئة وحيواناتها معتبراً الثور، رمز الذكورة، بينما الفرس الأنوثة، لأنه كثيراً ماترافق هذان الحيوانان في العديد من الأعمال. ومهما يكن فإن الفن في هذا العصر يعكس عقيدة قد لانفهمها بسبب غياب الكتابة، وإن كنا نرى في الأشكال المرسومة والمنحوتة نوعاً من الكتابة التصويرية التي أراد ذلك الانسان من خلالها أن يدون أفكاره ومعتقداته، ويعطيها المعنى الرمزي الذي لا يدركه أحد غيره[٣].

في النصف الثاني من العصر الحجري الوسيط أي بين / ١٠ - ٨ / آلاف سنة قبل الميلاد ظهر في بلاد الشام (النطوفيون) نسبة إلى وادي النطوف (مغارة شقية) في فلسطين، ومن خلال الآثار المكتشفة نراهم، قد اصطادوا الحيوانات البرية، التي اختاروها بتركيز واضح كالغزال والبقر والماعز، كما تغذوا بالطيور والثروات المائية وبخاصة الأسماك منها. والتقطوا الثمار البرية وحبوب القمح والشعير من وديان الأنهار التي أقاموا فيها، وهم يمثلون برأي علماء آثار ماقبل التاريخ، المرحلة الأخيرة من اقتصاد الصيد واللقط، قبل معرفة الزراعة والتدجين. . .

عن أدواتهم الحجرية، فقد استمروا في صنع الأدوات الحجرية الدقيقة كالسكاكين والمخارز والمناجل. ولكن انتجوا أدوات هندسية جديدة على شكل هلال أو نصف دائرة. كما صنعوا الأدوات العظمية وبخاصة المخارز والأدوات البازلتية الزراعية الثقيلة، وظهر لديهم لأول مرة في بلاد الشام، الفنون الأولى على شكل تماثيل صغيرة، ودمى مختزلة، حيوانية وإنسانية. وأدوات زينة. كالخرز من العظام والأسنان والصدف. وهم أول من بنى المقابر الكبيرة بجوار قراهم، حيث دفنوا موتاهم بشكل فردي أو جماعي، بأوضاع ممددة أو مثنية، ولكن دون توجيه خاص، وزودوهم بأشياء مختلفة كأدوات الزينة من الخرز والصدف الذي جلبوه من مناطق بعيدة، وبفضل هذه المقابر أصبحنا نعرف الكثير من صفاتهم

---

٣ - نفس المصدر، ص / ١٨٠ - ١٨١ /.

العرقية، التي لاتختلف كثيراً عن سكان بلاد الشام الحاليين المنسوبين إلى العرق المتوسطي.[4]

منذ مطلع الألف العاشر قبل الميلاد، بدأت تتوضح الخطوط العريضة التي تعكس فنون النطوفيين ومعتقداتهم، وموقفهم من بيئتهم، ومن مجمل القضايا التي كانت تثير اهتمامهم، وتتفاعل في أعماق نفوسهم، ويستنتج علماء آثار ماقبل التاريخ، من هذه الأعمال التي رسمها أو نحتها هؤلاء في قراهم الأولى وأهمها التماثيل الصغيرة التي نستمد منها القسم الأكبر من معلوماتنا. وهي تدل على أن الفن النطوفي كان تصويراً وتشخيصاً مبسطاً. تتناول خاصة الحيوانات التي عاشت في الوسط المحيط ولكن نادراً ماجسد البشر، ونلاحظ أن الغزال والأيل قد احتلا الصدارة.

يقول الدكتور سلطان محيسن، لقد أتت الفنون النطوفية الأولى من فلسطين، سواء من المواقع المكشوفة أو الكهوف وهي دمى حيوانات صغيرة، مصنوعة إما من الطين أو الحجر أو من قرن الغزال، بعضها واقعي، واخرى مختزلة ومبسطة، نذكر منها قبضات مناجل عظمية تنتهي على شكل رأس غزال وجدت في السوية النطوفية في مغارة الكبارة ووادي الفلاح، ومن الأعمال التي صورت البشر لدينا نماذج صغيرة، كالرأس المبسط المنحوت على لوحة حجرية من موقع الواد، ودمية بلا رأس، ولا أطراف من عين الملاحة، وتمثال صغير وجد في عين «ساخري» بفلسطين، يصور شخصين رجلاً وامرأة في احتضان حميم، وهو يمثل بلا شك العملية الجنسية التي كانت مجتمعات ماقبل التاريخ القديم تنظر لها بقدسية كما تفعل بعض الشعوب الحالية. إضافة إلى ذلك فقد وجدت في معظم المواقع أدوات زينة كالخرز والأطواق أو الحلق المصنوع من الصدف والأسنان المثقوبة والفقرات وزخارف اخرى على شكل طيور أتت من موقع رأس زين بفلسطين.

كما تندر الوثائق حول أفكار النطوفيين ومعتقداتهم، علماً بأنها يمكن أن تكون موضع تفسيرات مختلفة ومتناقضة أحياناً، لكننا نلاحظ أنهم اصطادوا الغزال أكثر من أي نوع آخر، إذ بلغت نسبة عظامه ٦٥٪ من بين الحيوانات التي اصطادها النطوفيون في سورية، بينما وصلت هذه النسبة حتى ٩٧٪ في فلسطين، مما يبعث على القول: لماذا خص الغزال بهذا الاهتمام، واحتل تلك المكانة العالية

http://almaktabeh.com

---

٤ ـ نفس المصدر، ص/ ٢٠٣ ـ ٢٠٤ /.

بين حيوانات الصيد رغم وجود أجناس اخرى كثيرة، عاشت إلى جانبه، وكانت أكثر فائدة منه، كالبقر والغنم والماعز؟! ثم لماذا كان الغزال الموضوع الرئيسي الذي جسدته الأعمال الفنية؟!.

يخمن علماء آثار ماقبل التاريخ بوجود موقف نفسي معين ربط الانسان بهذا الحيوان الذي وقع عليه الاختيار دون غيره، مما أعطاه طابعاً روحياً ودينياً وفنياً بالوقت نفسه، ونحن نعلم من خلال المقارنات الانتروبولوجية أن الحيوان الذي تصطاده المجتمعات البدائية الحالية أكثر، يكون هو «المقدس» لديها، ويتمتع إضافة إلى فائدته الاقتصادية، بمكانة روحية خاصة، وسوف نرى كيف أن المركز المتميز للغزال، احتله في العصر اللاحق الثور، حيوان المجتمعات الزراعية المفضل، كما حظي الكلب بعناية واضحة، حيث عثر عليه مدفوناً باهتمام بقرب جثة رجل في موقع عين الملاحة بفلسطين[٥]

ونلاحظ في قبور النطوفيين أن الجمجمة (الرأس) فصلت عن الجسد ودفنت منفردة، داخل بيوت السكن، وأحياناً وضعت عدة جماجم مع هيكل واحد كما في عرق الأحمر بفلسطين، ويظن علماء الآثار أن السبب يعود إلى تقديسهم وتجسيدهم للأموات في بيوت أحيائهم، إذ آمنوا بحياة اخرى ورفضوا اعتبار الموت نهاية الانسان، لذلك فإننا نستطيع التحدث في هذا العصر عن وجود عقيدة «عبادة الأجداد» أو «تقديس الأموات» وهو اعتقاد أخذ في العصر اللاحق شكلاً أكثر وضوحاً وتعبيراً[٦]

الزراعة والمرأة:

في نهاية الألف التاسع قبل الميلاد، وصلت التحولات الاقتصادية والاجتماعية في بلاد الشام قمتها. فبعد أن بلغ النطوفيون درجة عالية من التقدم وضع الأساس المادي والفكري المباشر للانعطاف الجذري والأهم في تاريخ البشرية، وتمثل في الانتقال من الصيد واللقط إلى الزراعة والتدجين.. لقد تحول الانسان من مستهلك سلبي لخيرات الطبيعة الحره، إلى منتج ايجابي وبذلك تحول من الاقتصاد الاستهلاكي إلى الاقتصاد الانتاجي، وكان الشعير والقمح

---

٥ ـ د. جاك كوفان، الوحدة الحضارية في بلاد الشام، ترجمة ـ قاسم طوير، دار المجد دمشق ١٩٨٤، / ص ٩٤ /.

٦ ـ د. سلطان محيسن، عصور ماقبل التاريخ، ص / ٢١٢ ـ ٢١٣ /.

بأنواعها المختلفة، أول مازرع الانسان بعد أن جمع هذه الحبوب في العصر السابق من مختلف أرجاء المنطقة المسماة «الهلال الخصيب» ومع ابتداء الزراعة والتدجين، تحولت قرى الصيادين السابقة إلى قرى مزارعين، وكان هذا التغيير كبيراً، إلى درجة أطلق عليه اسم «الثورة النيوليتية» أي ثورة العصر الحجري الحديث، وبالنسبة للمرأة، كانت ثورة بكل ماتعني هذه الكلمة من مفاهيم ومدلول، حيث أثبتت الأبحاث الأثرية أن المرأة كانت المسؤولة الوحيدة عن اكتشاف الزراعة، لأنه كان لديها الوقت الكافي لمراقبة بذور النباتات ونموها عندما كانت تقضي كل وقتها في الكهف، وفي المنطقة القريبة منه، وهذا الأمر يحتاج إلى بعض الشرح والتوضيح.

فقبل أن يتعلم طلائع البشر في بلاد الشام، عملية الاستنبات المعقدة، منذ نحو عشرة آلاف سنة، كان الناس جميعاً صيادين وجامعي ثمار. ومن المحتمل أن الرجال، في هذه المجتمعات الانسانية الأولى، كانوا هم الذين يقومون بمعظم الصيد. وكانت النساء على الأرجح أقل حركة من الرجال لانشغالهم موسمياً بوضع الأولاد وحضانتهم. ففي حين كان الرجال يخرجون في جماعات صغيرة في أثر الحيوانات الوحشية الكبيرة، كانت النساء يجمعن الحبوب والبذور والجوز والفواكه والبيض واليرقات والحيوانات الصغيرة والحشرات. فعمل النساء كان مضطرداً ومنتظماً. وكان هذا العمل يزود الجماعة بالقوت الضروري ويجنبها المغبة، حتى ولو عاد الرجل بأيدٍ خاوية فيما عدا الأزمات الشديدة. أما عمل الرجال فكان أكثر إثارة، ولكن عائده كان أقل انتظاماً، ومما له أهمية أن المجتمع الذي لايملك القدرة على توفير طعامه أو تنقصه المعرفة بسبل الاحتفاظ به كان في حاجة إلى الانتظام اليومي لعمل النساء، أكثر من حاجته إلى الترف الذي تمثله المؤن التي قد يأتي بها الرجال.

ولم تقتصر مهمة النساء بطبيعة الحال، على ضمان استمرار الحياة عن طريق جمع الطعام بشكل منتظم وكاف يضمن البقاء، وإنما كنّ أيضاً يخرجن الحياة من أحشائهن، ولابد أن سحر الولادة قد مس شغاف سكان العصر الحجري القديم، إذ تشهد أقدم الفنون البشرية على الأهمية التي شكلتها خصوبة الانثى في نفوس

http://al-maktabeh.com

هؤلاء الصيادين والجماعين[٧] والزراعة عملية استنبات ومتابعة وترقب وحصاد وجنى محصول، وقطف ثمار. . . والظاهر أن مجتمع العصر الحجري الحديث «النيوليت» قد زود النساء، فيما يبدو، بمكان ومركز هامين في كثير من النواحي. . . والبراهين كثيرة. :

إن الزراعة كما قلنا، أهم ثورة في التاريخ البشري. وهي كما تثبت الأبحاث الأثرية الكثيرة. من ابتكار النساء، والأرجح أنها رفعت مقام النساء في كثير من المجتمعات التي حدثت فيها. فقد كان الصيادون وجامعوا الثمار في العصر الحجري القديم، مضطرين إلى الاعتماد على ماقد تزودهم به الطبيعة، فلما اخترعت الزراعة خطا الانسان أول خطواته الجبارة نحو السيطرة على الطبيعة، فالنساء اللواتي كن يقضين أيامهن في التقاط الفواكه والجوز والحبوب البرية، تعلمن غرس بعض هذه «البذور» في التربة، وبذلك حصلن على أكثر مما قد تجود به الطبيعة. وحوالي ذلك الوقت الذي تعلمت فيه النساء «تدجين» عالم النبات الطبيعي والتحكم فيه تعلم الرجال وسائل استئناس الحيوانات والتحكم فيها والسيطرة عليها بعد أن كانوا يطاردونها من قبل.

وقع هذان الحادثان ـ تدجين النباتات واستئناس الحيوانات ـ لأول مرة منذ نحو عشرة آلاف سنة في أنحاء مختلفة من بلاد الشام، ثم في أنحاء اخرى مختلفة من العالم بعد ذلك. . . لقد كانت النساء هن اللاتي ابتكرن الزراعة، فقد كن، نظراً لقيامهن بجمع الثمار، أكثر شعوراً بعالم النبات، فعرفن السائغ من السام، واسهل النباتات زراعة وأوفرها غلّة، ولقد كن مزودات أيضاً بأقدم أداة انسانية، وهي عصا الحفر التي يمكن استخدامها في غرس البذور ثم في جني المحصول واجتثاث الجذور، كذلك كان العمل في الزراعة يشبه رتابة جمع الثمار. فهو ثابت ومنتظم ومرهق تنقصه الجوانب المثيرة، ولكنه كان كفيلاً بتوفر الرزق الضروري المضمون.[٨]

لقد خلقت الزراعة أول شكل من «اقتصاد الوفرة»، فهي أول اقتصاد يتوفر

---

٧ ـ كافين رايلي. الغرب والعالم، تاريخ الحضارات من خلال موضوعات، سلسلة عالم المعرفة الكويتية، ترجمة د. عبد الوهاب محمد المسيري و د. هدى عبد السميع حجازي، مراجعة د. فؤاد زكريا، ص/ ٣٦ / .

٨ ـ نفس المصدر. ص/ ٤٩ ـ ٥٠ / .

فيه للناس من الطعام مايفيض عن حاجاتهم، وماكان هذا ليتحقق لولا الادخار والتدبير، ولعله في المراحل الأولى كان على النساء أن يحتفظن ببعض الحبوب والبذور التي يجمعنها بعيداً عن متناول الرجال. ومن الجدير بالذكر أن ابتكار الفلاحة قد استلزم أول توفير وتخطيط منظم من أجل المستقبل، وقد بلغ من نجاحه أن تضاعفت كثافة السكان بمضي الوقت مئات المرات عما كانت عليه أيام جمع الثمار.

غير أن ثورة العصر الحجري الحديث كانت أكثر من مجرد ابتكار الفلاحة، فقد كانت نظاماً شاملاً من الاختراعات المتداخلة التي جعلت الفلاحة على مستوى عالٍ من الكفاءة، وزادت من منافع المحصول، وكان معظم هذا من عمل النساء ويلخص أحد المختصين هذا الانجاز على النحو التالي:

كان على الجنس البشري أو بالأحرى الجنس النسوي، لاحداث الانقلاب النيوليتي، ألا يكتشف أوفق النباتات، وأنسب الوسائل لزراعتها وحسب، وإنما كان عليه اختراع الآلات لحرث التربة وحصد المحصول وتخزينه وتحويله إلى غذاء... فكان جمع الغذاء الكافي في كل حصاد وتخزينه، إلى أن يحل أوان نضج المحصول اللاحق، وهو مما يستغرق حولاً في المعتاد، من أركان الاقتصاد النيوليتي الأساسية. ولهذا كانت الأهراء والصوامع من القسمات البارزة... ويحتاج القمح والشعير إلى فصلهما عن القشور بالدرس والتذرية ثم طحنهما دقيقاً، وكان الطحن يتم باستخدام الهاون، لكن الاجراء المعتاد كان عن طريق الرحى (عن طريق حك الحبوب بشدة بيد حجرية على هيئة رغيف مستدير أو على هيئة قطعة السجق الطويلة)، وإذا كان تحويل الدقيق إلى عصيدة أو رقاق أمراً ميسوراً. فإن تحويله إلى خبز يحتاج إلى الالمام بالكيمياء الحيوية ـ استخدام الخميرة ـ كما يتطلب تنوراً مشيداً، على نحو خاص. وفوق ذلك فإن العملية الكيميائية الحيوية نفسها المستخدمة في صناعة الخبز لجعله ينتفخ، قد فتحت للبشرية عالماً جديداً من السحر الرائع[٩]

ومصدر السحر الذي يشير إليه العالم «تشايلد» هو اختراع المرأة للجعة والنبيذ والخمر التي صنعتها بإضافة الخميرة إلى عصير الحبوب والعنب، ولابد أن المشروبات الروحية كانت رهاناً مقنعاً على القوة السحرية لجهود المرأة في مجال

٩ ـ Childe, What happeendin History (p. 65 - 66).

http://al-maktabeh.com

الزراعة، وكان أقدم الكهنة والكاهنات في بلاد مابين النهرين ومصر القديمة وبلاد الشام، يشربونها ويقدمونها قرابين إلى أربابهم ورباتهم لزيادة تحكمهم في المحصولات، وكان اكتشاف المشروبات الروحية المتخمرة يعني اختراع الأواني الدائمة والتي كانت تتسم بشيء من التركيب في الغالب، وبحلول عام ٣٠٠٠ قبل الميلاد، أصبحت المسكرات بالنسبة لمعظم مجتمعات العالم القديم من الضروريات، وظهر طاقم كامل من الدنان والكاسات والصفايات والشفاطات لاستخدامها في الاحتفالات، وكانت جميع المخترعات والاكتشافات الآنفة الذكر، من عمل وصنع النساء، ويمكننا أن ننسب إلى هذا الجنس كيمياء صناعة الأواني والغزل والنول وعلم نبات الكتان والقطن وغير ذلك.

لقد أطلق علماء الآثار على هذا العصر اسم النيوليت (بمعنى الحجري الجديد أو الحديث) ليس بسبب مالاحظوه من أن بقايا آثار هذه المستوطنات الزراعية الأولى تشتمل على أول إمارات بشرية من خزف ونسيج وقرى ومبانٍ دائمة فحسب، وإنما لاشتمالها أيضاً على أدوات حجرية مصقولة صقلاً ممتازاً أكثر ارهافاً من أدوات الشعوب الباليوليتية (الحجري القديم) المشطوفة. وهو أمر لم يقع بالصدفة، لأن الحجر المصقول أنجح في اقتلاع الأشجار لتطوير الفلاحة في المناطق الخصبة.

ويرى «لويس ممفورد» في كتابه المدينة في التاريخ[١٠] أنه حتى اختراع الأدوات الحجرية المصقولة، وهو السمة المميزة للانقلاب النيوليتي، هو إما اختراع نسائي أو انجاز ثقافة اصطبغت، في ظل سيطرة النساء، بصبغة انثوية، فلنستمع إليه يقول:

مع القرية ظهرت تكنولوجيا جديدة، فالأسلحة ذات الطابع الرجولي والأدوات التي كان الرجل يستخدمها في الصيد وقطع الأحجار، كالرمح والقوس والمطرقة والفأس والسكين، قد أضيفت إليها أدوات ذات أصل انثوي تتسم أشكالها بطراز العصر الحجري الحديث، بل أن نعومة أدوات الطحن، بعكس الأشكال المشطوفة، يمكن أن تعد ذات طابع انثوي...

وقد كانت الأدوات والأسلحة في العصر الحجري القديم، كأدوات القطع والشق والحفر والنقب والفصل والتقطيع، تتفق مع الحركات والجهود العضلية،

---
١٠ - Lews mum trod, The city in History, (Newyork, 1961)

وتتطلب استخدام القوة بسرعة ومن بعد، وباختصار كانت الأدوات تتطلب كل وجوه النشاط العدواني، فعظام الرجل وعضلاته تتحكم في اسهاماته التقنية، في حين نجد أن أعضاء المرأة الداخلية اللينة مناط حياتها، أما ذراعاها وساقاها فهي تفيد في الحركة على نحو أقل من فائدتها في القبض والضم. . . كان العصر الحجري الحديث في ظل سيادة المرأة هو عصر الأوعية عصر الأواني الحجرية والفخارية، عصر الطاسات، والقدور والدنان والصناديق ومخازن الحبوب والصوامع والمنازل. . .

الشواهد كثيرة على أن العصر الحجري الحديث غلبت عليه الثقافة النسوية بل والخصائص الجنسية النسوية. وعلى ضوء الأدلة المادية والمكتشفات الأثرية الكثيرة التي وفرتها لنا مواقع بلاد الشام، سوف تثبت ماذهبنا إليه من قول، لنرى كيف استوعب انسان بلاد الشام نوعه ذاتياً من خلال التشكيل الفني.

الدمى النسائية «الربة الأم»:

ظهرت الدمى النسائية المصنوعة من الحجر أو الطين، لأول مرة في سورية في مطلع الألف الثامن في منطقة الفرات، وبالتحديد في السوية الثالثة من موقع المريبط (٨٠٠٠ ـ ٧٦٠٠ق. م) وقد عالج انسان بلاد الشام هذه المنحوتات معالجة متنوعة من الناحية التشكيلية، فالدمى الطينية تجسيد كامل وواقعي لجسد المرأة، والاشارة إلى العضو الجنسي بالحزوز، الذراعان يلتفان حول الثديين، تضخيم الورك والمؤخرة، ويتجلى التأكيد على أهمية المؤخرة في دمية طينية مفصولة عن الجسم، وهناك دمية تمثل امرأة جالسة ومؤخرتها واسعة، منفذة بأسلوب فيه كثير من التبسيط.

لقد كانت التماثيل النسائية في موقع المريبط، تصنع بتشكيل النموذج على الطين أو بالحفر على الأحجار الكلسية الطرية، وقد كان من الممكن أن تبسط تبسيطاً شديداً أو تجعل على نحو واقعي يحاكي الطبيعة، لقد كانت أقدم تماثيل الانسان نسائية، وقد كانت آلهة الخصب معروفة في موقع المريبط حتى قبل إدخال الزراعة، ولقد تعين أن تمر ألف سنة اخرى قبل أن يظهر إلى جانبها إله ذكر، وذلك حوالي عام ٧٠٠٠ قبل الميلاد. ولكن هذا الاله لم يبلغ، كما يبدو، مكانتها، بل بقي في مرتبة أدنى[١١].

---

١١ ـ الآثار السورية، مجموعة أبحاث أثرية وتاريخية، اصدار مؤسسة البريد الدولي للصحافة والنشر ـ دار (فور فرتس) للطباعة ـ فيينا ـ ترجمة، نايف بللوز، ص / ٢٢ /.

http://al-maktabeh.com

ويظهر تشخيص النساء في الفترة اللاحقة مباشرة (نهاية الألف الثامن) في منطقتين مجاورتين من الفرات الأوسط ومنطقة دمشق (تل أسود). ونصادفها في شكلها التحويري (التبسيطي) في تل المريبط، وتتسم الدمى الواقعية منها بتضخيم حجوم أجزاء الجسم تضخيماً شديداً، أما الدمى المبسطة فيبدو، كما في المريبط أحياناً أن الفنان قد جعل الفخذين يمتدان أفقياً، كيما يضمن حالة الجلوس للدمية.

في بقرص الذي يبعد حوالي / ٤٠ / كم إلى الجنوب من مدينة دير الزور على الضفة اليمنى للفرات الأوسط، مقابل مصب نهر الخابور / ٦٤٠٠ ـ ٥٩٠٠ ق.م / تتخذ المرأة في التماثيل وضعية الركوع، وقد فقد الرأس والذراع الأيمن والركبة اليمنى، إلا أنه يمكننا أن نتبين في هذا التمثال، رغم كونه مبتوراً، ورغم ماطرأ عليه، من تشويه... جودته ونوعيته العالية، والخصائص الشكلية المميزة له بالمقارنة مع امرأة المريبط. هنا نجد أن أعضاء الجسم المختلفة قد أعطيت طابعاً تشكيلياً أرقى، ولاسيما الظهر من الخلف والثديين والزراعين، وقد تم تشكيل الجانب السفلي من التمثال، الذي لايظهر عند وضعه للعرض. كما أعطى بقرص أيضاً نماذج فنية اخرى رائعة.

وفي موقع «تل الرماد» الواقع قرب بلدة قطنا، على بعد ٢٠ كم جنوب شرقي دمشق، صنع سكان الطبقة الأولى من الموقع التي تؤرخ بين / ٦٢٥٠ ق.م و ٦٠٠٠ ق.م / تماثيل بشرية، منفذة بأسلوب أكثر واقعية. وكذا الأمر في مواقع اخرى من بلاد الشام...

مناقشات:

السؤال الذي يطرح، ماهي الاستنتاجات التي نخرج بها حول التشخيص البشري في بلاد الشام خلال الآلاف الثلاثة من تلك السنين؟!.

نترك الحديث في البداية للعالم الآثاري «جاك كوفان» أستاذ آثار ماقبل التاريخ في جامعة ليون الفرنسية، والذي عمل في كثير من مواقع ماقبل التاريخ في بلاد الشام، يقول كوفان[١٢].

ثمة تناقض موجود بين ندرة الدمى الطينية في البداية، وكثرة انتشارها في منطقة نهر الفرات اعتباراً من الألف الثامن قبل الميلاد، ثم شيوعها في كافة أرجاء

---

١٢ ـ جاك كوفان، الوحدة الحضارية في بلاد الشام، ص/ ١٦٦ ومابعدها /.

بلاد الشام خلال الألف السابع، يضاف إلى ذلك أن الدمى اقتصرت على أشكال نسائية لم تكن معروفة من قبل، وذلك منذ أخذت تنتشر في موقع المريبط في حوالي / ٨٠٠٠ / قبل الميلاد.

تبدو الأعضاء الجنسية الرئيسية والثانوية واضحة، وحتى إذا كانت معدومة كلياً في معظم الدمى المنفذة بأسلوب تبسيطي، فإنه يمكننا التفكير، أن المعالم الخارجية وحدها توحي بأن الشكل المشخص امرأة ولا أثر لوجود تشخيص صارخ المعالم للرجل.

ثمة ملاحظة ثانية تجدر الاشارة إليها بالقياس إلى هذه الفترة والفترات اللاحقة:

هناك تنوع واسع في طرائق التنفيذ ويتجلى ذلك في مواد الصنع المختلفة أو في اختلاف درجات التبسيط في دمى مكتشفة في موقع واحد، أويتجلى في اختلاف معين بين أسلوب هذا الموقع أو ذاك، أو في وجود «نمط موحد» أو «أنماط» متعددة متباينة أومتجانسة بعضها مع بعض في هذه المنطقة أو تلك، مثلما الحال في التماثل أو الدمى التي يكون فيها مقعد المرأة أومؤخرتها بالغ الانتفاخ، أو الدمى التي تكون فيها المرأة في حالة الوقوف (موقع المريبط) أو في حالة الجلوس (المريبط - تل أسود - البيضا - رأس الشمرة «اوغاريت». لكن حالة الجلوس غيرت الوضعية الجديدة والأكثر شيوعاً في دمى الفترات اللاحقة، بيد أن من الملاحظ أن الدمى الجالسة لم تكن منفذة بأسلوب واقعي إلا في تل أسود، ولا يجاريها في الواقعية إلا دمى «شطل هويوك» في جنوب الأناضول التي تعود إلى فترة متأخرة، وفي أكثر الأحيان تتصف بشدة التبسيط، بحيث ينتفخ النصف السفلي، ويتقلص النصف العلوي، ويأخذ الجسم شكلاً موشورياً أومثلثاً. ومن الملاحظ أن الأسلوب نفسه يسود في دمى بلاد مابين النهرين وفي منطقة جبال زاغروس، وخاصة في مواقع جرمو وتل حسونة وتل حلف.

ويخلص كوفان، من ذلك إلى استنتاجان الأول - وهو أمر طبيعي بالقياس إلى الفترات البدائية، ويتجلى في أن تشكيل أو نحت تلك الأعمال الفنية لم يكن هدفاً لذاته، كما لم تكن ضرباً من اللهو والعبث، ولا ضرباً من ضروب الفنون بالمعنى الحديث للكلمة، فالشكل البشري وبخاصة شكل المرأة، لم يجر تشخيصه فنياً إلا أنه يحمل مغزى ونابع عن «تصميم مسبق». ومما يؤكد على هذه القيمة

http://almaktabeh.com

الدلالية، أن التماثيل المنفذة بأسلوب تبسيطي أو مجرد تقريباً لاتحاكي الواقع إلا من بعيد.

ومن ناحية ثانية فإن هذه «الوصفة» برهان على «إجماع» عام يتخطى الحدود الحضارية والمكانية، إنه تعبير مشترك، كأي تعبير آخر، فهوينطلق من ذلك الاجماع مستهدفاً ذاته، ولهذا السبب نستطيع التأكيد بأن الأمر لايتعلق بـ «تشخيص المرأة» بقدر ماهو يتعلق بالتعبير من خلال المرأة عن النفسية الجماعية لعصر بكامله. وفي الحقيقة تصبح دمية المرأة، فيما بعد الشكل الذي يجد «الربة الكبرى» التي تظهر للوجود في بلدان المشرق منذ مطلع الألف الثامن قبل الميلاد، ثم تأخذ أشكالها المتبدلة في العصور التاريخية.

إذا أردنا تحديد اللحظة التي يظهر فيها كيان الربة الكبرى في عصور ماقبل التاريخ في بلاد الشام، فإنها تتزامن مع اللحظة التي يطرأ فيها تغيير على النفسية الجماعية. وتعتبر دمى موقع المريبط، الشاهد الأول على مثل هذا التطور. . .

لقد تبين أن الشكل المشخص للربة الكبرى «الأم» ظهر في بلاد الشام في وسط قروي مستقر، وبالتحديد في السوية الثالثة من موقع تل المريبط ٨٠٠٠ - ٧٦٠٠ ق.م /. وبالتحديد قبيل بواكير الزراعة، وأثناء بوادر التغير في نمط الصيد، وهذا يؤكد على أن الخصائص التي ترتديها «ربة الزراعة» لايمكن أن تكون بدائية بل أن ظهورها سبق التغييرات الكبرى في النشاط الغذائي وبالتالي لم تكن غريبة كلياً.

مثلما رأينا لم تنشأ هذه الظاهرة استجابة لضغط البيئة، بل كانت نتيجة لاشراق حضاري وسكاني في مجتمع متحرك ويبدو أنه لم يغير استرتيجيته إلا مع تغيير ذاته، وهذا هو الوجه السوسيولوجي للتغير، الذي يتراءى لنا بأنه سبق الجانب الاقتصادي، وهذا يقودنا إلى مسألة الايمان الديني.

لقد اكتسب «الشكل الانساني» نوعاً من المكانة الرفيعة في الفن، كما أصبح المغزى «الالهي» بصفته موطناً «خيالياً» لكنه مفعم بالنفسية الجماعية، في شخص المرأة، دون غيرها وحل مكان تقديس الحيوانات.

في العصر الحجري الحديث، مع اكتشاف الزراعة، أصبحت المرأة، مصدر الحياة. ليس فقط لاستحواذها على خصائص القمر السحرية التي مكنتها من ولادة البشر، بل لاكتسابهن السيطرة على الأرض والشمس، حتى يستطعن إقامة أود الحياة التي قدمتها.

النساء في العصر الحجري الحديث، كن يبدون وكأنهن مصدر الخصب كله، مصدر الحياة كلها، وكانت الألهة الكبرى عند الشعوب الزراعية أي ربات الأرض، هن اللواتي يحيين الأرض بعد موتها فتزهر وتثمر، ومازالت خصوبة الأرض في المجتمعات الزراعية إلى يومنا هذا مقترنة بخصوبة النساء.

«فينبغي أن تقوم النساء بزراعة القمح، لأن النساء يعرفن كيف ينجبن الأطفال والزوجة العاقر، مؤذية للحديقة، وهناك كثير من العادات تربط العروسة بالقمح، فهم يذرونها بالقمح أويكللونها به. . . وفي نيوزيلندة تطبق على المرأة الحبلى نفس الشعائر التي تنطبق على من تقوم بزراعة رقعة من الأرض بالبطاطا، ويعتقد كثير من الشعوب أن البذور تصيب حظاً أوفر من النمو إذا تولت غرسها امرأة حبلى[١٣].

وفي مجتمعات اخرى يقتصر جني المحصول على النساء العاريات الصدور، زعماً منهم أن هذا سوف يضمن غلة أوفر، ومازلنا بطبيعة الحال ننثر الأرز على العرائس جرياً على عادة أجدادنا الذين كانوا يعتقدون أن هذا يكفل الخصوبة.

في المجتمع الأمومي، أسلم الرجل قيادته للمرأة، لالتفوقها الجسدي، بل لتقدير أصيل وعميق لخصائصها الانسانية، وقواها الروحية وقدراتها الخالقة، وايقاع جسدها المتوافق مع ايقاع الطبيعية، فإضافة إلى عجائب جسدها الذي بدا للانسان القديم مرتبطاً بالقدرة الالهية كانت بشفافية روحية أقدر على التوسط بين عالم البشر وعالم الآلهة، فكانت الكاهنة الأولى والعرافة والساحرة الأولى، بهذه الأسلحة غير الفتاكة، مضى الجنس الأضعف قوة بدنية فتبوأ عرش الجماعة دينياً وسياسياً واجتماعياً، وأمام هذه الأسلحة أسلمت الجماعة قيادتها للأمهات.[١٤]

لقد عزز الدور الاقتصادي للمرأة مكانتها هذه، فلقد كانت بحق المنتج الأول في الجماعة، لكونها المسؤولة الأولى عن حياة الأطفال وتأمين سبل العيش لهم. كانت المرأة مسؤولة عن تحضير جلود الحيوانات وتحويلها إلى ملابس ومفارش وأغطية، وكانت النساجة الأولى، والخياطة، وأول من صنع الأواني الفخارية، وبسبب قضائها وقتاً طويلاً في البحث عن الجذور والأعشاب الصالحة

١٣ - Robert BriHault, The Mothers (london, 1959) p. 363.

١٤ - فراس السواح، لغز عشتار، سومر للدراسات والنشر والتوزيع، قبرص - نيقوسيا، الطبعة الأولى - ١٩٨٥، ص/ ٣٢ /.

http://al-maktabeh.com

للأكل، تعلمت خصائص الأعشاب السحرية في شفاء الأمراض، فكانت الطبيبة الأولى، وكانت من يبني البيت ويصنع أثاثه، وكانت تاجرة تقايض بمنتجاتها منتجات الآخرين. ومن وجود شعلة النار المقدسة في معابد الحضارات المتأخرة، وقيام عذراوات المعبد بحراستها والابقاء عليها مشتعلة، نستطيع الاستنتاج بأن شعلة النار الأولى قد أوقدتها المرأة، وكانت أول حارس عليها حافظ لأسرارها. وأخيراً توجت المرأة دورها الاقتصادي الكبير باكتشاف الزراعة ونقل الانسان من مجتمع الصيد والالتقاط إلى مجتمع انتاج الغذاء[١٥] بينما حافظ الرجل طيلة هذه المرحلة على دوره التقليدي في الصيد والتنقل بحثاً عن الطرائد الكبيرة.

في ذلك المجتمع القديم المتمركز حول الأم، فاضت طبائع المرأة وصفاتها لتصبغ حياة الجماعة وقيمها وعلاقتها ونظمها وجمالياتها. فحب المرأة لأطفالها هو العاطفة التي ميزت علاقاتها بالمحيط الواسع، وهو النموذج الأساسي للعلاقات السائدة بين أفراد ينظرون لبعضهم على أنهم اخوة في اسرة كبيرة تتسع لتشمل المجتمع الأمومي صغيراً كان أم كبيراً، ومعاملة المرأة لأطفالها دون تمييز قائم على خصائص معينة أو قدرات وقابليات ومنجزات، هي التي أسست لروح العدالة والمساواة الاجتماعية القائمة في الجماعة الأمومية، وابتعاد سيكولوجية المرأة عن كل ميل نحو التسلط والاستبداد، هو الذي أعطى الحرية الذي تنفسته الجماعات الأمومية طيلة عهدها. ونفورها من العنف الجسدي إلا عند الحاجة الحقيقية إليه، قد أشاع السلام بين أفراد الجماعة ذاتها وبين الجماعات الأمومية الاخرى. وفيضها الطبيعي على من حولها دون حساب كان أساس المشاعة البدائية، وعدالة توزيع الثروة ضمنها. . . مناخ أقرب إلى مناخ فردوس فقده الانسان بحلول مجتمع الذكر الذي ضيّع السلام والدعة ربما إلى الأبد. . . غير أنه يجب ألا يتبادر إلى الذهن أن دور الرجل في الجماعة الأمومية كان دور التابع، وذلك أن الرجل قد بوأ المرأة مكانها احتراماً وتقديراً لاخنوعاً[١٦].

إن الثورة الزراعية التي قامت بها النساء في العصر الحجري الحديث، أحدثت أخطر التحولات في المجتمع والثقافة، مثل ديانات الخصوبة التي تدور

---

١٥ - Rebert BiHault, The Mothers, p. 100 - 104.

١٦ ـ لغز عشتار، ص / ٣٣ / .

حول المرأة، وزيادة النظم الاجتماعية القائمة على نسق الانتساب للأم، ونزول الزوج على أهل زوجته، واهتمام عام بالولادة والنمو الحضانة والزواج والتوالد. . .

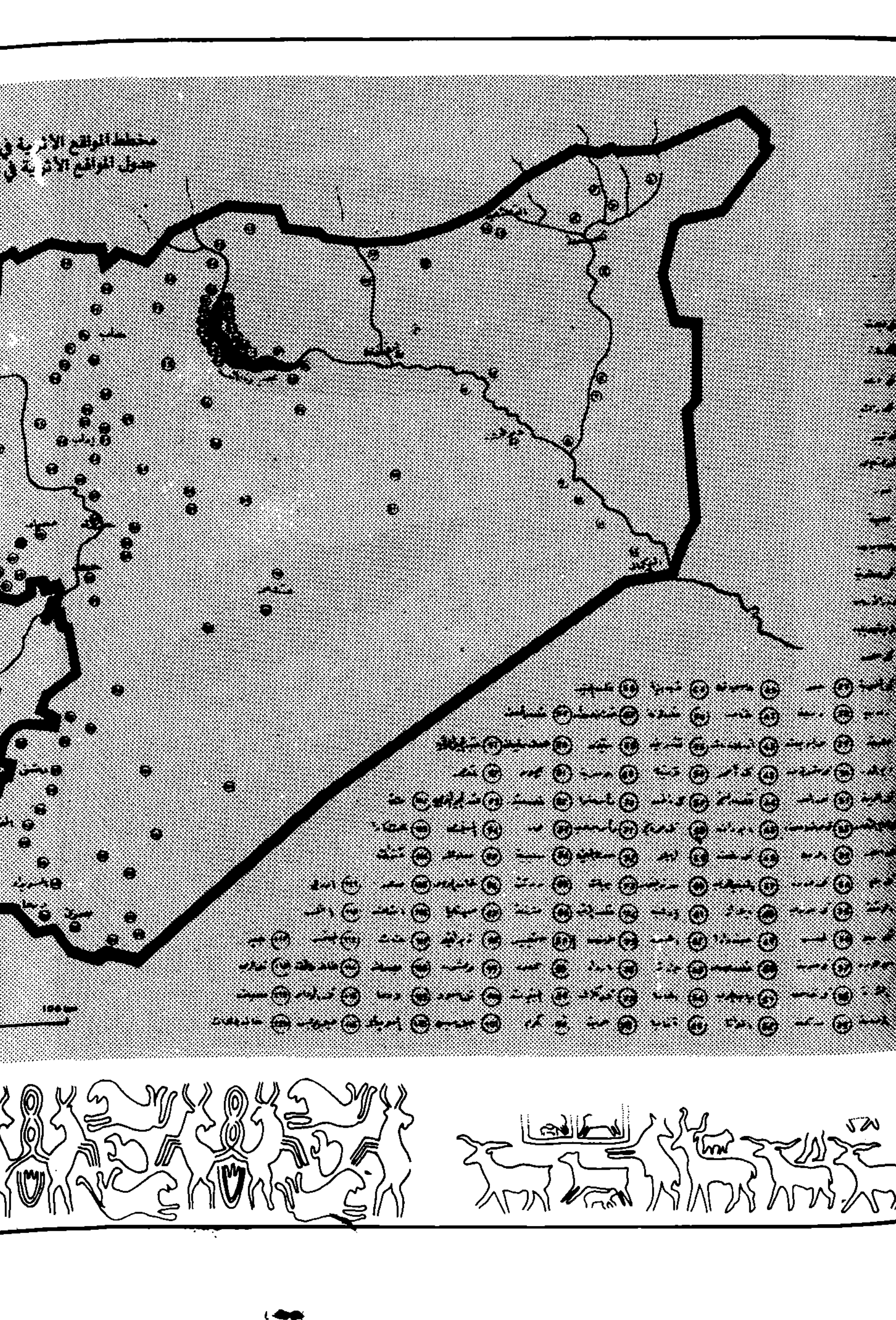
حين ارتقت النساء بفن الزراعة كان الرجال في نفس الوقت يزدادون دراية بالحيوان الوحشي فقد بدأ الرجال يتعلمون تدريجياً أن يحتفظوا بالحيوانات في قطعان يسيطرون عليها، ومن ثم يمكنها أن تتكاثر وهي أسيرة المرعى، وهكذا نجحوا في ترويض الأغنام والماعز والأبقار والخيل والثيران. . . ومع عام / ٣٠٠٠ / قبل الميلاد، كانت هذه القطعان تقدم مايكفي من طعام لسد حاجة جماعات سكانية أكثر كثافة مما كان في القرى القديمة في العصر الحجري الحديث، وأخطر من هذا اهتداء الرجال إلى تسخير بعض هذه الحيوانات (ولاسيما الثيران) في حرث حقول شاسعة، في حين كانت النساء من قبل يزرعن بقعاً صغيرة باليد. وما إن اخترع الرجال المحراث الثقيل، وربطوا عالمهم الحيواني بعالم الفلاحة النسائي، حتى صار في إمكان البشر لأول مرة إنشاء المدن وتزويدها بما تحتاج إليه، وقد كانت هذه المدن أكثر اصطباغاً بالنظام الأبوي، من اصطباغ قرى العصر الحجري الحديث بالنظام الأمومي.[١٧]

---

١٧ ـ لمزيد من الاطلاع حول هذا الموضوع، هناك كتاب الباحثة جاكيتا هوكس ماقبل التاريخ (pre History) وكتاب العالم هنري فرانكفورت، النظام الملكي والأرباب: (Kingship and The Gods).

وكتاب «الغرب والعالم» ـ القسم الأول منه ـ للباحث كافين رايلي، من ترجمة عبد الوهاب محمد المسيري وهدى عبد السميع حجازي، واصدار سلسلة عالم المعرفة الكويتية.

http://almaktabeh.com





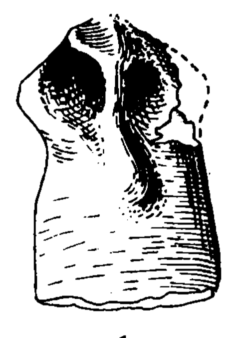
أدوات صوانية من عصور ماقبل التاريخ السوري.

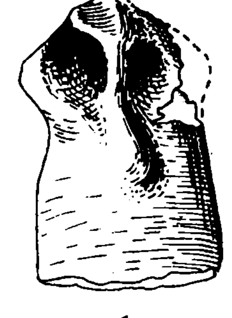
al-maktabeh
www. .com
مكتبة المهتدين
http://al-maktabeh.com

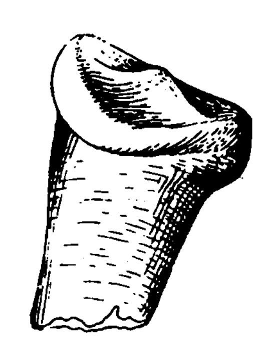


تمثال امرأة واقفة من الحجر الكلسي الأبيض.

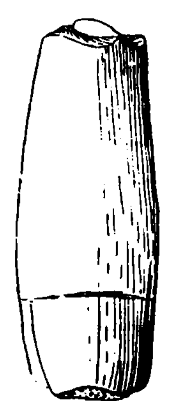
تل المريبط (٨٠٠٠ ـ ٧٦٠٠) قبل الميلاد.

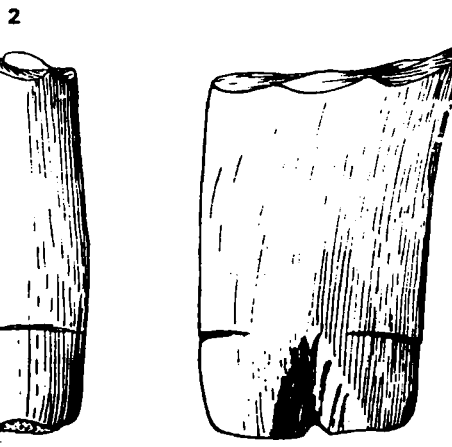












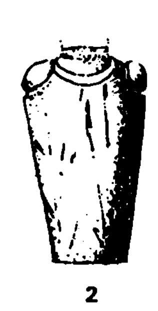
دمى بشرية من الطين والحجر الكلسي من موقع تل المريبط
الألف الثامن قبل الميلاد.

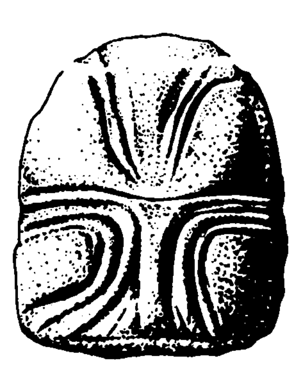
http://al-maktabeh.com

دمى نسائية من مكتشفات موقع المريبط

الألف الثامن قبل الميلاد





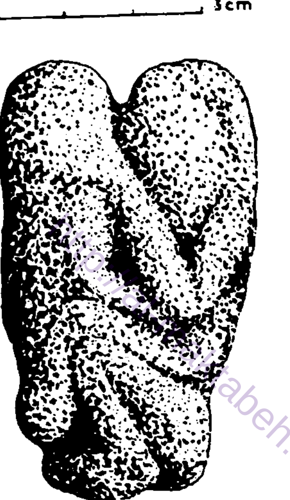


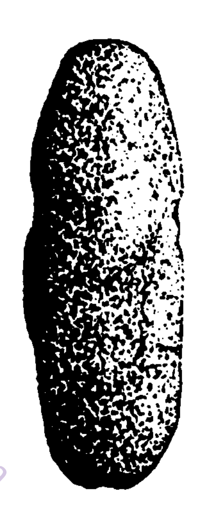


دمى من العصر النطوفي

دمى جنسية من عصور ماقبل التاريخ السوري

3cm

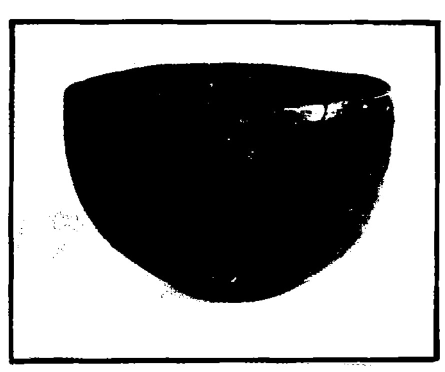






0 3cm





أدوات استخدمتها المرأة في مواقع ماقبل التاريخ السوري

مكتبة المهتدين





أدوات حجرية من مواقع تل الرماد وبقرص استخدمتها المرأة
في عصور ماقبل التاريخ السوري

http://al-maktabeh.com



جسم لتمثال امرأة من موقع بقرص (٦٤٠٠ ـ ٥٩٠٠) ق.م

تمثال انسان يجلس القرفصاء ـ تل الرماد

(٦٢٥٠ ـ ٦٠٠٠)ق.م

http://al-maktabeh.com

الفصل الثاني

الدور الانتقالي وزواج المصلحة

إن الصـورة للربـة الأم، كما تمثلهـا الـدمى الطينية المكتشفة في عصوماقبل التـاريـخ في بلاد الشـام، استمرت خلال العصور التاريخية اللاحقة، حيث بدأت مجتمعات هذه البلاد منذ مطلع الألف الخامس قبل الميلاد، تتعرف بشكل متزايد على معدن النحاس وتستخدمه مطروقاً، في صنع بعض الأدوات الصغيرة، رغم أن الحجـر بقي يلعب ـ حتى الآن ـ الـدور الأهم، ومن هنـا أتت تسميـة العصـر الحجـري النحـاسي «الكـاكوليت» لوصف هذا الزمن الانتقالي الذي استمر حتى منتصف الألف الرابع قبل الميلاد.

في هذا العصر حصلت ابتكارات حضارية هامة وسريعة، اختلفت وتاثرها حسب المنـاطق، لكن مركـزهـا الأهم، كان القسم الشـمالي من بلاد الشام وبلاد مابـين النهـرين، الممتد من دجلة ومناطق الموصل في الشرق، وحتى نهر الخابور في الغرب، حيث سكنت المجتمعات التي تنتمي إلى مانسميه بالثقافة الحلفية (نسبة إلى موقـع تل حلف شمالي سوريـة)[1] التي اشتهـرت بتصنيـع الفخـار الـرائع ذي

---

١ ـ يقع تل حلف في الجزيرة العليا من سورية، إلى شمال غرب بلدة رأس العين، على ضفة نهر الخابور، وقد عثر في هذا التل على آثاره المميزة في مطلع هذا القرن، تحت أنقاض السوية التي ضمت آثار مملكة جوزانا الآرامية، وكانت أول ثقافة ضخمة ومتجانسة امتدت من شمال وشرق بلاد مابـين النهـرين شرقاً، وحتى سواحل البحر المتوسط في الغرب، ومن الأناضول شمالاً حتى البقاع جنوباً، وعاشت حوالي ألف سنة أي منذ منتصف الألف السادس، حتى منتصف الألف الخامس قبل الميلاد.

الـدلالـة الـزمنيـة والحضـاريـة الكبـيرة، تلتها الثقافة العبيدية، التي انطلقت من الجنوب الرافدي، ومعها تجديدات كثيرة في مجال العمارة والفن والاقتصاد وميادين الحيـاة الاخـرى، حيث ازداد السكـان وانتشـرت المستـوطنـات في منـاطق كانت مغلقة، بعد أن أتقن الري الصناعي، وأصبحت الزراعة أكثر انتاجية، واستنبت أنواع جديدة كالعدس والحمص والفول وأشجار الكرمة والتين والزيتون.

وتحسن البناء فصنع القرميد (اللبن المشوي) وتنوعت أشكال البيوت وارتفع مستـوى تنظيمهـا، وانتشـرت الأبينـة الكبيرة ذات النفع العام «المعابد» التي تدل على تقـدم التنظيم الاجتـماعي والاقتصادي، وترسخت مفاهيم الأسرة والعشيرة والقبيلة. . . وتعمق التخصص، وتقسيم الأعـمال على أسس اقتصـادية جديدة، نابعـة من ازديـاد ثروات فئـات معينـة من المجتمع، كالحرفيين والتجار، تدل عليه قبـورهـا التي زودت بالمعـادن الثمينـة كالـذهب والفضـة، كما تعمق الفصـل بين المجتمع الزراعي والمجتمع الرعوي، مما زاد في درجة التفاوت بين الناس.

وتقـدمت الفنـون وتـرسخت المفـاهيم الـدينية والطقسية السابقة، كعقيدة «الربة الأم» والملاحظ في دمى المرأة الطينية في عصر تل حلف، أنها كانت تتصف بالاضـافـة إلى السمنـة عند الأرداف، بثديين كبيرين ممتلئين تحيط بهما اليدان من الأسفـل، ثم أن دمى الآلهـة الأم، في هذا العصـر، كانت تزين بخطـوط أفقيـة على الجسم والـرأس، وكأنهـا خطوط من الوشم. هذا وقد لاحظ الأستاذ «ماكس مالاوان» العالم الآثاري الذي نقب في الثلاثينات من هذا القرن في تل براك وتـل عربجيـة،[٢] بأن وجـود دلايـات من الحجـر على شكـل رأس الثـور، ووجود الرسومات الكثيرة لرأس الثور على الفخار المكتشف في موقع تل حلف، يشير إلى أن الثور كان في نظر سكان تلك المرحلة الانتقالية، رمزاً للعنصر المذكر في الطبيعة، وأنه اعتبر نظيراً للآلهة الأم، ولاشك أن هذه الملاحظة جديرة بالاعتبار، ذلك أن «الثور» أصبح فعلاً في العصور التاريخية أحد ألقاب إله الخصب دوموزي / تموز /.

في تل براك، اكتشفت أصنام عيون، وتماثيل حيوانات وتمائم أختام، وأقنعة بشـريـة لها علاقـة بكثـير من العقائد والطقوس الدينية، فمثلاً الأقنعة ذات الوجه

---

٢ ـ ماكس مالاوان، هو زوج الكـاتبـة الشهـيرة «أجـاثـا كريستي» التي كانت تنصح كل فتاة أن تتزوج من عالم آثار لأن قيمتها عنده تزداد كلما تقدم بها السن.

http://almaktabeh.com

البشري، يعتقد أنها كانت موضع تقديس أو نذوراً للآلهة، ونظراً لأن كل هذه الأقنعة البشرية مجوفة من الخلف على شكل شق طولي عميق، يستخدم لتثبيت عصا خشبية عليها، وكان هناك ثقبان: الأول عند الرقبة، والثاني فوق الوجه، وقد

استخدمتا لتثبيت القناع بالعصا عن طريق سلك أو مسامير، يعتقد علماء الآثار بأن التفسير المرجح هو أن هذه الأقنعة كانت تعلق كشعارات أو علامات رمزية على عبادة معينة.

ووجدت في شرفة معبد العيون في تل براك، أكثر من ثلاثمائة من التماثيل التجريدية المبسطة تبسيطاً شديداً، بالاضافة إلى آلاف الكسرات والقطع الصغيرة المنحوتة على الأغلب من الحجر الرخامي الأبيض، والتي تمثل أشخاصاً لم يعرض منهم تشكيلياً إلا الكتفان والرقبة والعينان. وثمة بالاضافة إلى الأشخاص المفردين، أزواج وتماثيل ثنائية من أم وطفل.

لقد ناقش العلماء هذا الاكتشاف الغريب مناقشة واسعة، وانطلاقاً من ابراز العيون، تم الربط بين التماثيل الصغيرة وبين سحر الاصابة بالعين الشريرة. وعلى هذا فسرت بوصفها تمائم تحمي من الشر. أما «ماكس مالاوان» فقد اعتبرها رموزاً لاله معين أو آلهة معينة، يعتقد أنها على علاقة وثيقة بالربة الأم، وبالرغم من أنه لايوجد ـ حتى الآن ـ تفسير مقبول من الجميع، إلا أن واقعة عدم وجود مثل أصنام العيون في مكان آخر، تدل على اتصالها الوثيق بالاله المحلي الذي كان يعبد في تل براك، وبالنظر إلى عددها الكبير، يميل المرء إلى اعتبارها على الأغلب من المتعبدين إلى الربة الأم.

ومن بين تماثيل الحيوانات الكثيرة التي اكتشفت في تل براك، كانت تماثيل الضفادع أكثر بكثير من غيرها من الحيوانات، وأغلب النماذج المكتشفة كانت مثقوبة في جزئها الخلفي بحيث يمكن تعليقه كتميمة، وعلماء الآثار يعرفون جيداً مثل هذه النذور من معابد اخرى أيضاً في الشرق الأدنى، فالضفدع يعد بشكل عام رمزاً للخصب، ويبدو لهذا السبب أن المؤمنين في تل براك كانوا يقدمونه كنذور. ونلاحظ أيضاً أن شكل الحيوان الأساسي قد تمت محاكاته بدقة. أما آثار اللون في محجر العين الأيسر فبقيه من حشوة العين الملونة.

مع توسع الرجال في القيام بالأعمال الهامة، وهيمنتهم المتزايدة على المدن

المتنامية نراهم عدّلوا ثقافتهم على صورتهم، فقام الأرباب إلى جانب الربات الأم، وأصبح أب السماء في أهمية الربة الأم الأرض، وغالباً ماأصبح الناس يتصورون المطر في كثير من معتقداتهم على أنه المني الخصب لأب السماء. ويرى العلماء أن سبب هذه التغيرات يرجع إلى أن الرجال قد اقتلعوا الأساس الاقتصادي لمكانة المرأة، فلم يقتصر الأمر على جعل الفلاحة عمل الرجال، بل تم أيضاً حرمان النساء من دورهن في الحرف الاخرى فقد اخترع رجال المدن مثلاً، عجلة كانت وسيلة أكثر فاعلية لصناعة القدور وأصبحوا في أكثر الحالات تقريباً، صناع الفخار والخزف، وقد حصل الرجال، علاوة على ذلك، على مزيد من أدوات الحرف ذات الفائدة والفاعلية الكبيرة (مثل عجلة صناعة الخزف) مكنتهم من أن ينتقلوا من مكان إلى آخر ولم يعودوا مقيدين بعشيرة المرأة، ومن ثم كانوا قادرين على جعل الأسرة (لا العشيرة) الأساس الجديد للتنظيم الاجتماعي.[٣]

ويرى العالم لويس ممفورد أن المدن الأولى كانت ثمرة «زواج» بين المجتمع الرعوي الفذ الذي كان يسوده الرجل، ومجتمع القرية من الفلاحين، حيث تحتل المرأة مركز الصدارة ولابد أن هذا الزواج كان في بعض الأحيان، زواج مصلحة، إلا أنه كان في معظم الأحوال زواج اكراه.

فالقوة وحدها التي تفسر السبب الذي حدا ببعض القرى الزراعية المكتفية بنفسها إلى تقديم قدر أكبر من محاصيلها لتدعيم الطبقات الجديدة من المتخصصين (الرؤساء والملوك والكهنة والجنود والموظفين الاداريين والحرفيين) ممن لايزرعون طعامهم بأنفسهم ومن العسير أن نتصور أن القرويين المزارعين المحافظين الذين تتفق ايقاعاتهم مع ايقاعات الزرع والحصاد قد عزموا فجأة على أن تصير حياتهم الطبيعية أشد تعقيداً. فقد كانت حياة القرية في هذا العصر أكثر دعة وسواسية مما أصبحت عليه حياة المدينة، وقد كتب أحد شعراء سومر:

اتلفت إلى حقول فتهفو نفسي إلى السلام . . .
وأبغض المدينة الضنينة الجشعة وأتوق إلى الريف الرضي، وقريتي الهنية.
وطني ذي القلب المفتوح، وطني الطيب، الذي لايصح في:

---

٣ ـ كافين رايلي، الغرب والعالم، سلسلة عالم المعرفة الكويتية رقم / ٩٠ / . ص، (٦١ ـ ٦٢).

http://al-maktabeh.com

«ابتـع لي فحـماً، ابتـع لي زيتـاً، ابتـع لي خلاً، فهويمنحني كل شيء دون مقابل، ويقضي حاجاتي غير ضنين، أما تلك المدينة بكلمة (فلنشتري).

فها أنا أودعها[4]

فالقرية لاتعبىء الجيوش ولاتحشد الجند، كما أنها لاتحمل الناس على شراء المتـاع، ذلـك لأن النقـود والشـراء والبيع والسوق من ابتكارات المدينة، أما القرية فتعنى باحتياجات أعضائها دون مقابل، لأن كل قروي يساهم في مخزون الجماعة، والقرويون في العادة لايحاولون تجنب العمل لأن كل منهم يجني حصة متساوية من عوائد العمل، فالعمل هو الحياة، حياة كل انسان، ولم يكن في طاقة القرويين أن يتيحوا لبعضهم احتكار موارد الجماعة، فلم تقم طبقات أو أسر مترفة تعيش على كد الآخرين . . .

ويستحسن علماء الآثـار قصـر كلمـة «مـدينة» على بعض المستوطنات التي حققت نضجـاً قرب عام / ٣٠٠٠ / قبـل الميلاد، فالمستوطنات السومرية في هذه الفترة تظهر تطوراً أكبر في تكنولوجيا العصر الحجري الحديث، وأهم من ذلك أن مستوطنات سومر كانت قد بدأت في فترة / ٤٠٠٠ ـ ٣٠٠٠ / قبل الميلاد عملية الثـورة التكنـولـوجيـة الحضرية التي فاقت ثورة العصر الحجري الحديث، وتشمل انجـازات تكنـولـوجيـا العصـري الحجري الحديث بين / ٦٠٠٠ ق.م ـ ٤٠٠٠ ق.م /، مخترعـات مثـل المحـراث الـذي تجره الثيـران والعـربـة ذات العجلات والمـركب الشـراعي والتعـدين والـري وتـدجين نباتات جديدة، الأمر الذي جعل الانتاج الزراعي وافياً يسد احتياجات المستوطنات التي تضم عشرات الآلاف من السكان في منطقة محددة.

وهكـذا فإن المـدن أصبحت ممكنـة عنـدمـا استخـدمت مستوطنات العصر الحجـري الحـديث المتقـدمـة انتـاجيتهـا الزراعية المتزايدة في خلق الفنانين وعمال التعـدين والمهنـدسـين والكتـاب والمحـاسبـين البـير وقـراطيـين والأطبـاء والعلماء المتخصصـين، وفي تنظيم مهـاراتهم وانجـازاتهم، وهـذا ماحـدث على طول نهر الفرات في عدد من المواقع قبل عام / ٣٠٠٠ / قبل الميلاد بفترة وجيزة.[5]

وكـان هنـاك السور والقصر والحصن والمعبد. . . تلك الصروح التي تميزت بها المـدن. . . وكـانت أيضـاً الـرقم المسـماريـة الكتابية والفنون المختلفة والتماثيل

---

٤ ـ انظر كتاب صموئيل كرامر «التاريخ يبدأ في سومر».

٥ ـ الغرب والعالم / ص ٧٤ ـ ٧٥ /.

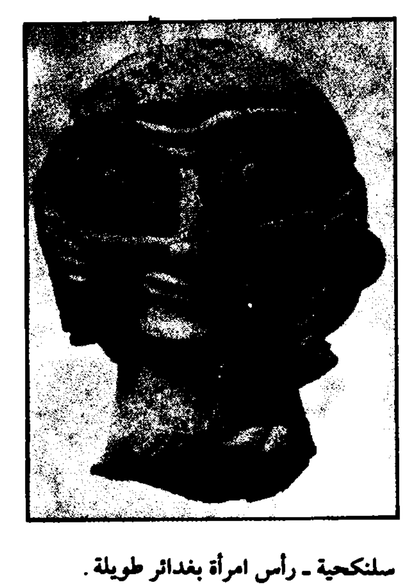
والتحف الثمينة. . . وكانت معاول علماء الآثار التي كشفت، ومازالت، عن أسرار هذه الحضارات المدنية، التي أصبحت الحياة فيها أكثر ديناميكية وإثارة وسحراً وتعقيداً.

إن تطور المدن أدى إلى تغير كبير في حياة قاطنيها، علاوة على ممارسة الصناعات الجا ـ ـة فيها، وبدأ الناس يتجمعون في أحياء سكنية قريبة، وقضت الضرورة بوجود أشكال جديدة للتنظيم الاجتماعي والحكومي والاقتصادي لمعالجة هذا الموقف الجديد، كما أصبحت الخرافات القديمة والطقوس التي ترافقها أشد تعقيداً، وذات أهمية أكبر بعد أن أخذت أعداد كبيرة من الناس تشارك فيها. وبما أن كل هذه الأمور كانت تتطور معاً وبسرعة فمن الطبيعي أن ترتبك النظم الاقتصادية والاجتماعية بما كان يبنى حول المعتقدات والطقوس والأساطير القديمة من جديد، وكانت النتيجة نشوء حكومات المدن المستبدة الطموحة لتصبح ممالك مترامية الأطراف، وتعمل على أسس اقتصادية رأسمالية من خلال أديان محكمة التنظيم وبمساعدتها.

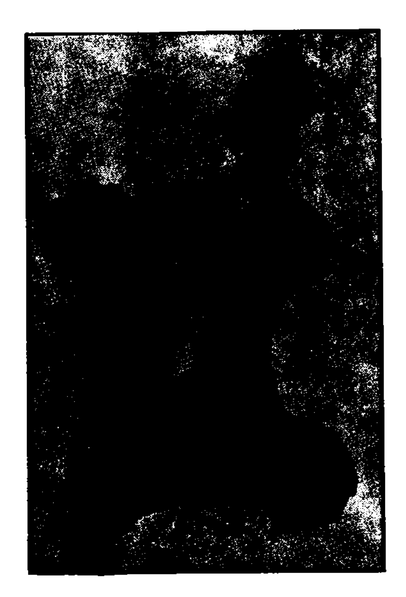
وبنيت المعابد التذكارية لرعاية شؤون هذه الفترة الجديدة الناشئة للمواطنين الذين كانوا مضرب مثل لهذا التعاون المثالي الوليد، إذ كان على المئات منهم، وحتى الألوف أن تعمل متضافرة، الجهود، ووفق خطة معينة لاقامة تلك المعابد التي كانت تبنى من الأحجار أو الطوب أو الأخشاب، أو من كل هذه المواد مجتمعة طبقاً للموقع الذي يجب أن تقوم به، وكانت تلك المعابد أو القصور تؤوي بعد بنائها الملوك والكهنة، وكل ثرواتهم ومشاغلهم، وصوراً للآلهة، وبضائع وسلعاً متنوعة، ومعامل ومصانع وكتبة ورجال بنوك، إضافة إلى العبيد والجنود.

وفي الطقوس والأساطير والمعتقدات، كان الجانب التعبيري للحياة الجديدة، يتجلى بأشكال ترتبط باستمرار المجتمع الجديد، بكل بساطة، فالطقوس أصبحت من الأعمال الرسمية ذات المعنى الخاص، وتشير إلى مناسبة ذات أهمية بالغة، أنها مسرحية قصيرة، تؤكد أهمية إله أو معتقد، أو لحظة استثنائية يرغب المجتمع في ابرازها وتمييزها عن غيرها. . . وأساطير وطقوس بلاد الشام التي وصلت إليها مكتوبة على الرقم المسمارية ـ حتى الآن ـ تؤكد وتبين لنا قيم وعادات ومعتقدات وحضارة مجتمع بلاد الشام، ونظرة هذا المجتمع إلى المرأة، وهذا ماسوف نتعرف عليه جلياً من خلال الأبحاث القادمة، على ضوء مكتشفاتنا الأثرية الحديثة.

http://arabmaktabeh.com



سلنكحية ـ رأس امرأة بغدائر طويلة .



سلنكحية ـ دمية تمثل رجلاً على حمار .

سلنكحية ـ دمى تمثل نساء واقفات .





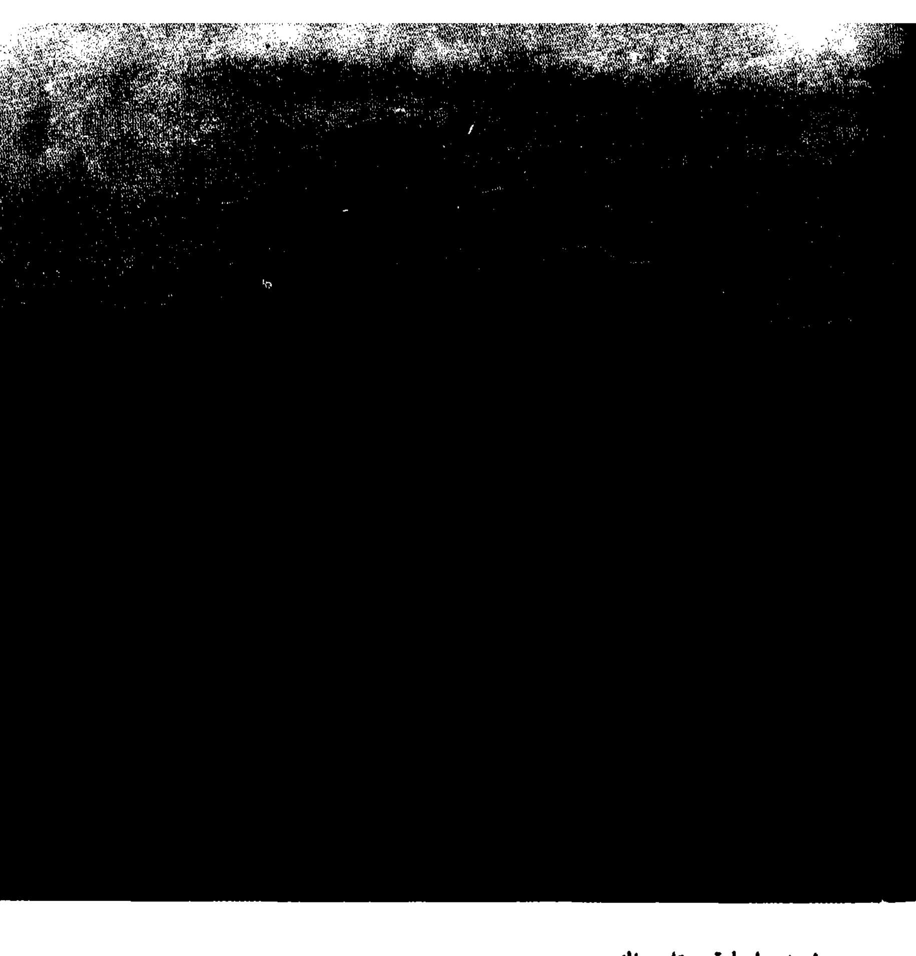




http://al-maktabeh.com

مشهد توضيحي لامرأة تقوم بطحن الحبوب

حبوبة كبيرة (٣٥٠٠ ـ ٣٣٠٠)ق.م



مشهد عام لموقع «تل براك».

http://al-maktabeh.com

الفصل الثالث

المرأة في سومر وآكاد وبابل

شغلت مشكلة العلاقة بين الاسطورة والتاريخ العدد الكبير من العلماء الذين حاولوا اكتشاف الحقيقة التاريخية الكامنة وراء الأساطير، سواء في تلك الأساطير البدائية أو الكلاسيكية، وقد وضع المؤرخ الايطالي «فيكو» في ذلك مايعرف باسم منهج «اليوهيميروسية العرقية» للتفسير، وبمقتضى هذا المنهج كان يرى في أبطال الأساطير رموزاً للمجتمع الذي يمثلونه، في فترة زمنية معينة، وحتى الأساطير الكلاسيكية ذاتها لم تكن في نظره إلا رموزاً لحالات أو أوضاع وظروف ثقافية واجتماعية معينة.

التفسير الرمزي هو أحد اتجاهين رئيسيين يتبعهما العلماء في العادة في دراسة الأساطير، والاتجاه الرئيس الآخر هو التفسير الحرفي، الذي ينظر إلى الأساطير إما على أنها تمثل مرحلة معينة من مراحل التطور الفكري ترتبط بالانسان (البدائي)، وإما على أنها اسلوب عام للتفكير نشأ في الأصل من رغبة الانسان في الايمان إزاء أزمات الطبيعية وأحداثها، وفي كلا الحالين يرتبط هذا التفسير الحرفي بالواقع الملموس إلى حد كبير وعلى العكس من ذلك تماماً نجد التفسير الرمزي يتجاوز ذلك الواقع الملموس، ويرى أن الأساطير تشير إلى حقيقة خفية أو (سرية) تختلف كل الاختلاف عن الواقع الظاهري، أو تكمله على أقل تقدير.

والاتجاهات الرمزية في تفسير الأساطير كثيرة، ويكفي لكي نتبين كثرتها واختلافها أن نشير إلى بعض الآراء حول تفسير اسطورة (اوديب) فبينما يذهب (فرويد) إلى أن الاسطورة ترمز إلى رغبة الابن في امتلاك الأم والتخلص من

الأب، يذهب اريك فروم إلى أنها رمز للصراع بين النظام الأمومي والنظام الأبوي، بينما يرى فيها «كارل يونغ» قصة ترمز إلى الصراع الأخلاقي بين التراخي والواجب، ويرى العالم «فرينزي» أن اوديب نفسه هو رمز العضو التناسلي عند الذكر لأن اسمه يعني - حرفياً - «القدم المتورمة». وهذه الآراء المختلفة تظهر كلها في اطار مدرسة واحدة فقط من المدارس التي اهتمت بتفسير الأساطير، وهي مدرسة التحليل النفسي.[1]

وأياً كان أمر الاختلاف في التفسيرات، فإن النقطة الأساسية التي يركز عليها علماء الانتروبولوجيا في كل توجهاتهم هي ضرورة تفسير الأساطير ضمن اطار البناء الاجتماعي والثقافي السائد في المجتمع الذي تنتمي هذه الأساطير إليه، ونحن في بحثنا عن المرأة في أساطير بلاد الشام وبلاد مابين النهرين[2]، ننطلق من أن الاسطورة «حالة ذهنية» أو عقلية مكملة للفكر العلمي من حيث أنها تنبع من الرغبة في الايمان الذي يساعد الانسان على مواجهة الأزمات الكبرى... صحيح أن التقدم العلمي يؤدي إلى تراجع التفكير بكل أشكاله وصوره بما في ذلك تكوين الأساطير، ولكن الأسطورة تظل مع ذلك عاملاً مؤثراً وفعالاً في الحياة المتحضرة الحديثة، بل وتؤلف جزءاً من العقيدة الدينية (الشعبية) كما هو الحال بالنسبة للقصص والأساطير حول الأولياء والقديسين في معظم المجتمعات المعاصرة.

إن الصورة للآلهة الأم كما تمثلها دمى الطين في عصور ماقبل التاريخ، استمرت خلال العصور التاريخية اللاحقة في الوركاء وجمدة وفجر السلالات وتل حلف وغيرها وقد أكدنا ذلك في الصفحات السابقة... وإذا كنا نجهل الأسم الذي أطلقه سكان عصور ماقبل التاريخ في بلاد الشام أو بلاد مابين النهرين،

---

١ - عالم الفكر - المجلد السادس عشر - العدد الثالث لعام / ١٩٨٥ / ، د. أحمد أبو زيد، الرمز والأسطورة والبناء الاجتماعي / ص ٢٠ - ٢١ / .

٢ - هناك وحدة حضارية واضحة المعالم قديمة قدم التاريخ بين بلاد الشام (سورية ولبنان وفلسطين والأردن) وبلاد مابين النهرين، وقد كشفت أعمال التنقيب عن الآثار دلائل كثيرة وهامة تبين مدى العلاقة الوثيقة بين المنطقتين بشكل خاص وبقية مناطق الوطن العربي بشكل عام. لذلك فمن المستحيل دراسة أساطير المرأة في بلاد الشام بمعزل عن أساطير المرأة في سومر وآكاد وبابل وآشور، وغيرها...

http://ar-maktabeh.com

على آلهتهم الأم، لانعدام الكتابة آنذاك، وإذا كنا نجهل أيضاً، مضمون الدعوات والصلوات التي كانت ترفع لها الطقوس التي كانت تقام من أجلها، فإن في حوزتنا تفصيلات كثيرة ووافية عن كل ذلك في العصور التاريخية. فقد قدّم سكان بلاد الشام وبلاد مابين النهرين تآليف كثيرة كالأساطير والدعوات والمناحات والقصص التي يستطيع الباحث من خلالها أن يعرف معلومات وافية عن الآلهة الأم، التي سمّاها السومريون (إنانا)[٣] INANA ملكة السماء والساميون عشتار.

ومما يلفت النظر والملاحظة أن الصورة التي تخيلها الانسان للآلهة الأم في حضارة الانسان السوري والرافدي، بقيت هي ذات الصورة التي يمكن أن نجدها في رقم الطين المسمارية المكتوبة عن الآلهة الأم بعد خمسة آلاف سنة أو أكثر من هذا التاريخ، وخير مثال على ذلك الأسطر التالية الواردة في دعاء للآلهة الأم في حدود / ١٨٠٠ / ق.م، وتذكرنا بالدمى التي تحدثنا عنها سابقاً، والتي عبر من خلالها انسان ماقبل التاريخ عن الخصب بالسمنة المفرطة والثديين الكبيرين. فالآلهة (إنانا) هي أيضاً مصدر الخصب، الماء، النبات، الحنطة، والخبز، ... تتدفق كلها من «ثدييها»:

أيتها السيدة إن ثديك هو حقلك.
وحقلك الواسع ... الواسع الذي «يسكب» النبات.
وحقلك الواسع الممتد الذي «يسكب» الحنطة.
والماء المتدفق من العلي ـ للمولى ـ والخبز من العلي...
اسكبي للمولى المأمور ليشرب منك.

لقد كان من البدهي أن تستمر فكرة الآلهة الأم في العصور التاريخية لما تحمله من أهمية وخطورة، وتأخذ أبعاداً جديدة تتناسب والتطور الذي شمل جميع عناصر الحضارة وينبغي أن نضع في أذهاننا أنه من غير المعقول أن تستمر هذه الفكرة في أشغال نفس الحيز الذي شغلته في معتقدات عصور ماقبل التاريخ، وتعليل هذا أنها كانت ترمز إلى قوى وظواهر مادية اختلفت درجة تحكمها وتأثيرها في حياة السكان بفعل تطور وسائل معيشتهم، وأساليب الانتاج عندهم، إذ جعلهم ذلك التطور أكثر قدرة في التأثير بالطبيعة من أسلافهم الذين عاشوا في عصور ماقبل التاريخ، وتبعاً لذلك، كان لابد أن تتطور عقائدهم وأفكارهم عن تلك القوى

---

٣ ـ مجلة سومر العراقية، العدد ٢٩ لعام ١٩٧٣، / ص ٣٩ /.

والظـواهـر، وبـالتـالي تختلف نظرتهم إلى كائنات ماوراء الطبيعة الميتافيزيقية، أي الآلهـة التي تجسـدهـا، وكـان الـدافـع الأسـاسي لهذا التطـور هو تغير احساسهم بقدراتها في التأثير بحياتهم، أن هذا التطور والتغير في الحياة والأفكار. . . حصل بفعل تقدم الحضارة في العصور التاريخية اللاحقة.(٤)

لقـد كانت آلاف السنـين التي مرت على دخـول الانسـان وادي الـرافدين لأول مرة، وتـوالي الثقـافات ماقبل التاريخية، عليه أساساً، متشابهة، وليست فيها واحدة تباين أية ثقافة في أي مكان من العالم عندئذ. وكانت الزراعة في أثناء تلك الآلاف من السنـين كما رأينـا في بلاد الشـام، وهي عماد الحيلة، وكـانت الأدوات تصنـع من الحجـر، ونـادراً ما صنعت من النحـاس، ويبـدو أن القرى المؤلفة من عائلات كبيرة كانت هي النمط في الاستيطان. والتباين الوحيد الذي وجده علماء الآثار، بين ثقافة واخرى في هذه الفترة هو كيفية صنع الفخار، وتزيينه بالنقوش، وهو ليس بالتباين الشديد الأهمية.

ولكن ماتكـاد فترة الكتـابـة البـدائيـة تطـل، حتى تتغـير الصورة، فكأنما حضارة وادي الرافدين قد تبلورت بين عشية وضحاها، وإذا بالشكل الأساسي، أو الهيكل الذي ستعيش البلاد في ضمنه وتحت سيطرته، والذي سيثير فيها أعمق أسئلتهـا، ويقيّم نفسـه كما يقيّم الكـون لكـل العصور اللاحقة، وينبثق فجأة تام النمو في سماته الرئيسية.(٥)

لقـد كان الفكـر الاسطـوري السـومـري، الأساس الأول في التعرف على تدخـل «المقـدس» والقـوى الالهيـة في «زمن البـدء» في عمليـة التكـوين والخلق، وتنظيم الحيـاة على الأرض، بتـدخـل الآلهـة التي علمت الانسـان الـزراعـة والتدجين، وأصول البناء، وأعطته كل وسائل الحضارة. . . جميع تلك «الأسرار» الالهية اكتشفها السومريون، صانعوا حضارتهم، على أرض مابين النهرين، هذا التراث الفكري الاسطوري الضخم، هو الذي ورثه اكاديوبابل، وأشوريونينوى

---

٤ ـ مجلة سومر العراقية العدد ٣٤ لعام ١٩٧٨، / ص ٢٢ /.

ومـابعـدهـا، شخصيـة الآلهـة الأم ودور الآلهـة «إنـانـا ـ عشتار» في النصوص السومرية والأكادية، نائل حنون.

٥ ـ هـ ـ فرانكفـورت، ماقبـل الفلسفـة، ترجمـة: جبرا ابراهيم جبرا، إصدار المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت الطبعة الثانية ١٩٨٢ / ص ١٤٩ /.

http://al-maktabeh.com

فيها بعد. ولم يكتف السومريون بتفسير الكون، بل عبروا في ذات الوقت عن مفاهيم إلهية، أخلاقية، اجتماعية.

والباحث السومري يستطيع أكثر من معظم العلماء والمختصين أن يشبع لهف الانسان في بحثه الدائم المتطلع عن «أصول الأشياء» أو بعبارة اخرى «أوائل الأشياء» في تاريخ الحضارة، أي أوائل المثل والأخلاق والدين والتراتيل الدينية والأساطير والقصص والملاحم...

إن مجمع الآلهة السومري موسع جداً، ويضم / ٣٠٠٠ - ٤٠٠٠ / إلهاً، وكان «آنو» ANU أسمى الآلهة، إله السماء، وكان اسمه الكلمة الشائعة للسماء. ولعل الدور الشامل الذي تلعبه السماء - حتى كان ذلك، ولو بمعنى المكان والفضاء - في تركيب الكون المرئي والمحل العالي الذي تحتله بكونها فوق كل شيء يفسر جعل «آنو» أهمّ قوة في الكون.

وكان انليل، الثاني بين الآلهة، إله العواصف، ومعنى اسمه «السيد العاصفة» ويمثل جوهر العاصفة. وكل من اختبر زوبعة من بطاح العراق الفسيحة، يدرك رهبة هذه القوة الكونية، فالعاصفة، سيدة كل ماتحت السماء من فضاء، ولابد أن تعتبر العنصر الثاني من عناصر الكون.

أما عنصر الكون المرئي الثالث فهو الأرض وهي لقربها من الانسان، ولأهميتها في حياته من شتى النواحي، لم يكن من السهل ادراكها وحصرها ضمن نطاق فكرة واحدة، ولذا نراها في شكل «الأرض الأم» المعطاء التي تغدق النعم على الانسان، ونراها في شكل «ملكة الآلهة» و«سيدة الجبال». غير أن الأرض أيضاً مصدر المياه، واهبة الحياة، في الأنهر والقنوات والآبار، وهي المياه التي تنبثق عن بحر جوفي عظيم فبصفتها منبع هذه المياه، كانت ترى في شكل مذكر، في شكل «ان - كي» أي سيد الأرض، أو أصلاً «السيد الأرض» فكان الثالث والرابع في ترتيب الآلهة هذان الشكلان للأرض: «ننهورساغا وانكي» وهذه احطر العناصر الكونية وأسماها درجة ولها النفوذ الأكبر في كل مافي الوجود[٦].

---

٦ - نفس المصدر السابق / ص ١٥٩ - ١٦٠ /.

الأرض الأم:

إن العنصر الثالث، في تأليف الكون المرئي هو الأرض، وهو مايهمنا في بحثنا عن المرأة.

لقد رأى فيها سكان بلاد مابين النهرين ثالث القوى الخطيرة في العالم، وقد توصلوا إلى فهم قوتها وأساليبها - كما في السماء والعاصفة، بتجربتهم المباشرة لها كإرادة داخلية، واتجاه باطني. وكذلك لم يكن من السهل على اسم هذه الآلهة القديم «كي» - الأرض - البقاء... وقد كشفت الأرض عن نفسها لأهل سومر قبل كل شيء في شكل «الأرض الأم» ذلك المصدر الغامض العظيم الذي لاينضب، للحياة الجديدة، والخصب في كل أنواعه، فهي تلد في كل سنة العشب والنبات من جديد.

إن الأرض القاحلة لتخضوضر بين عشية وضحاها، فيخرج الرعاة بأغنامهم إلى المراعي وتلد النعاج والماعز الحملان والجديان، كل شيء في ازدهار وتكاثر، وفي حقول سومر الطيبة «ترفع الحبوب تلك الغادة الخضراء، رأسها في الخط الحديث» وسرعان ماتفيض البيادر بغلال الحقول، وإذا ماشبع الناس خبزاً وخمراً وحليباً أحسوا بفورة من الحياة في أجسادهم: إنه الاحساس العميق بالرخاء وحسن الحال.

والقوة الفعالة في هذا كله، القوة الكاشفة عن نفسها في الخصب، في الميلاد، في الحياة الجديدة، هي جوهر الأرض، فالأرض كقوة إلهية، هي «نن - تو» أي «السيدة الوالدة» وهي «نغ - زي - عال - دم - مي» أي «صانعة كل مافيه نسمة الحياة» ونراها في المنحوتات البارزة كامرأة ترضع طفلاً، مع أطفال آخرين ملتفين بثوبها، مخرجين رؤوسهم من بين التلافيف حولها، والأجنة تحيط بها من كل صوب، وبصفتها مجسدة القوى التناسلية كلها في الكون، فهي «أم الآلهة» وهي كذلك أم البشر، وخالقتهم، بل أنها - كما ينص أحد النقوش «أم الأطفال أجمعين» وإذا شاءت، حرمت فاعل الشر من النسل أو منعت عن الأرض كل ميلاد.

وبما أنها المبدأ الفعال في الميلاد والخصب، وفي تجدد النبت المستمر، ونمو الغلال وتكاثر القطعان، وبقاء الجنس البشري، فهي تملأ منصبها كقوة عليا عن حق، وتجلس إلى جانب آنو وانليل في مجمع الآلهة - حكومة الكون - إنها «ننماح» -

http://al-maktabeh.com

الملكـة المـوقـرة ـ و«ملكة الآلهة» وملكة الملوك والأسياد، والسيدة التي تقرر المصائر والسيدة التي تتخذ القرارات بشأن السماء والأرض. (٧)

يرجـح السبب في تمييـز المرأة، واعطائها الدور الرئيسي في الخلق والتكوين، وتسيـير شؤون الحيـاة المختلفـة، أن تكـون الآلهـة الأم القـدرة أو الفعالية في أحد الأمرين الآتيين أو كلاهما وهما:

١ ـ الخلق، وفيه تتحقق القدرة على الابداع ومنح الحياة.

٢ ـ الانجـاب: وتتجلى به قدرة الآلهـة الأم على حفـظ استمرارية الحياة، كما تثبت به صفة الأمومة الملازمة لها.

وسـوى ذلـك يفـترض أن تتـوفر في الآلهة الأم واحدة أو أكثر من الخصائص الثلاث التالية:

١ ـ كونها الأصل في الكون أو المظهر الأول فيه، وماالمظاهر الكونية الأخرى سوى تفرعات عنها.

٢ ـ دورها المؤثر في إدامة حيوية الآلهة الاخرى والتحكم بها، وكذلك حفظ حياة البشر وسائر المخلوقات بشتى السبل، مثل التأثير في خصب الطبيعة، وزيادة القدرة على التكاثر، والمساعدة على نمو الأطفال وارضاعهم.

٣ ـ وفي أقل الاحتمالات، تكون الآلهة الأم، هي زوجة الآلهة الرئيسي في مجمع آلهة أية ديانة، وبذلك فإن مكانتها تستمد أهميتها من مكانة زوجها ومركزه. (٨)

إن عبارة المرأة في هذه الفترة الزمنية كانت تشتمل على أبعاد كثيرة منها: البعـد الشخصي والـرمـزي والـوظيفي، وبخصوص البعد الشخصي فإن الآلهـة «إنانا» كانت تمثـل الانثى بكـل قابليـاتهـا ومداركها ودوافعهـا الباطنية وغـرائـزهـا، وهي تجمـع في شخصيتهـا كل الحـالات الايجـابية والسلبية للمرأة، وبعبـارة اخـرى الحـالات النفسيـة التي تمر بها المـرأة باستثنـاء مايطـرأ عن الحمـل والولادة، نراها قد برزت وضخمت ثم جسدت بالآلهة «إنانا ـ عشتار».

---

٧ ـ نفس المصدر السابق / ص ١٦٩ ـ ١٧٠ /.

٨ ـ مجلة سومر ـ وزارة الثقافة والاعلام ـ المؤسسة العامة للآثار والتراث ـ بغداد، المجلد الرابع والثلاثون لعام ١٩٧٨، / ص٢٣ /.

أما البعد الرمزي لها فباستطاعتنا القول استناداً إلى مجمل ماعرضناه، أنها كانت على وجه الدقة تمثل «الآلهة المراهقة» ثم «الآلهة المرأة» وقد تمثل البعد الثالث، أو البعد الوظيفي للآلهة الأم في مسؤولياتها، والمهن والأعمال التي تقوم بها والواجبات الملقاة على عاتقها، ودورها في الحياة العملية المختلفة.

في سومر والحضارات اللاحقة نجد الالهة الأم أو الربة الكبرى قد غدت إحدى آلهة المجمع الكوني، بعد أن كانت في العصر الحجري الحديث «النيوليتي» انثى كونية عظمى، وهي منشأ الأشياء ومردها، عنها تصدر الموجودات، وإلى رحمها يؤول كل شيء كما صدر. . . بعد أن كانت الالهة الواحدة لايشاركها في السلطات سوء ابنها الذي نشأ منها. . . غير أن هذا التحول في مكانتها في سومر، لم يتم إلا على النطاق الرسمي، بينما بقيت مكانتها القديمة على حالها في ضمير الناس عامة ممن لم يتوجهوا إلا إليها عند الخوف واليأس وأزمنة الشدة.

ومن ناحية اخرى فإن الكتابة التي ابتكرها الانسان في مطلع العصر المديني، وراح يدون بها أساطيره الموروثة عن أسلافه البسطاء، قد ساهمت في تظليل صورة الأم الأولى، والقاء غلالات سميكة أمام وجهها، فالكهنة المتفرغون ممن ساعد الرفاه الاقتصادي في المجتمع الجديد، على تفرغهم كلية للنشاط الديني، والذين كانوا أول من استعمل الكتابة وحفظ أسرارها المقدسة، قد راحوا يدونون أساطير الأمس بلغة اليوم الشعرية، التي ابتعدت عن أصلها الطبيعي المباشر متجهة أكثر فأكثر نحو المجاز والرمز، وانتشت نفوسهم بهذه الاداة الجديدة، فأخذوا يطلقون على الأم الكبرى أسماء متعددة يشير كل منها لوظيفة من وظائفها أو خصيصة من خصائصها، ثم استقلت الأسماء فصارت ذواتاً منفصلة بتأثير الاتجاه الديني الجديد، ولكن دون أن يفقد الانسان احساسه بالوحدة الصميمة لهذه الذوات وتطابقها، وبكونها تنبع وتصب في ذات واحدة.[٩]

لقد كان للثقافة السومرية، تأثير كبير على ثقافة الشرق الأدنى القديم، وحضارة بلاد الشام، لذلك لاضير مطلقاً من التوسع في هذا الجانب من الثقافة السومرية، لأن تقاليدها بقيت سائدة في الفكر والحضارة القديمة فترات طويلة. . .

---

٩ ـ فراس السواح، لغز عشتار، / ص ٢٦ / .

http://al-maktabeh.com

بين الركام الهائل من المادة الكتابية، التي وصلتنا من سومر، والتي أضحت الآن، بفضل الجهود المتفانية للمتخصصين في الشؤون السومرية، متوفرة بين أيدينا، نستطيع تتبع آثار المرأة بشكل جلي وواضح . . .

الثقافة السومرية تلبي دافعاً شديداً إلى الثراء، والتملك، منشؤها اعتماد الاقتصاد الرعوي والزراعي - في البداية - اعتماداً مطلقاً على خصوبة الأرض وكثرة عدد الحيوان.

ويشيع في أدب السومريين أساطيرهم وتراتيلهم، مراثيهم ومنازعاتهم، حب آسر للرفاه والترف وللحقل الخصيب والرحم المنجبه، ففي أحد التآليف المعروفة باسم «لعنة آكاد» مثلاً، يروي لنا الشاعر كيف أن الآلهة «إنانا» لم تسمح لنفسها بالنوم لكي تسهر على أن تجعل من «آكاد» أعظم مدائن البلاد.[10]:

أن يجمع كل شيء في المخازن،
أن تكون مدينتهم موطناً راسخ الأركان.
أن يأكل أهلها «مأمون» الطعام.
أن يشرب أهلها «مأمون» الماء.
أن تشيع «الرؤوس» المستحمة البهجة في الساحات.
أن يزين الناس مكان الأفراح . . .
في تلك الأيام امتلأت آكاد بالذهب.
بيوتها المضيئة المشعة امتلأت بالفضة . .
إلى عنابرها جيء بالنحاس والصفيح وحجر اللازورد.
صوامعها انتفخت (؟) من كل جوانبها.

ونرى مكانة المرأة في سومر، من خلال ابتهال «جوديا» ملك لاغاش، إلى الآلهة «نانشي» أم لاغاش، حوالي / ٢٥٠٠ / قبل الميلاد، يقول جوديا:

أي مليكتي، ياابنة السماء الصافية.
التي تنصح بكل ماهو خير.
أنت التي تحتلين المركز الأول في السماء.

---

١٠ - س. كرايمر «طقوس الجنس المقدس عند السومريين» ترجمة نهاد خياطة، دمشق ١٩٨٦ / ص ٧٨ /.

والتي تمنحين الحياة للبلاد . . .
أنت الأم التي أسست لاغاش . . .
أنت الرجل التقي الذي توجهين نظرك إليه؟
تطول حياته .
ليست لي أم ، أنت أمي .
ليس لي أب ، أنت أبي .(١١)
وبالنسبة للسومريين ، كانت الالهة «نانشي» هي :
التي تعرف اليتيم وتعرف الأرملة ،
التي تعرف ظلم الانسان للانسان .
وهي أم اليتيم
نانشي تعتني بالأرملة .
وتحقق العدالة لأفقر الناس
إنها الملكة التي تستجلب الملتجي إلى حجرها
والتي تجد ملاذاً للضعيف .

المرأة في «اسطورة » إنانا ودوموزي :

يرى السومريون ، أن الخصب ليس خاصة في التربة نفسها ولكنه قوة كونية ، جرى تجسيدها في آلهة انثى هي «إنانا» السومرية (بعد ذلك في عشتار البابلية أو عناة الكنعانية) . ولما كانت خصوبة الأرض والمرأة هي محور الانسان في هذا العالم فإن «إنانا ـ عشتار» كانت قوة أساسية في هذا الكون ومحركاً ديناميا فعالاً لأحداثه والعذراء لقبها ، والعذرية جوهرها رغم أنها ترمز للجنس والحب والخصب ، فهذا الجوهر لايبد له لقاء عابر ولاحمل ولا ولادة ، وتبقى عذريتها رمز اخصابها الأبدي .(١٢)

أولى الأساطير السومرية ، وجدت في شكل مقاطع متفرقة ، لكن جهود الدكتور كرامر ، جعلت منها شكلاً تاماً يعرف باسم اسطورة «دوموزي وإنانا» ودموزي هو الشكل

---

١١ ـ سومر ـ المجلد رقم / ٥ / جزء / ٢ / لعام ١٩٤٩ / ص ١٧٨ / .

١٢ ـ فراس السواح ، مغامرة العقل الأولى ، دار الكلمة للنشر ـ بيروت ، الطبعة الثانية لعام ١٩٨١ ، / ص ٢٤٧ / .

http://arabicmaktabeh.com

السومري للاسم الأكثر شيوعاً «تموز». بينما «إنانا» هي المرادف السومري لعشتار.

دوموزي هو النموذج الأصلي لكافة آلهة النبت الذين يموتون ويبعثون ثانية مع انبعاث النبت في الربيع، وفي شكل الاسطورة الذي ينطوي على تقديم القرابين المقدسة لتموز، يكون سجن الاله في العالم السفلي، دافعاً أساسياً للاسطورة وسبباً في هبوط إنانا إلى العالم السفلي، ولكن لاذكر لسبب هبوط الالهة في الشكل المبكر في الاسطورة.

لأسباب مجهولة تقرر إنانا ملكة السموات النزول إلى العالم المنخفض، إلى «أرض لاعودة منها» تحكمها شقيقتها «ارشيكيجال». ويوحي «كرامر» بأن الدافع قد يكون الطموح والرغبة في اخضاع العالم المنخفض إلى سلطانها، ولكي تقي نفسها شر أية فواجع قد تتعرض لها في العالم المنخفض توصي إنانا وزيرها نينشوبور بأنها إذا لم تعد خلال ثلاثة أيام فعليه، أن تؤدي شعائر الحداد لها... ثم ترتدي إنانا أرديتها الملكية وحليها وتقترب من بوابة العالم المنخفض، يتحداها هناك «نيهتي» حارس البوابات السبع، وبناء على أوامر «ارشيكيجال» عملاً بشرائع العالم المنخفض يجري تجريد إنانا من أرديتها بالتدريج، كلما عبرت احدى البوابات السبع، إلى أن تمثل أمام ارشيكيجال والأنوناكي (حكماء العالم المنخفض السبعة) يسلط هؤلاء عليها «عيون الموت» فتتحول إلى جثة وتعلق على وتد.

حين تنقضي الأيام الثلاثة ولاتعود إنانا ينفذ نينشوبور ماأمر به، يرفض انليل وإنانا التدخل لكن انكي ينفذ بعض العمليات السحرية التي تبعث الحياة في جثة إنانا، ومن أوساخ أظافر أصابعه السحرية يخلق كائنين غريبين هما «الكورجارو» و«الكالاتارو» اللذان لايعرف معنى لاسميهما، ويرسلهما إلى العالم المنخفض حاملين، أغذية الحياة وماء الحياة، ويطلب منهما نشر أغذية الحياة وماء الحياة على جثة إنانا ستين مرة، وتبعث الالهة حية حين ينفذ الكائنان الأوامر، لكن شرائع العالم المنخفض تنص على عدم خروج أحد من هناك دون تقديم البديل ومن هنا تمضي الأسطورة لتصف صعود إنانا إلى أرض الأحياء مصحوبة بأرواح حارسة تتولى نقل البديل الذي ستقدمه إلى العالم المنخفض، تطلب الأرواح نينشوبور أولاً ثم «شارا» إله اوما، ثم (لاتاراك) إله «باديتبيرا» فتنقذهم إنانا على التوالي.

هنا ينقطع النص كما هو معطى في كتاب «نصوص الشرق الأدنى القديمة» لكن كرامر يضيف في حاشيته، للأسطورة ملحقاً مدهشاً تم اكتشافه مؤخراً، طبقاً لذلك المقطع من الاسطورة تصل إنانا ومرافقوها من الأرواح إلى مدينتها... فتجد زوجها دوموزي وهنا لايعرض نفسه فداء لها بتواضع الآخرين، فتسلمه بالتالي إلى الأرواح لكي تهبط به إلى

العالم المنخفض، يتوسل دوموزي إلى «آنو» إله الشمس كي يطلق سراحه، وهنا ينقطع النص ثانية.[١٣]

اسطورة خطبة إنانا:

تعالج هذه الأسطورة التنافس الأزلي بين نمطي الحياة الزراعية والرعوية. توشك إنانا أوعشتار، في مستهل الأسطورة على اختيار زوج... ويتوزع اختيارها بين دوموزي الراعي الاله، وبين انكميدو الفلاح ـ الاله، يفضل آتو، شقيق إنانا وإله الشمس ـ اختيارها لدوموزي، لكن دوموزي يظل مصمماً على نيل إنانا، وينجح في بغيته كما يبدو، مادامت مختلف الأساطير، كما رأينا، تقدم دوموزي كزوج لانانا، كما ورد في معالجة «كرامر» للاسطورة...

تقول الأسطورة: إنانا ترفض بادىء الأمر الراعي دوموزي لصالح منافسة الفلاح انكميدو، مما كلف دوموزي عناء غير قليل في حملها على تغيير رأيها، وكان اوتو، إله الشمس يميل إلى تزويج اخته من صديقه الراعي، فهو يقول:

لم أنت معرضة ياإنانا العذراء عن الراعي؟
اختاريه ياأختاه زوجاً لك.
فهو صاحب اللبن الطيب، والزبد الشهي.
وكل ماتعمله يداه جميل.

فلا تعدلي عن دوموزي زوجاً ياأختاه.
غير أن اخته «إنانا» تؤثر الفلاح على الراعي وتقول:
لن يكون الراعي زوجاً لي
ولن يمسني وإن كان في أبهى حلله الصوفية
ولن أرضى لي زوجاً بديلاً عن الفلاح
هذا الذي يزرع الخضروات والشعير والقمح.
ويكتئب الراعي لايثار الفلاح عليه ويزيد من كآبته أنها فضلت الفلاحة على الرعاية،

---

١٣ ـ صموئيل هنري هووك، منعطف المخيلة البشرية، ترجمة صبحي حديدي، اصدار دار الحوار ـ اللاذقية، طبعة أولى عام ١٩٨٣ / ص ١٦ ـ ١٧ /.

http://al-maktabeh.com

فيأخذ في عقد موازنة بينه وبين غريمه ويقول:

«ايتميز عليّ الفلاح؟
وبأي شيء يتميز عليّ انكميدو؟
وإني لأملك من صوف أبيض وأسود
مثل مايملك من نسيج أبيض وأسود
ولبني خير من خمره».

ويطمئن الراعي إلى هذا، ويسوق بين يديه قطيعه إلى الحقل، فيرى الفلاح ومعه «إنانا» وتقع عليه إنانا فتقول له:

«ألا تكف عن مطاردتي أيها الراعي
وحسبك إني تركتك ترعى في حقلي
وتأتي على غلة مزارع أوروك
وتشرب خرافك ماء سواقيّ
لقد اصطفيت الفلاح زوجاً
وعلى الرغم من أنك لن تكون صديقاً للفلاح
فلسوف أقدم لك القمح والخضروات»[14]

وهكذا تنتهي الأسطورة بمصالحة الطرفين، ولكن «كرامر» يقدم ترجمة تختلف نهايتها حيث يتزوج دوموزي إنانا، إذ يدعو دوموزي الفلاح إلى حفلة العرس:

«أنا الراعي، عند زواجي،
أيها الفلاح، سوف أعدك صديقاً لي
أيها الفلاح انكميدو، صديقاً لي،
أيها الفلاح، صديقاً لي، سوف أعدك صديقاً لي».

يسر الفلاح سروراً عظيماً، ويعد بأن يأتي من نتاج حقوله بهدايا مناسبة للعروس:

«سوف آتيك بحنطة، سوف آتيك بفول،
سوف آتيك بعدس،
أيتها العذراء بكل مايليق بك،
أي إنانا العذراء حباً و. . . فولاً سوف آتيك»

---

١٤ ـ ثروت عكاشة. الفن العراقي القديم، سومر وبابل وآكاد، اصدار المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت. بلا تاريخ / ص ٧٦ ـ ٧٧ /.

وفي النهاية، يفلح دوموزي تماماً في اقناع عروسه المرتقبة بواسع ثرائه وأملاكه، لكنها مع ذلك ظل يخامرها ريب في نسبه، وهكذا نجد في قصيدة نشرت حديثاً إنانا تجري نقاشاً مع عاشقها، مدعية بأنه لولا أمها ننجال واختها، سيدة القصب المقدس، وأبوها إله القمر

سن، وأخوها إله الشمس اوتو، لكان دوموزي طريداً في الأزقة والسهوب بلا سقف يظله، لكن دوموزي يطيب خاطرها:

«أيتها السيدة الشابة لاتبدئي خصاماً.
أي إنانا، ليصل كلامنا في هذا إلى نهايته،
أي إنانا، لاتبدئي خصاماً.
يامليكة القصر، لنتشاور فيها بيننا،
أبي طيب مثل أبيك،
أي إنانا، ليصل كلامنا في هذا إلى نهايته،
أمي طيبة مثل أمك،
يامليكة القصر لنتشاور فيها بيننا
جَشتي نانا طيبة مثل...
أي إنانا، ليصل كلامنا في هذا إلى نهايته.
أنا طيب مثل اوتو،
يامليكة القصر لنتشاور فيها بيننا
انكي طيب مثل سن
أي إنانا ليصل كلامنا في هذا إلى نهايته،
سرتور طيبة مثل بنجال.
يامليكة القصر لنتشاور فيها بيننا

ولحسن الحظ، تضيف الأسطورة لم يؤد هذا الخصام إلا إلى اشتداد عاطفة العاشق:
«الكلمة التي نطق بها،
كلمة رغبة،
مع بدء الخصام،
تأتي رغبة القلب»[١٥]

---

١٥ ـ س. كريمر «طقوس الجنس المقدسة» عند السومريين، ترجمة: نهاد خياطة، سومر للدراسات والنشر والتوزيع ـ قبرص ١٩٨٦، / ص ١٠٨ ـ ١٠٩ ـ ١١٠ / .

http://al-maktabeh.com

أساطير بابل:

وفي بابل، ونطلق هذه التسمية على الفترات الآكادية والبابلية القديمة، والآشورية التي تلت العهود السومرية، ونجد أنفسنا أمام مجموعة ضخمة من النصوص فيها من غنى وسمو المعنى الالهي لدرجة أننا لانسمح لأنفسنا بحصره في أمثلة قليلة.
للاله سن تقول صلاة بابلية:

«أيتها الثمرة التي خلقت نفسها...
لاحدود لعظمتك
أنت الأم التي ولدت كل شيء
أنت الأب الرحوم المملوء بالطيبة
بيدك تمسك حياة العالم أجمع
أيها الاله...
إن ألوهيتك تتفجر عظمة كما السماء
واتساعاً كما البحر».

إن العديد من النصوص البابلية، وصلت إلينا مكتوبة بخط الناسخين الآشوريين، وتنحدر من مكتبة الملك الآشوري «آشور بانيبال» ولقد قال البروفيسور سيدني سمث:

«من المؤكد أن الناسخين الآشوريين انشغلوا بتحويل الأدب الذي استعاروه من اللغة البابلية من أسلوب السلالة الأولى، التي حكمت بابل إلى الشكل الذي نجده عليه في مكتبة آشور بانيبال». كانت آلهة آشور كافة معبودة في بلاد بابل، وكانت الاحتفالات الدينية الآشورية تقام في الأوقات ذاتها وبالطريقة ذاتها السائدة في بلاد بابل.
أما عشتار في هذه الفترة، بصفتها ربة الجمال، نظيرة إنانا السومرية، وهي نجمة الزهرة، ومن المعروف أن نجمة الزهرة، استحوذت، منذ أقدم الأزمان على مشاعر الأدباء، وتركت أثراً واضحاً في النصوص الكتابية، والآثار الفنية، ولأنها آلهة الخصب أيضاً، بما في ذلك نمو الزرع وكثرة المحاصيل، لذا فقد رسمها الفنانون القدامى على بعض الأختام الأسطوانية، وهي تجلس على كومة من الحبوب أو تمسك بالمحراث.
على أن أبرز الصفات التي اشتهرت بها عشتار في كل الأزمان كونها آلهة الحب، والجمال والجنس، ونستطيع الحصول على صورة لربة الجمال من خلال الدمى الكثيرة التي صنعها الفنانون القدماء، وماكتبه عنها الشعراء والأدباء... فهي شابة ممتلئة الجسم ذات صدر

بارز، وقـوام جميـل وعينـان مشرقتان، وهي أيضاً، على قسط كبير من الجمال، وإضافة إلى ذلك كانت تتصف بالرقة والعطف على الناس وبالحنو على المرأة.

ولا بأس من إيراد احدى الترانيم البابلية التي قيلت في مدح الآلهة عشتار، لنتعرف من خلالها على بعض من تلك الصفات التي كانت الآلهة تجمعها في شخصيتها.[١٦]

«الحمد لله . . . لأكثر الآلهات رهبة
والاجلال لسيدة الشعوب، لأعظم آلهة بين آجيجي[١٧]
لقد ألبست السرور والحب
وحُملت بالحيوية والسحر والرغبة
عشتار قد ألبست السرور والحب
وحملت بالحيوية والسرور والرغبة:
حلوة الشفتين (و) في فمها الحياة
(و) وعند ظهورها يكتمل السرور
هي الجليلة وعلى رأسها وضعت الحجب
قوامها جميل وعيناها مشرقتان

* * * * * * * * * *

الآلهـة ـ معهـا المستشـار ـ وفي يدهـا تمسـك بمصير كل شيء وفي نظرتها تجد الفرحة
والعظمة والاله الحافظ والملاك الحارس.
إنها تركن إلى الرحمة والمودة وتهتم بها
وإلى جانب ذلك فإنها تتصف حقاً بالرضا
وتصون (المرأة) سواء كانت أمة أم حرة أم والدة

* * * * * * * * * *

من ذا الذي يوازيها في العظمة؟
عشتار، من ذا الذي يوازيها في العظمة؟
أحكامها قوية ومعظمة وجليلة.

* * * * * * * * * *

---

١٦ ـ كتبت هذه الترنيمة في القرن السابع عشر قبل الميلاد، وعلى وجه التحديد زمن الملك البابلي آمي ديتانا (١٦٨٣ ـ ١٦٤٧ ق.م) بمناسبة توليه السلطة على ما يبدو.

١٧ ـ مجموعة من الآلهة التي مازالت معلومات علماء الآثار عنها قليلة جداً.

http://al-maktabeh.com

هي المنشودة من بين الآلهة، مقامها عظيم
وكلمتها محترمة (و) سامية بينهم
عشتار مقامها عظيم بين الآلهة
وكلمتها محترمة وسامية بينهم.

* * * * * * * * *

هي ملكتهم وهم باستمرار ينفذون أوامرها
كلهم يسجدون أمامها
ويستقبلون نورها أمامها
النساء والرجال يعبدونها حق العبادة.

* * * * * * * * *

كلمتها قوية في مجلسهم: إنها العليا.
(عشتار) تسندهم أمام آنو ملكهم.
تركن إلى العقل والفطنة والحكمة
إنهما يتبادلان المشورة هي وسيدها

* * * * * * * * *

وفي قاعة العرض يجلسان سوية
في القاعة المقدسة، منزل الفرح،
يأخذ الألهة أماكنهم أمامها
ويصغون بإمعان إلى أقوالها»[١٨]

لقد أعطيت عشتار، صفات حسنة في كثير من الأناشيد البابلية، ووصفت بأنها «ملكة السماء» وأنها «نور العالم»:

«عشتار نور العالم ونور السماء
التي تحنو إلى التعساء وتنصف المظلومين
التي تنير كل الأماكن حيث يسكن البشر

---

١٨ ـ حوليات سومر، العدد (٢٩)، لعام ١٩٧٣، د. فاضل عبد الواحد علي / ص ٣٥ ـ ومابعدها / .

وتجمع معاً جيوش جميع الأمم.
حكمتك تفوق ادراكنا
حيث تشعين، يبعث الأموات إلى الحياة،
والكسحاء، ينهضون ويمشون
وتخف آلام المرضى،
حين تلقين نظرك على وجوههم
كبيرة هي عشتار
لاأحد يمكنه أن يضاهيها
عشتار تستبقي حياة الأسير وتقي من تعثر
وهي التي تذل المستكبر.
وترفع المهان».

ويتردد اسم عشتار في كثير من النصوص البابلية بصفتها آلهة الحب والجنس أيضاً، مثلما كانت في الفترة السومرية، ونجد ذلك في بعض التنميات التي كانت تقال في المناسبات الخاصة، من ذلك، ماكان يقال إلى من هومقبل على الزواج:

«عسى أن تمنحك إنانا زوجة دافئة
الأطراف تضطجع لك،
وعسى أن تمنحك أولاداً أقوياء السواعد وأن تجد لك منزلاً سعيداً».

آلهة الحرب:

ومن الصفات المهمة الاخرى التي اشتهرت بها عشتار، كونها إلهة الحرب عند سكان بلاد مابين النهرين، حتى أنهم لقبوها بسيدة الحرب، وسيدة المعركة. ومن الغريب حقاً أن تجمع آلهة الحب في شخصها مثل هذه الصفة التي تتناقض كلياً مع صفتها الأولى والرئيسة أي كونها إلهة الحب والجنس، وليس هناك من تفسير أكيد لظاهرة التناقض هذه.

فبعض الباحثين يرى أن في ذلك «تبلور لفكرة مفادها أن عشتار كانت على صلة بحياة الانسان، سواء عندما تفنى في خضم المعركة أوعندما تخلق في لهيب العاطفة وإتصال الجنسين. ومنهم من يعزو هذه الازدواجية إلى أن عشتار، وهي نجمة الزهرة التي تظهر أحياناً عند المساء، وأحياناً وقت السحر، ربما قد أثرت

http://al-maktabeh.com

بطريقة أو بأخرى، فأكسبتها صفة التناقض. وفي اعتقاد الدكتور فاضل عبد الواحد علي، أن هذا التناقض في شخصية الالهة عشتار لايستبعد أن يكون ناتجاً عن التقاء مفهومين متباينين عنها أصلا، الأول، والأرجح أنه الأقدم في وادي الرافدين، يجعل منها آلهة للحب والجنس، والثاني ولعله من المفاهيم التي جاء بها الساميون، يجعل منها آلهة للحرب، ومعنى ذلك أنه بمرور الزمن ونتيجة لامتزاج المفاهيم السومرية ـ السامية الخاصة بالآلهة إنانا (عشتار) فقد أصبحت هذه الآلهة توصف تارة بأنها ربة الحب، وتارة اخرى بأنها ربة الحرب، ولذلك نجد أن «آلهة الحرب» أصبحت من الصفات التي لم يقتصر إطلاقها على عشتار في النصوص الأكادية وغيرها، بل أطلقت على إنانا في النصوص السومرية أيضاً.(١٩)

ونجد إشارات إلى الآلهة إنانا (عشتار) بشخصيتها الجديدة «آلهة الحرب» في النصوص المسمارية، كما نجدها ممثلة على بعض الآثار الفنية في مختلف الفترات التاريخية اللاحقة. ونذكر من ذلك على سبيل المثال لا الحصر، أن الملك السومري أوتو جيكال (٢١٢٠ ـ ٢١١٤ ـ ق.م) ادعى في وثيقة حربه مع الكويتيين أن الآلهة إنانا «لبوة الحرب» هي التي أعطته السلاح لسحق الكويتيين وطردهم من البلاد.

غير أن فترة سيادة الآشوريين كانت من دون شك من أشهر الفترات التي بلغت فيها الآلهة عشتار منزلة عظيمة باعتبارها آلهة الحرب، حتى أنها أصبحت إلهة الامبراطورية، في هذا المضمار، وأصبحت كل من مدينة نينوى وأربيل من المراكز الرئيسية لبعاديتها. وقد وصلتنا نماذج كتابية متنوعة مما يلقي الضوء على «عشتار آلهة الحرب» عند الآشوريين ونذكر من ذلك على سبيل المثال مجموعة من الأقوال الالهية، من زمن الملك الآشوري آسرحدون (٦٨٠ ـ ٦٦٩ ق.م) التي أوحت بها الآلهة إلى نسوة من اربيل، بعضهن من كاهنات المعبد، والتي يتضح من خلالها مقدار الثقة التي كان يضعها الملوك الآشوريون في آلهتهم عشتار في أمور الحرب لتحقيق النصر على الأعداء.

ومن الكتابات المهمة بهذا الشأن أيضاً نص من زمن الملك آشور بانيبال، ويعود تأريخ تدوينه إلى عام (٦٤٨ ـ ق.م). ويتضمن أقوال الآلهة عشتار إلى الملك، ويظهر من النص أن الملك الآشوري قد قصد معبد الآلهة في أربيل، ليتعبد إليها ويسألها العون على خصمه (تأومان) ملاك عيلام، ومن الطريف أن

---

١٩ ـ نفس المصدر السابق / ص ٥٣ / .

أقوال الآلهة قد صيغت بشكل حلم رآه كاهن معبدها في أربيل، فقصه في اليوم التالي على الملك، إذ جاء في النص: «لما سمعت الآلهة عشتار تنهداتي الحائرة قالت لي: لاتخف، فملأت (بذلك) قلبي ثقة، ثم قالت: إنني رحيمة بقدر ما ارتفعت يداك للصلاة، واغرورقت عيناك بالدموع. وفي الليلة التي مثلت فيها أمامها (عشتار)، نام العرّاف ورأى حلماً، وعندما أفاق (أدرك) أن عشتار كانت قد أرته رؤيا في الليل، فقص عليّ (مارأى) وقال: جاءت عشتار التي تسكن أربيل والكنائن تتدلى عن يمينها وشمالها، كانت تحمل القوس بيدها، وكان السيف مشهوراً للمعركة، وكنت واقفاً أمامها، فكلمتك وكأنها أمك التي ولدتك. لقد نادتك عشتار المعظمة بين الآلهة وأعطتك الوصايا التالية:

«سوف تكمل انجاز أوامري، وإني سأتقدم حيثما وليت وجهك، إنك قلت لي ياسيدة السماء دعيني أذهب معك حيثما تذهبين». ثم أضافت قائلة: ستبقى أنت هنا حيث مسكن الاله نابو، كل الطعام واشرب الخمر واستمتع بالموسيقى، وامدح آلوهيتي، في حين اذهب أنا وأنجز تلك المهمة لأجل أن تنال مايصبو إليه قلبك، وليس هناك مايبرر شحوب وجهك، ولاتعب قدميك، ولاخيبة قوتك في ميدان المعركة. (ثم) ضمتك إلى صدرها الحبيب وحمت كل جسمك، (ورأيت) ناراً تشتعل أمامها آنذاك، إنها ستزحف إلى جانبك لقهر أعدائك. إنها توجهت ضد تأومان، ملك عيلام، الذي حقدت عليه».

وقد تناول الفنانون أيضاً شخصية عشتار «إلهة الحرب» على بعض الأختام الاسطوانية والقطع الفنية، وكانت تمثل عشتار وهي تحمل أسلحتها، وتتخذ وضعية توحي للناظر بأنها في حركة، وأن في شخصها القوة والشباب. وفي الغالب تتسلح آلهة الحرب بالسيف المقوس، والصولجان ذي الرأسين، وهناك أسلحة اخرى تُشاهد بارزة خلف كتفها، وتظهر هذه الأعمال الفنية وخاصة الأختام، آلهة الحرب، وهي تخطو بإحدى قدميها إلى الأمام بينما تضع قدمها الأخرى فوق الأسد، حيوانها المفضل، وتشاهد في أعمال فنية اخرى، وهي تقف على أسدين.

وفي متحف اللوفر بباريس، مسلة حجرية، عُثِر عليها في تل برسيب، شمال سورية ويعود تاريخها إلى القرن الثامن قبل الميلاد، ويظهر على المسلة صورة منحوتة لآلهة الحرب عشتار وهي متسلحة وواقفة على ظهر أسد يبدو كأنه في حالة

http://al-maktabeh.com

السير إلى الأمام، ترفع يدها اليمنى إلى مستوى الوجه، وكأنها بذلك تعطي أوامر الزحف.»[٢٠].

جلجامش وعشتار

إن الحديث عن عشتار، يقودنا إلى الحديث عن قطعة أدبية فريدة، تصف لنا كيف أن آلهة الحب والجنس، قد أحبت الملك جلجامش، والحقيقة فإن هذه القطعة التي نحن بصددها، لم تصلنا بشكل تأليف مستقل، وإنما كانت جزءاً من ملحمة جلجامش الشهيرة، حيث أنها شملت الرقيم السادس كله.

إذ تذكر الملحمة أن جلجامش، بعد رجوعه ظافراً من معركته الرهيبة مع هواوا، العفريت الموكل بحراسة غابات الأرز، خلع ملابسه واغتسل، ثم ارتدى ثياباً نظيفة، وتمنطق بالحزام، ووضع التاج على رأسه، وآنذاك نظرت إليه الآلهة عشتار فأسرها جماله، وأدهشتها رجولته، وأعجبت به أشد إعجاب، ولذلك فإنها عرضت عليه أن يتزوجها قائلة:

«تعال ياجلجامش وكن عريسي
هبني ثمارك هدية.
كن زوجاً لي وأنا زوجة لك.
سآمر لك بعربة من لازورد وذهب
عجلاتها من ذهب وقرونها من كهرمان
تشد إليها عفاريت العاصفة بغالاً عظيمة.
وملفوفاً بشذى الأرز تدخل بيتنا
فإذا دخلت بيتنا،
قبلت المنصة قدميك والعتبة،
وانحنى لك الملوك والحكّام والأمراء،
يضعون غلة السهل والجبل أمامك، تقدمة.
ستحمل عنزاتك توائم ثلاثاً، ونعاجك مثنّى
سيبز حمار أثقالك البغال،

---

٢٠ ـ نفس المصدر السابق / ص ٥٥ /.

وخيول عرباتك، وتطبق الآفاق شهرة جريها
أما ثيرانك فلن يكون لها تحت النير نظير».

وكان من المتوقع إزاء هذه العروض المغرية أن يرضى جلجامش بالزواج من عشتار أو أن يعتذر بلطف، ولكن مما يدعـو إلى الاستغراب والتساؤ ل أن يتطاول جلجـامش على الآلهـة عشتـار فيكيـل لها سيـلاً من الشتـائم وأن يشهـر بها أفظع تشهير، فقال مخاطباً عشتار العظيمة:

«ماعساني أعطيك لو تزوجتك؟
هل أعطي الزيت لجسدك والكساء؟
هل أعطي الخبز والغذاء؟
(...) طعاماً يليق بآلوهيتك،
(...) شراباً يليق بجلالك.
(ينكسر الرقيم المسماري المكتوب، في هذا الموضع ولثلاثة أسطر)
(ماهو نصيبي) لو تزوجتك؟
(ماأنت إلا موقد تخمد ناره) وقت البرد.
باب خلفي، لايحمي من ريح أو عاصفة.

قصر يسحق الأبطال (من حُماته).
حفرة يخفي غطاؤ ها كل غدر.
قار يلوث حامله
قربة ماء تبلل حاملها.
حجر كلسي هش (؟) في سور صخري
حجر كريم (...) في بلاد الأعداء.
صندل ينزل به منتعله.
أي حبيب أخلصت له أبداً؟
وأي راع أفلح يرضيك دوماً؟
تعالي أفضح لكِ حكايا عشاقك:
على تموز زوجك الشاب،
قضيت بالبكاء عاماً إثر عام
أحببت طائر الشقراق المرقش،

ثم ضربته فكسرت منه الجناح،
وهاهو في الفيضات ينادي: واجناحي.
أحببت الأسد الكامل القوة،
ولكنك حفرت له مصائد سبعاً وسبعاً
أحببت الحصان السبّاق في المعارك
ولكنك قدّرت عليه السوط والمهماز،
وأن يجري سبع ساعات مضاعفة،
وأن يشرب من ماء العكر،
وقدّرت على أمه سيليلي النواح.
أحببت راعي القطيع،
الذي ماانفك عن تكويم الفحم من أجلك
في كل يوم يزبح لك جدياً،
ولكنك ضربته فمسخته ذئباً
يلاحقه أبناء جلدته وتعض كلابه ساقيه،
أحببت اليشو لانو بستاني نخل أبيك
الذي ماانفك يجلب لك عناقيد البلح،
ويقيم في كل يوم مائدة عامرة،
فرميته بلحظك، ومضيت إليه قائلة:

أي اليشو لانو، دعنا نتمتع بقوتك،
مد يدك والمس خصرنا.
عندها، قال لك اليشو لانو:
ماهذا الذي تسألين؟
ألم تخبز لي أمي؟ ألم آكل أنا؟
حتى أقرب خبز المصيبة واللعنة؟
وهل تحمي من الزمهرير عيدان القصب؟
فلما سمعت منه هذا القول،
ضربته فمسخته خلداً،
وجعلته يسكن وسط الـ (. . .).

لايستطيع نزولاً إليّ . . . ولاصعوداً إليّ . . .
فإن أحببتني، ألا يكون نصيبي منك كهؤلاء؟» .

بهذا الرد الذي ينطوي على السخرية والتشهير، سرد جلجامش مغامرات عشتار وصور عدم إخلاصها لأي منهم، والنهاية المحزنة التي انتهت إليها كل منهم، وكان طبيعياً أن تثور عشتار غاضبة وأن تفكر في الانتقام لنفسها منه :

«عندما سمعت عشتار ذلك،
تفجر غضبها وعرجت إلى السماء .
مضت إلى حضرة أبيها آنو،
مضت إلى حضرة أمها آنتوم .
أبتاه، لقد شتمني جلجامش» .

ثم تطلب من أبيها إله السماء أن يخلق لها ثوراً سماوياً يستطيع منازلة جلجامش والقضاء عليه، وقد هددت الآلهة أباها، أنه إذا رفض الاستجابة إلى طلبها فإنها «ستحطم أبواب العالم السفلي فيخرج الأموات ليأكلوا الأحياء . . . » وحاول آنو أن يبين لابنته عشتار أن خلق الثور المطلوب سيكون نذيراً بحلول سبع سنين عجاف في البلاد بحيث لايجد الناس طعاماً ولا الحيوانات علفاً .

غير أن عشتار طمأنته بأنها اتخذت الحيطة لذلك فخزنت مايكفي الناس من الطعام، والحيوانات من العلف، وإزاء إصرار ابنته عشتار لم يجد الاله آنوا بدأً من خلق الثور السماوي وإنزاله في مدينة الوركاء .

وتعتبر الحوادث التالية من الملحمة من أقدم وأمتع ماحفظته الكتابات المسمارية عن مصارعة للانسان مع الثور، إذ تذكر الملحمة أن الثور السماوي انطلق يفتك بالناس في مدينة الوركاء، حتى انه كان يقتل مئات منهم في كل خوار، وكان لزاماً لايقافه عند حده أن يتصدى له جلجامش مع رفيقه انكيدو، وكانت الآلهة عشتار متحمسة بالطبع لمتابعة النزال عن كثب، فاعتلت شرفات سور المدينة، ويذكر الرقيم السادس من الملحمة أن الثور هجم أول الأمر على انكيدو، فتصدى له الأخير وحاول أن يمسك به من قرنيه إلا أن الثور قذف زبده في وجه انكيدو، ومن ثم لطمه بذيله الثقيل، ويبدو من سياق النص المشوه في هذا الموضع أنه مرت لحظات حرجة، كان البطلان خلالها في حيرة من الأمر ولكن في النهاية استطاع انكيدو من أن يمسك به من قرنيه، وبين مؤخرة الرأس والقرنين، غير جلجامش

http://ar-maktabeh.com

نصله. فلما رأت عشتار ماحل بثورها خاطبت جلجامش قائلة: «الويل لك ياجلجامش، لأنك (أمعنت) في إهانتي بقتلك الثور السماوي» عندما سمع انكيدو من عشتار ماقالت، انتزع فخذ الثور الأيمن ورماه في وجهها قائلاً: «لو استطعت بك امساكاً، لنالك مني مثل ماناله، ولربطت أحشاءه إلى وسطك[٢١]».

لاشك في أن ماقاله جلجامش عن ماضي عشتار وماقاله انكيدو لها من عبارات جارحة كان تشهيراً واضحاً بالآلهة، وإذا ماعرفنا أن اسم عشتار يرتبط أصلاً بطقوس الخصب التي تؤكد على أهمية الجنس لاستمرار الحياة، فيكون من المعقول أن يتساءل المرء إذا كان استهجان جلجامش يعكس بالضرورة رد فعل اجتماعي، على الأقل من وجهة نظره، لبعض القضايا الطقسية التي كانت تجري باسم الآلهة في معابدها.

ويقول الدكتور فاضل عبد الواحد علي وإذا كان السبب لثورة جلجامش على آلهته أمراً يكتنفه الغموض، فإنه من الواضح بأن مؤلف الملحمة، إن صح استعمال مثل هذا التعبير، قد تعمّد وضع حوادث الفصل السادس بالصورة التي جاءت بها لتكون مسببات مسبقة لما سيجري في الفصل التالي له من الملحمة، فخلق الثور السماوي كان الغرض منه انزال العقاب بجلجامش لاهانته للآلهة عشتار، ثم أن قتل الثور كان مدعاة، هو الآخر لمعاقبة الرفيقين انكيدو وجلجامش[٢٢].

من خلال هذا نرى أن مكانة عشتار الرمز، كانت تتغير أحياناً من عصر لآخر تبعاً لتغير السلالات الحاكمة، فيعلو شأن هذا الاله أو ذاك، ولكن من الملاحظ أن مكانة عشتار، ظلت مزدهرة (مع اختلاف درجة هذا الازدهار) خلال كل عصور التاريخ القديم اللاحقة وبدون انقطاع... كما أن (الوظيفة) تتغير من زمن إلى زمن، فمثلاً في زمن الآشوريين بلغت عشتار (آلهة الحرب) منزلة عظيمة، حتى أنها أصبحت آلهة امبراطورية في هذا المضمار، وقد قدمت لنا نتائج التنقيب الأثري، نماذج كتابية متنوعة، مما يلقي الضوء على عشتار آلهة الحرب عند

---

٢١ - اعتمدنا على الترجمة الجديدة للوح السادس ملحمة جلجامش على قراءة فراس السواح في كنوز الأعماق، العربي للطباعة والنشر، الطبعة الأولى - دمشق ١٩٨٧. علما بأننا رجعنا أيضاً إلى ترجمة الأستاذ طه الباقر.

٢٢ - حوليات سومر، العدد (٢٩) لعام ١٩٧٣ / ص ٦٤ - ٦٥ /.

الأشوريين، وقد بقيت عشتار مشهورة أيضاً بكونها آلهة للحرب إلى العصور التاريخية اللاحقة. . . فهناك ترنيمة مسمارية يعود تاريخها إلى العصر البابلي الحديث، مدونة باللغتين السومرية والأكادية ويدور موضوعها حول تمجيد الألهة إنانا (عشتار) وإعلاء شأنها على يد آنوإله السماء وتوصف الألهة إنانا في الرقيم الرابع من الترنيمة بأنها «آلهة الحرب» وتشبه «بالسهم الذي ينفذ إلى القلب والرئتين، وإنها الألهة التي تمرست في فنون الحرب، فأصبحت تتحكم في المعركة، وكأنها دمية في يدها» وتذكر الترنيمة أيضاً أسلحتها الالهية كالفأس المزدوجة، والسيف والقوس والسهام والدرع».

هبوط عشتار إلى العالم السفلي:

كما في الرواية السومرية، كذلك في الشكل البابلي من الاسطورة، لايعطى سبب لهبوط عشتار إلى العالم المنخفض، ولكن في نهاية القصيدة، وبعد إطلاق سراح عشتار، يتم تقديم تموز باعتباره شقيق عشتار وعشيقها، دون تفسير لسبب وجوده في العالم المنخفض، وتدل الأبيات التالية ضمناً على عودة تموز إلى أرض الأحياء وملاقاته بالابتهاج، ومن شعائر تموز وحدها نعرف بسجن تموز في العالم السفلي، وبالاقفار الذي سببه غيابه عن أرض الأحياء، وفي الرواية البابلية لهبوط عشتار إلى أرض لاعودة منها نعثر على وصف لفشل تام للخصوبة الجنسية بسبب غيابها: «لاثور يقفز على بقرة ولاجحش يحمل أتاناً، وفي الشارع لايخصب الرجل الصبية». بهذه الكلمات يعلن «بابسوكال» وزير كبار الألهة غياب عشتار بلا عودة، وآثار غيابها، ويتبع وصف هبوط الآلهة كما في الرواية السومرية في خطوطها الرئيسية، ولكن هناك اختلافات جديرة بالاعتبار، حين تقرع عشتار بوابة العالم السفلي تهدد بتقويض البوابة وتحرير الأموات الأقدمين في العالم السفلي إذا لم يسمح لها بالدخول، ويصف مقطع مفعم بالحيوية ذلك المشهد:

«أي حارس البوابة، إفتح البوابة،
إفتح بوابتك كي يتسنى لي الدخول!
فإذا أحجمت عن فتح بوابتك لتمنع دخولي
فسأهشم الباب ـ سأحطم المزلاج ـ
سأهشم عضادة الباب ـ سأهز الأبواب.

http://al-maktabeh.com

سأوقظ الموتى من سباتهم ـ آكلي الأحياء ـ
حتى يفوق عددهم عدد الأحياء».

في هذه الأسطورة تبدو عشتار شخصية أكثر عداء، وتهديداً مما هي عليه في الأسطورة السومرية، كذلك نجد في تهديد عشتار باطلاق الموتى على الأحياء تصويراً للفزع البابلي من الأشباح، وهي سمة ملحوظة في دينهم وتظهر في العديد من تعاويذهم، وكذا تمرّ في البوابات السبع، تُجرد من جزء من أرديتها عند كل بوابة كما في الأسطورة السومرية، لكن الأسطورة البابلية، تغفل الوصف المقبض لتحولها إلى جثة هامدة بفعل «أعين الموت» المشؤومة، لكنها لاتعود في كل الأحوال، ثم يوجه «بابسوكال» التماسه السابق إلى كبار الآلهة، ورداً على هذا التوسل يخلق «أيا» وهو انكي في الأسطورة السومرية «أسوشونامير» الخصي ويرسله إلى «ارشكيجال» (وهي إلهة العالم السفلي، وأخت عشتار) لاغوائها باعطائه سِهلة ماء الحياة. وينجح سحره في ذلك، فتطلب ارشكيجال على مضض أن يقوم وزيرها «نامتار» بنثر رذاذ ماء الحياة على عشتار. يطلق سراح عشتار وتعود بعد استرداد مواد العبادة والأردية التي أخذت منها عند عبورها البوابات السبع، في رحلة العودة، ولكن هناك إشارة إلى الفدية التي يتوجب عليها دفعها.

تقول ارشكيجال لنامتار: «إذا لم تعطك ثمن افتداها فعذبها من جديد». ولاتحدد ماهية الفدية، لكن ذكر تموز في نهاية الأسطورة كأنه يبدو وكأنه يستبطن عودته من العالم السفلي، رغم غياب الاشارة إلى كيفية وصوله إلى هناك، ويبدو من مسار تطور الأسطورة، أن هبوط تموز إلى العالم السفلي جاء ليستأثر بأهمية متزايدة، ليرتبط بموت وولادة النبت.[٢٣]

عشتار في العصر البابلي الحديث:

لقد بقي اسم عشتار بارزاً في العصر البابلي الحديث (٦٢٥ ـ ٥٣٩ ق.م) وكدليل على أهمية الالهة عشتار في هذا العصر نذكر على سبيل المثال أن اسمها أطلق على واحدة من أشهر بوابات العاصمة بابل، وهي البوابة الشمالية الغربية

---

٢٣ ـ صموئيل هنري هوك. منعطف المخيلة البشرية. ترجمة: صبحي حديدي / ص ٣٢ ـ ٣٣/.

التي تعـرف اليـوم باسم «بـوابة عشتار»[24] والتي سمّاها البابليون أنفسهم بـ «عشتار قاهـرة أعـدائهـا» والتي قدر لها أن تكـون من الآثـار الخـالدة في حضارة بلاد مابين النهـرين. وقـد كان لعشتـار أهميتهـا من الـوجهة الدينية لسكان مدينة بابل، لأنها كانت المكـان الـذي تنطلق منه مواكب الاحتفالات بمناسبة رأس السنة، وهي تمر في شارع الموكب لتعرج من بعد ذلك إلى قطاع معبد مردوخ، إله مدينة بابل.

أمـا من الـوجهـة الفنية فإن بوابة عشتار تعتبر بحق من روائع الفن العراقي القـديم وخـاصـة في زخـارفهـا الحيـوانيـة البـارزة والملونـة. ويبلغ ارتفاعها حوالي / ٤٧ / قدمـاً. وقـد بنيت من الآجـر المـزجـج، وزينت برسوم على الآجر المطلي باللون الأزرق، وتمثـل هذه الـرسـوم حيوان التنين والثور في صفوف متناوبة، ومن المعروف أن الأول كان يرمز إلى الاله مردوخ، أما الثاني فإنه يرمز إلى الاله حدد، وتتجلى الروعة في رسومات الحيوانات هذه في دقة التعبير وتناسب الألوان، فجسم التنين مطلي باللون الأبيض، أمـا لسـانـه البـارز ومؤ خـرتـه ومخـالبه فإنها باللون الأصفـر، ورسـوم الثيران مطلية باللون البني الداكن في حين طليت قرونها باللون الأخضر ونهايات ذيولها بالأزرق.[25]

المرأة في حياتها العامة:

قدمت لنـا المخلفـات الأثـريـة الكثـيرة، معلومات وافرة عن حياة الانسان وعاداته وتقاليده وفنونه وغير ذلك... ومن خلال نظرة سريعة إلى تلك المخلفات الحضـاريـة، نرى أن أهـل بابـل كانـوا يتميزون بسواد شعرهم، وسمرة ألوانهم، وكـانـوا رجـالاً ونساء يطيلون شعر الرؤوس، ويتخذ الرجال منه ضفائر يرسلونها على أكتافهم، شأن النساء سواء بسواء، ومن لم يملك منهم الشعر الطويل، جعل على رأسـه (شعـر مستعـار) يغنيـه عن الشعـر الطبيعي الطـويـل، وكانوا يرسلون لحاهم، جاعلين من ذلك مايميزهم عن النساء بعد أن شابهوهن في غيرها، وكانوا

---

٢٤ ـ بوابة عشتار موجودة الآن في متحف برلين، حيث نقلتها البعثة الألمانية التي نقبت في بابل، وقد نقلت هذه البوابة بعد تجزئتها إلى قطع صغيرة بلغت حمولتها / ٦٤٩ / صندوقاً، وقد أعيد بناؤها مجدداً وفق المخطط القديم.

٢٥ ـ د. فاضل عبد الواحد علي، مصدر سابق / ص ٦٩ /.

http://al-maktabeh.com

جميعاً يحبون العطور، كما كانوا يأتزرون بمآزر من الكتان الأبيض، تغطي الجسم إلى القدمين، وتفارق المرأة الرجل بتركها إحدى كتفيها عارية، وكانت نعالهم على أشكال جميلة.[٢٦]

في عصر حمورابي، نرى النساء يتجملن بأنواع من الحلي كالقلائد والأساور، كما نراهن يصففن شعورهن، ويعقدون عليها تيجاناً من الخرز.

أما المرأة الآشورية، فتدل آثارها المتبقية على أن المجتمع الآشوري لم يحفل بها كثيراً لندرة ظهورها على الساحة العامة، ومع ذلك تبين بعض النصوص الأثرية المكتشفة، أنه على السيدة المتزوجة، والفتاة التي تنتمي إلى أب آخر، أن تضع عباءة تسفر عن وجهها فقط عند الخروج إلى الطريق، وعلى العاهر والخادم أن تظل سافرة، وإلا عوقبت بالجلد، وصب القار على رأسها.[٢٧]

في كنف العائلة البابلية، غالباً ماكان يسكن الأولاد مع زوجاتهم وأطفالهم في كنف الوالدين، لذلك كان من المحتم في هذا الجو أن تكون الطاعة هي الفضيلة الكبرى ضمن الأسرة. حيث يقف الفرد في المركز من دوائر متلاحقة من السلطة: (أبيه وأمه، أخيه الأكبر، أخته الكبرى) وبحوزتنا نشيد يصف عصر الطاعة هذا:

«يوم يحجم المرء عن السفاهة إزاء غيره ويكرم الأبن أباه، يوم يبين الاحترام جلياً في البلاد، ويبجل صغير القدر الكبير، يوم يحترم (؟) الأخ الصغير... أخاه الكبير.

ويرشد الولد الأكبر الولد الأصغر، ويتمسك (الأخير) بقراراته. ويوصّى الرافدي القديم دائماً بأن «اسمع كلمة أمك، كما تسمع كلمة إلهك» و«احترم أخاك الأكبر» و«اسمع كلمة أخيك الأكبر كما تسمع كلمة أبيك» و«لاتغضب قلب اختك الكبرى.».[٢٨]

كان البيت عادة في بابل القديمة مملكة النساء اللواتي كن نادراً مايغادرونه، إذ أن الرجال عند تملكهم العبيد يشترون الحاجيات البيتية بأنفسهم، وكان الرجل

---

٢٦ ـ د. ثروت عكاشة، مصدر سابق / ص ٢٢ /.

٢٧ ـ المصدر السابق / ص ٣٨ /.

٢٨ ـ هنري فرانكفورت، مصدر سابق / ص ٢٣٩ /.

البابلي يكتفي بزوجة واحدة فقط بالرغم من أنه كان يملك حق اتخاذ نساء أخر كزوجات اضافيات، وانجاب الأطفال منهن، وكانت النساء يقضين أوقاتهن بتربية الأطفال وغسل الملابس والطبخ وإعداد الطعام وكذلك الغزل والحياكة، وكذا كان ثمة أغنام أو ماعز ودواجن في البيت فكن يقمن بالعناية بها وكانت النساء يساعدن الرجال في الأعمال الزراعية لاسيما في مواسم الحصاد والبذار، وأما الرجال فكانوا يقضون قسماً من وقتهم خارج البيت، في العمل في السوق أو الحديث واللعب مع الأصدقاء والمعارف.

وكانت المرأة من العائلات الغنية لاتمد يدها إلى الأعمال البيتية بل كانت تخدم من قبل الآخرين، وكانت تقضي معظم وقتها بالعناية بنظافتها وجمالها أو الالتفات إلى الأعمال المريحة، وكان على الوصيفة أن تقوم بـ(غسل أرجل السيدة) وحمل كرسيها إلى المعبد، وتمشيط شعرها وتسريحه ومساعدتها دوماً.

ففي الزمن البابلي الحديث، عندما تزوج «نبوخذ نصر» ابنة استياجيت ـ ملك الميديين، احس في زوجته حنيناً إلى خضرة بلادها الجميلة، وضيقاً بحر بابل اللافح فبنى لها تلك الحدائق ليعوضها مافاتها، وكانت المياه ترفع إليها من الفرات في أنابيب، وتدفع إليها الماء بالات تديرها جماعات الرقيق، وكان ارتفاعها نحواً من اثنين وعشرين متراً، غطى سطحها بطبقة ثقيلة من الطمي بحيث تكفي لاستنبات الأزهار، بل الأشجار. وكانت نساء القصر تخرجن إلى تلك الحدائق غير محجبات، إذ كن في هذا القصر العالي، بمأمن من الأعين، ومن حولهن الأزهار العطرة ومن تحتهن السهول وشوارع بابل، وأزقتها تعج بالناس يكدون ويعملون[٢٩].

وللعناية بنظافة جسد وشعر الرجل والمرأة، كانت تستعمل زيوت تكسبهما النعومة والطراوة، وكانت الزيوت المعطرة غالية، إذ أنها كانت تستورد من الخارج، وكان يفضل عادة زيت السرو والآس والسدر لرائحته الجيدة، وللغسل كان يستعمل الصابون الذي يتكون من أوكسيد الصوديوم أو البوتاسيوم الممزوج بالزيت أو الطين الحر الجيد، وكان البابليون يتخذون من حين لآخر حمامات بخارية ساخنة، وكان الرجال، كما هو عليه الأمر بالنسبة إلى النساء يعتنون بتسريحة شعرهم وكانت الموضة في تغير مستمر، . . . وبالنسبة إلى النساء كن

---

٢٩ ـ د. ثروت عكاشة، مصدر سابق / ص ٤٦/ .

http://al-maktabeh.com

يفخرن بتسريحتهن القصيرة المجعدة التي كانت تتموج إلى الأسفل، وتشد بشريط واحد فقط، وكانت هذه التسريحة تلقى استحساناً كبيراً، وكان التجميل واستعمال العطور من الأمور اليومية، وكان للنساء مختلف ألوان التجميل يحتفظن بها داخل أوعية طينية أو حجرية أو داخل أصداف نقشت بنقوش فنية جميلة، وكن يستعملن الصبغ الأسود للحواجب والأهداب، والأخضر لظلال العين، والأحمر للشفاه والخدود. وكان من الأمور الاعتيادية أيضاً صبغ باطن اليد والأرجل بالحناء ورسم الوشم على الجلد، وكن يحملن حقائبهن النحاسية المغلقة بحلقة صغيرة بشكل دائم، وكانت تحتوي على منقش وسكين وملقط لتنظيف الأذن. ومن الأمور التي كانت لاتنسى مرآة اليد البرونزية والمشط المصنوع من الخشب والعاج[٣٠].

كانت ملابس الرجال والنساء متشابهة ولها نفس الطول، وكان ثمة رداء فضفاض يصل إلى الركبة، وكانوا يرتدون ـ النساء إيضاً ـ ثوباً لامعاً مخططاً بأكمام قصيرة، وكان عند النساء يصل إلى الأرض، وكان بالامكان ارتداء سترة فوق هذا الثوب، وللوقاية من البرد كان يلقى على الكتفين معطف صوفي قصير، وكان يمكن للمرء، حسب ذوقه أن يشد حزاماً مزخرفاً ويلم به أطراف ثوبه.

كانت النساء المتزوجات يخفين شعرهن إذا خرجن إلى الشارع تحت منديل للرأس ويغطين وجههن بحجاب شفاف، وكان لهن الحق قانونياً بارتداء العباءة التي كانت بمثابة علامة تفرقهن عن الرقيق والبغايا اللواتي حرم عليهن ذلك كعقاب صارم، أما الحلي فكانت مرغوبة في كل العصور سواء عند النساء أو الرجال، وكانت الزينة ووزن الحلي تعكسان ماتتمتع به العائلة من يسر ووضع اجتماعي.

أما أحسن هدية تقدم إلى المرأة فهي سوار مصنوع بدقة من البرونز أو الفضة أو قلائد من الخرز تتدلى منها قطع مزخرفة وجميلة. وكان الرجل الغني يتميز بحليه التي يعتز بها كالخواتم والأساور الذهبية... أما الفقراء فإنهم يكتفون بعدة أساور نحاسية خفيفة، وبسيطة للذراع مع قلائد تتألف من أحجار ملونة.

وفي موادهم الغذائية، فإن البابليين يفضلون الأكلات النباتية، كالبصل

---

٣٠ ـ د. ايفلين كلنكل ـ رحلة إلى بابل القديمة ـ ترجمة: د. زهدي الداؤوي دار الجليل دمشق ١٩٨٤ / ٥٤ ـ ٥٨/.

والخيار والقرع والبطيخ . . . وكانوا يطبخون أنواع المرق من حبوب الفاصولياء واللوبياء والعدس والذرة والشعير، والمادة الرئيسية هي الخبز الذي كانت النساء تعده، ويستعمل لهذا الغرض فرن اسطواني (التنور) يدفن غالباً في الأرض، ومواد الوقود تتكون من روث البهائم المجفف، إلا أنها لاتصلح لتسخين التنور ولذلك كانوا يستعملون الخشب والفحم الخشبي وبعد أن يسخن الفرن كانت أقراص العجين تلصق بالجدار الحامي، أما أقراص الخبز فرقيقة جداً، حيث كان بالامكان عند الأكل قطعها قطعاً صغيرة، وفي مقدمة الفواكه التي يتناولها البابليون التمر والرمان وكذلك الفواكه . . .

أما منتوجات الحليب فمرغوبة جداً، وتقدم على شكل جبن أولبن مخثر وكانت النساء يحضرن أنواع الأكلات اللذيذة ويضفن إليها العسل واللوز والفستق والزيت والتوابل. ولأيام الأعياد كن يعددن الحلويات والفطائر الحلوة المحشوة بالتمر والتين واللوز.

كانت الحرف القديمة والضرورية، تعتمد بالدرجة الأولى على المنتوجات الحيوانية، وكان غزل الصوف من واجب النساء في البيوت، أما المعابد التي كانت تملك قطعان المواشي فلها مجموعة كبيرة من الرقيق أو العاملات بالأجرة للقيام بالعمل. أما عملية النسج فكانت من عمل الرجال، وكانت الأقمشة البابلية المعروفة حتى في الخارج تصنع بواسطة نول أفقي بسيط، ويصنع الخياطون الملابس قبل كل شيء للقصر الملكي والكهنة والوجهاء، أما الفقراء فكانوا يخيطون ملابسهم في بيوتهم بأنفسهم، وكانت الملابس التي تخرج من عند الخياط ثمينة ومطرزة بشكل فني عالٍ، ومزخرفة بالمعادن الثمينة واللآلىء.

وكانت في المعابد ثمة حركة خياطة واسعة، ذلك أن تماثيل الآلهة كانت تحتاج إلى ملابس جديدة في الأعياد والمناسبات، ولأن ألوان صوف الماعز والغنم اقتصرت على الأبيض والبني والأسود لذا توجب صبغها بألوان مستخرجة من النباتات أو المعادن وللملابس الثمينة أضيفت خيوط من الذهب تعطي للملابس شكلاً جذاباً . [٣١]

---

٣١ ـ نفس المصدر / ص ٩٧ / .

http://al-maktabeh.com

المرأة والقوانين والشرائع :

لدى البحث عن آثار سكان مابين النهرين، وجدت مجموعات كبيرة من الوثائق والقوانين والشرائع التي لها علاقة مباشرة بالمرأة والأسرة، وتعد شريعة أو قانون حمورابي (سادس ملوك سلالة بابل الأولى ـ ١٧٩٢ ـ ١٧٥٠ ق.م)[٣٢] أكمل تشريع مكتمل الجوانب عرفه البشر في القرن الثامن عشر قبل الميلاد، وهي تتميز بأسلوبها الجلي وبإيجازها الدقيق وصياغتها القانونية، ويمكن الرجوع إليها عند دراسة المجتمع البابلي من نواحي مختلفة، وهي تحتوي على / ٢٨٢ / مادة مرتبة ولكنها غير متسلسلة حسب المواضيع المتناولة.

تجدر الاشارة أن حمورابي لم يكن أول من وضع القوانين، بل كانت قبله منذ مئات السنين، ولاسيما بعد ظهور المجتمع الطبقي والفروق الكبيرة بين الفئات الاجتماعية حيث نظمت قواعد معينة للتعامل سرعان ماتخذت طابع الضرورة، فمثلاً عقوبة الموت، فقد نظمت في حالات كثيرة، منها في حالات هدم الحياة الزوجية.

ومن القضايا الانسانية التي تطرق إليها قانون حمورابي، حالة خطف الأولاد، وقد أولاها الأهمية بحيث أوقع عقوبة الاعدام على الخاطف لتكون رادعاً، متناسباً مع خطورة هذه الجريمة وتأثيرها على عائلة المخطوف والمجتمع، فالمادة / ١٤ / من القانون تقول: «إذا سرق سيد الابن الصغير لسيد آخر فيجب أن يعدم».

وكان يحق للمرأة من الوجهة العملية أن تفارق زوجها، وإن لم يكن من حقها أن تطلقه إذا أثبتت قسوته عليها مع إخلاصها له، وكان في وسعها في هذه الحال أن تعود إلى أهلها، وأن تأخذ معها بائنتها، وماعسى أن تكون قد حصلت

---

٣٢ ـ هناك أرقاماً مختلفة، حول فترة حكم الملك حمورابي، ملك بابل، فمن المؤرخين من يقول بين عامي (١٧٢٨ ـ ١٦٨٦ ق.م) وبعضهم الأخر يجعله بين (١٧٩٢ ـ ١٧٥٠ ق.م) وثمة من يضعه بين (١٩٣٠ ـ ١٨٨٨ ق.م). وهذا راجع إلى الاختلاف في تفسير المصادر المتوفرة حالياً ـ وقد رجحنا كفة التاريخ الثاني، لأنه أكثر تداولاً في الكثير من المصادر.

عليه لنفسها بعدئذٍ من متاع، وهنا تجدر الاشارة أن نساء انكلترا لم تحصل على هذه الحقوق إلا في أواخر القرن التاسع عشر.[٣٣]

كان يسمح للبابليين في العادة بقسط كبيرة من العلاقات الجنسية قبل الزواج، ولم يكن يضن على الرجال والنساء أن يتصلوا اتصالاً غير مرخص به «زيجات تجريبية» تنتهي متى شاء أحد الطرفين أن ينهيها، ولكن المرأة في هذه الحالات كان من واجبها أن تلبس زيتونة ـ من حجر أو طين محروق ـ دلالة على أنها محظية. وتدل بعض الكتابات المسمارية على أن البابليين كانوا يغنون الأغاني الغرامية، ولكن هذه القصائد لم يبق منها إلا سطر هنا وسطر هناك، كانت تستهل به القصيدة أو الأغنية كقولهم: «إن حبيبي من نور» أو «أن قلبي مليء بالمرح والغناء» ولدينا خطاب يعود تاريخه إلى عام ٢١٠٠ ق.م، : «إلى بيبيا. لعل شمس ومردوك يهبانك صحة أبدية... لقد أرسلت (استفسر) عن صحتك، فخبريني كيف حالك، لقد وصلت إلى بابل، ولكني لاأراك، إني في أشد الحزن»[٣٤]

وكان الآباء هم الذين يهيئون الزواج الشرعي لأبنائهم، وكان الطرفان يقرانه بتبادل الهدايا، فكان الخطيب يتقدم إلى والد العروس بهدية قيمة، ولكن الوالد كان ينتظر منه أن يهب ابنه بائنة أعظم قدراً من الهدية، وفي نفس الوقت كان الأب هو الذي يختار الزوج لابنته، ويقدم مهراً للزواج في حين كان على العريس دفع مبلغ معين كمهر للعروس، يبقى عند الأب، وبعد ذلك يجري العقد كتابة، وإلا فإن الزواج يعتبر غير شرعي، وهذا نموذج لعقد من العهد البابلي القديم:

«(إن) عشتار ـ اومي، ابنة بوزازوم ولاماسساتوم، قد اتخذا وارد زين ابن أبي زين من أبيها... شريكته العائلية، (وقد) أعطى وارد ـ زين لبوزازوم وللأماسساتوم ٣ / ٢ رطل من الفضة، مع عبد واحد كمبلغ للشراء، وفي كل الحالات لا يحق لبوزازوم وأماسساتوم وأولاد بوزازوم بأية مطالبة لعشتار، إذا ترك وارد ـ زين عشتار ـ اومي، فينبغي عليه دفع رطل فضة، وإذا تركت عشتار اومي وارد ـ زين فإنها ستلقى من فوق البرج على الأرض، ويحلفان بالآلهة شمس وأيا وبمدينة سبار وبالملوك بأنهما لن يبديا أية معارضة».

---

٣٣ ـ ول ديورانت ـ قصة الحضارة ج ٢ ـ ترجمة محمد بدران / ص ٢٣٣ / .

٣٤ ـ نفس المصدر / ص ٢٣١ / .

http://almaktabeh.com

وبعـد ذلـك يوقـع خمسـة عشر شاهداً على وثيقة عقد القران، ويجد المرء في نصـوص الطـلاق مختلف الشـروط، وقد كان من الصعب جداً على المرأة أن تبادر بالمطالبة بالطلاق، إلا إذا أهملت من قبل زوجها إهمالاً كبيراً، وكذا لم يعترف أحد بشكواها فإنها كانت تلقى في النهر أو تقتل بطريقة اخرى لتقديمها الاتهام الكاذب حول زوجهـا، وكـان الـرجـل لايستطيـع أن يترك زوجـه بدون أن يقدم الأسباب المشـروعـة، ويجب عليـه في كل الأحـوال أن يدفـع لها نفقة الطلاق مع المهر، ومن الأسبـاب المهمـة الـداعية إلى الـطلاق عدم الانجاب، أو إصابة المرأة بمرض عضال، وعلى الرجل في هذه الحالة أن يضمن معيشتها، وكان حق النفقة يسقط إذا أثبت الرجل كون زوجته مبذرة أو مهملة، وحتى أنه يستطيع في بعض الحالات تحويلها إلى عبدة.

كان يسمح للرجل أن يتخذ إلى جانب زوجته الرئيسية عدة زوجات إضافية وكن يخضعن قانـونيـاً إلى الـزوجة الرئيسية، وكانت ثمة وصائف يقوم أصحابهم باتخاذهن عشيقات، وكن يبقين حتى النهاية كعبدات حتى لو أنجبن أولاداً، ومن الممكن أن يعتقن بعد وفاة الزوج.

وإذا اعـتـرف الـرجـل بأولاد العبـدات علناً، فإنهم في هذه الحال يكتسبون حق الوراثة كما هو عليه بالنسبة إلى المرأة الشرعية ويصبحون أحراراً، وكان الزواج مسمـوحـاً به لكـاهنـات المعبد، على أن لاينجبن أولاداً، ولذلك كن يجلبن عبدة لهذا الغرض إلى بيت الزوجية، أن معظم الكاهنات يملكن ثروات طائلة لهذا فإن الرجال كانوا يندفعون إلى الاقتران بهن، وتبقى العبدات في كل الأحوال في المركز السفلي.[٣٥]

ومن أهم أسبـاب الـزواج البـابـلي انجـاب أكـبر عدد من الأولاد الـذين يستطيعـون بعـد وفاة الوالدين انجاز الواجبات المطلوبة لأرواح الموتى، وإذا كانت العـائلة لاتملك طفـلاً تقـوم بتبني أطفـال آخـرين، ليتمكنـوا من القيـام بتلك الواجبات، وثمة قوانين عديدة حول مسألة الوراثة، منها أن الأولاد يتمتعون بحق الوراثة.

وأما البنات فكن يأخذن حصتهن على شكل هبة، وعلى الزوجة أن تبقى في البيت فقط، ولها حق الاحتفاظ بمهرها بالاضافة إلى الهدايا التي تسلمتها من

---

٣٥ ـ د. ايفلين كلنكل، مصدر سابق / ص ١٢٢ ـ ١٢٣ /.

زوجها، وكان الأبن الأكبر يحصل على حصة الأسد من الارث، وغالباً مايحصل على دار والديه، أما بقية الارث فتقسم بشكل متساوٍ بين الأخوان، وفي قوانين العهد البابلي الحديث فروق بين الزوجة الأولى، والثانية الشرعيتين، حيث يحصل أولاد الزوجة الأولى على نسبة ٣ / ٢ وأولاد الزوجة الثانية على نسبة ٣ / ١ من الارث وتقسم بينهم.

من خلال هذا كله نستطيع القول أن مركز المرأة الاجتماعي في العهد البابلي كانت على عكس ماحاول تصويره بعض المؤرخين القدماء، فقد كانت بشكل عام غير مسلوبة الحقوق، إذ أنها عملت في مجالات اجتماعية كثيرة، فكانت توقع على العقود، ولها ختمها الخاص، واحتلت بعض المراكز في الادارة العامة، وكان من حقها أن تمتلك الثروة وتستمتع بدخلها، وتتصرف فيها بالبيع والشراء، وأن ترث وتورث، ومن النساء كما دلت المكتشفات الأثرية، من كانت لهن حوانيت، يتاجرن فيها، بل أن منهن من كن كاتبات، وفي هذا دليل على أن البنات كن يتعلمن كالصبيان.

المرأة في الأمثال القديمة:

تعكس الأمثال، فيما تعكس، ارهاصات الفرد العاطفية وقلقه النفسي، وبعضاً من قيمه ومثله التي تطبع شخصيته... وقد أصبح لهذا الجانب الأدبي، أهمية خاصة... وقد وصل إلينا من خلال ترجمات الرقم المسمارية الكثيرة مجموعة من هذه الأمثال التي يعود بعضها إلى منتصف الألف الثالث قبل الميلاد وحتى العصور اللاحقة، ومنها مايتعلق بالحالة الاجتماعية، وبصورة خاصة الأسرة وعمادها المرأة. وهي تعكس لنا صورة لمجتمعات حضارية ناضجة، يخيل إلينا ونحن نقرأ المثل، وكأن قائله يعيش مفاهيم العصر الحالي المتقدم يقول المثل القديم: «تزوج حسب اختيارك، وانجب أطفالاً كما يرغب به قلبك».

ولو استعرضنا أمثال مجتمعنا المعاصر، لوجدنا المثل السومري في قسمه الأول يتناسب مع المثل القائل «خذ الأصيلة ونام على الحصيرة» حيث المثل السومري يقول: «الأصل... الأصل...» وهذا مايشير إلى أن الزواج لدى

http://al-maktabeh.com

السومريين لم يكن دائماً من أجل المنافع المادية، بل بدافع الحب والرغبة الانسانية[٣٦]

أما الأبوة وحنانها اللذان يؤلفان جزءاً بارزاً لايستغنى عنه بالنسبة للأسرة، فحضارتنا القديمة، تعبر عن ذلك بأمثال تعكس لنا حنان الأبوين وتضحياتهما من أجل أبنائهما، وقد عبر السومري عن ذلك بمثله القائل: «البقرة (تسير) في المستنقع (إلا) أنها تترك العجل يسير فوق الأرض اليابسة».

وليست التضحيات الجسمية، ونكران الذات، هي السمة الوحيدة التي تتصف بها ظاهرة الأبوة، بل هناك الحنان والحب والتعلق، الذي ينشأ بين الأبوين وأبنائهما، ففي أحد الأمثال السومرية:

تتحدث الكلبة قائلة بفخر: «إذا كان لأطفالي لون ضارب إلى الصفرة أو لون داكن، (فمهما يكن من شيء) إنني أحب صغاري» وهنا يخطر ببالنا المثل الشعبي القائل: «القرد بعين أمه غزال».

وهناك بعض الأمثال السائدة كمردودات متوقعة تدل على قيم انسانية رفيعة ، وهناك عبارات وأقوال سائدة تنطلق من المرء عند لحظات الغضب والمرارة، وكثيراً ماتأتي بشكل دعاء بالشر أوماأشبه ذلك، ففي المثل السومري: «الطفل العاق، ليت أمه لم تلده، وليت الرب لم يخلقه».

وهناك بعض الأمثال التي تشير إلى أهمية التعاون والتآزر، لخلق علاقات وطيدة بين أفراد الأسرة الواحدة، لبناء كيانها، ففي هذا الصدد يقول المثل السومري:

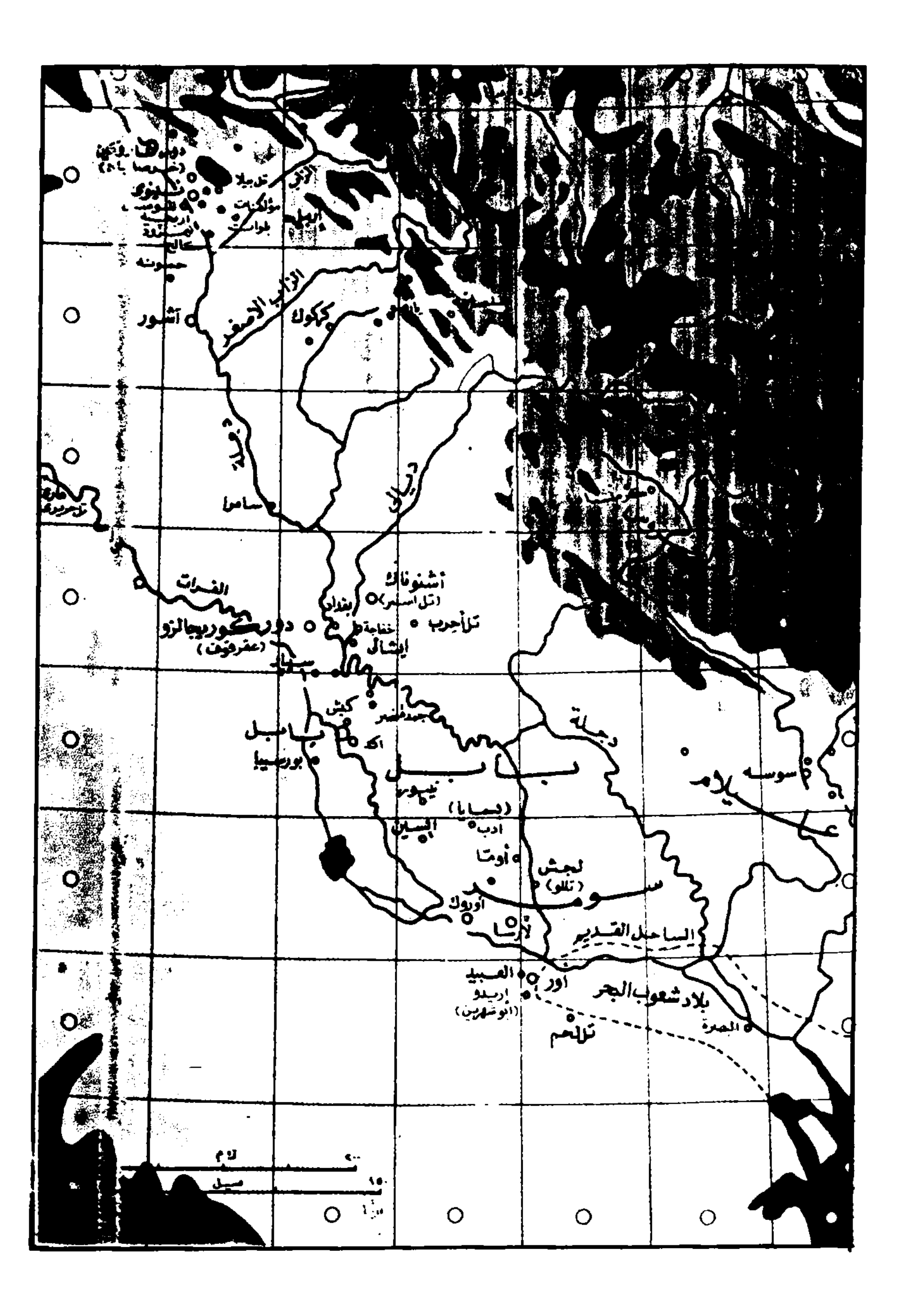
«عندما تضاف يد إلى يد، فإن بيت الانسان يبنى، وإذا أضيف فم إلى فم، فإن بيت الانسان يحطم».

والزوجة هي عماد البيت والأسرة، فيجب عليها أن تكون مدبرة ماهرة، فيما يتعلق بأمور بيتها المعيشية، وإلا فهي وبال يحل في البيت، ويحيله إلى دمار تهون عنده جميع قوى الشر، وفي هذا المعنى يقول المثل السومري: «الزوجة المبذرة التي تعيش في بيت هي أسوأ من جميع الأشرار».

---

٣٦ ـ سومر العدد / ٢٩ / لعام ١٩٧٣ ـ ص ٨٣ ومابعدها / .

http://al-maktabeh.com



تل بيلا
نينوى
بلوات
كالح
آشور
الزاب الأصغر
كركوك
دجلة
ديالى
سامرا
الفرات
أشنونا
(تل اسمر)
بغداد
تل أجرب
خفاجة
ايشالي
دور كوريجالزو
(عقرقوف)
كيش
جمدة نصر
بابل
اكد
بورسيبا
ب ا ب ل
نيبور
(بسمايا)
ادب
أوما
لجش
(تللو)
سومر
أوروك
لارسا
الساحل القديم
العبيد
أور
اريدو
(ابوشهرين)
تل لحم
البصرة
سوسه
عيلام



http://al-maktabah.com

نموذج لوجه فتاة سومرية لعلها الأميرة أو الملكة شوباد بحليها الأصلية (٢٥٠٠) ق.م.



شكل لآشور نشرات زوجة الملك آشور بانيبال.

عشتار إلهة الحب والجمال



امرأة جالسة على عرش يعلوها القرص المجنح من العاج
القرن الثامن ق . م (خرود ـ العراق) .

http://archivebeta.sakhrit.com

الفصل الرابع

المرأة في ماري ـ تل الحريري

تقع ماري ـ تل الحريري ـ على بعد / ١٠ / كم إلى الشمال الغربي من بلدة البوكمال، وعلى الضفة اليمنى لنهر الفرات العظيم، وكانت الصدفة وراء اكتشاف هذا الموقع الأثري الكبير، فقد عثر بعض البدو أثناء حفرهم قبراً في آب ١٩٣٢، على قطع من جسم تمثال كبير، وبلغ الأمر إلى سلطة الاحتلال الفرنسية، ومنذ أول موسم أثري قام به عالم الآثار الشهير «اندريه بارو» في كانون الأول من نفس العام، تمكن العلماء من تحديد هذا الموقع ومطابقته مع موقع معروف في نصوص بلاد مابين النهرين. . . إنها ماري، عاصمة مملكة عظيمة يعود تاريخها إلى عصر السلالات الملكية الأولى، حوالي الألف الثالث قبل الميلاد، وقد استمرت آثارها حتى العصر السلوقي (٣١٨ ـ ٦٤ ق. م) ومنذ ذلك التاريخ، تم الكشف عن أقسام كبيرة من هذه المدينة العظيمة، التي تبلغ أبعادها حوالي ستة آلاف من الأمتار المربعة. . .

كانت أول الاكتشافات في موقع ماري تماثيل كانت مقدمة إلى معبد الالهة عشتار وهي: تمثال الحاكم (ايبيه ـ ايل) وتمثال (ايدي ناروم) وتمثال (لمجي ماري). . وهذا الكشف كان مقدمة لاكتشاف صاحبة المعبد، «عشتار». . وقد استمرت مواسم التنقيب الأثري منذ ذلك العام، وحتى الآن، وأظهرت مكتشفات هامة نادرة، أثارت اهتمام الأوساط العلمية العالمية، فأسهمت دراساتها الكثيرة في ظهور مطبوعات بمختلف اللغات، وشكلت مكتبة اختصاصية تبحث في تاريخ حضارة الأموريين بشكل خاص وحضارات الشرق القديم بشكل عام في الألفين الثالث والثاني قبل الميلاد.

بفضل مكتشفات ماري الأثرية، تعرفنا على عاصمة عربية قديمة، كبيرة، وكشف النقاب عن حضارتها العظيمة، الغنية، الزاخرة بكل معاني الحياة الانسانية الراقية، وهذا ماأسفرته بجلاء ترجمات مكتبتها الغنية بالرقم الطينية، المدونة بالخط المسماري والبالغ عددها بين (٢٠ إلى ٢٥) ألف رقيم . . . إنها سجلات ماري الملكية، التي تؤلف مكتبة تنافس مكتبات نينوى أو اوغاريت أو بوغازكوي . . . لقد وجدت في كل ناحية من أنحاء القصر الملكي، وتولى الأستاذ «جورج «دوسان» مهمة ترجمة هذه الرقم، ونشر عنها مايزيد عن خمسة عشر مجلداً، وهذا بداية مشروع لايزال بعيداً عن الانتهاء.

إن لوحات ماري، برأي الدكتور «اندريه بارو» أشبه ماتكون بوثائق وزارة خارجية في القرن التاسع عشر قبل الميلاد، تظهر فجأة إلى النور مع أشخاص من لحم ودم، بعضهم غير معروف، وآخرون على العكس، مشهورون مثل ملك بابل «حمورابي» صاحب الشريعة الذي سنعرف شخصيته الحقيقية المليئة بالمتناقضات. فهو رجل قانون ومشرع ولكنه في الوقت نفسه سياسي ماكر وصولي، بل وعسكري ودبلوماسي ومخطط، و إلى جانبه لايوجد رجال كبار بين كبار الرجال فقط، بل يوجد آخرون يكتسبون أهمية جديدة مثل: (ريم ـ سن) من لارسا و (ايبال ـ بي ـ ايل) من أشنونة، و(شمشي حدد) من آشور وقد أدى تدفق هذه الشخصيات على مسرح التاريخ إلى مفاجآت . . . أن بعض الرجال الذين كان من المعتقد أنهم متباعدون في الزمن بعشرات من السنين، تبين أنهم في الواقع معاصرون، مثل حمورابي البابلي وشمشي ـ حدد الآشوري . . .

إذاً أدت سجلات ماري إلى تصحيح تأريخ الألف الثاني قبل الميلاد، وكان لها أثرها في تسليط النور الكامل على ماضٍ كنا نجهل ماهو أساسي فيه، وأمكن علماء الآثار أن يرسموا لوحة رائعة، حية، لاعن حياة الرجال الرسميين فحسب، بل عن حياة الناس العاديين أيضاً . . . عن حياتهم الاجتماعية والاقتصادية والدينية والسياسية . .

والسؤال الذي يطرح، في مجال بحثنا، ماذا عن المرأة؟! في هذه المملكة العربية السورية . . . الجواب يقدمه لنا ويقودنا إليه العالم الأثري «جورج دوسان» من خلال المراسلات النسائية، التي ترجمها وتضم / ١٧٩ / رسالة، الشخصية التي تحتل مركز الصدارة، هي بالتأكيد تلك التي تقول عن نفسها في رسائلها أنها «خادمة» الملك «مولاها» وهي «شيبتو» بنت ملك حلب ـ ياريم ـ ليم، وقد التقت

http://almaktabeh.com

بزوجها المقبل (زيمري ـ ليم) الذي التجأ إلى بلاط ملك حلب، ومملكة يمحاض بعد أن هرب من مؤامرات القصر.[1]

كانت الملكة تكتب هذه الرسائل إلى زوجها على الأغلب، عندما يكون في الريف، وخارج المدينة، في مهمة أو زيارة، أو جولة اطلاعية على أحوال الرعية، وقد استطاع علماء الآثار واللغات المسمارية القديمة، التعرف على / ١٧ / رسالة من رسائلها إلى زوجها، كما أنها تلقت عشرين رسالة منه. وقد عرفتنا هذه الرسائل على خصوصيات نسائية عذبة، رشيقة.

فتقرأ في إحدى الرسائل القصيرة: «كل شيء على مايرام، في ماري (المعابد والقصور). وفي رسالة اخرى تتمنى شيبتو لزوجها النجاح الباهر في الحرب، ولاسيما أن يعود إليها «سالماً معافى مسرور القلب». وبانتظار ذلك ترسل له معطفاً وثوباً، تؤكد أنهما من صنع يديها. وتضيف رجاءً أخيراً. «أن يضعهما على كتفيه». ورغم ذلك لانجد شيئاً يهز المشاعر أكثر من هذه الرسالة التي تشتمل على سبعة أسطر وتستحق أن تنشر بأكملها فهي تقول: «إلى مولاي، هكذا (تقول) شيبتو خادمتك: وضعت للعالم توأمين، صبياً وبنتاً، فلتفرح نفس مولاي». كان سرور الأب السعيد عظيماً جداً بلا ريب، ولكن للأسف لانجد الدليل الكتابي على ذلك ؟![2]

وكانت الرسائل تتوارد من الملك أيضاً، وهي تتضمن أنباء طيبة وتحمل

---

١ ـ تذكر الوثائق الأثرية. أن الملك زيمري ليم، كان طفلاً عندما أحضره إلى حلب أحد أوفياء بلاط أبيه، فلم ينج من ثورة القصر إلا هو، وثلاث من أخواته اللاتي خبأهن الأصدقاء فيما كان الأعداء يذبحون الملك وأفراد عائلته. وقد أصبحت ماري بعد ذلك في ظل الآشوريين، وبالرغم من أن الملك الآشوري (شمسي حدد) لم يستطع النيل من (زيمري ـ ليم) وهو في حلب، إلا أنه استطاع أسر اثنتين من بنات يحدون ليم (أخوات زيمري ـ ليم) ونقلهما إلى العاصمة آشور ليجعل منهن مغنيات وعازفات على الآلات الموسيقية في بلاطه ومنذ ذلك الحين لم يسمع أحد شيئاً عن مصيرهن. ومن يعلم لعلهن ماتتا هماً وغماً قبل أوانهن.

٢ ـ أندريه بارو «ماري» ترجمة د. رباح نفاخ. وزارة الثقافة والارشاد القومي ـ دمشق ١٩٧٩ / ص ١٧٥ / . وأيضاً مقالتي المنشورة في مجلة المرأة العربية، العدد / ٢٨٦ / تاريخ ٥ / ٨ / ١٩٨٦.

بشائر النصر ففي يوم واحد، تمكنت جيوشه من احتلال ست قرى من قرى بني يمين، وغنم منها أربعمائة وستة وسبعون ثوراً، وأربعة وثلاثون حماراً، وألفان ومائة وثلاثة وخمسون كبشاً وأصبح قسم منها طعاماً للمقاتلين، ووزع الباقي غنائم للجند، وقد أرسلت خيراتها إلى حظائر القصر.(٣)

من خلال هذه الرسائل تعرفنا أيضاً على الدور الذي كانت تلعبه الملكة في مملكة ماري. فهي التي كانت تدير شؤون القصر، وتختار من الصبايا، من تراها جديرة بتعلم العزف على الآلات الموسيقية، والبعض الآخر، ليتعلمن النسج والتطريز، وكانت تولي اهتمامها بغذاء الصبايا اللاتي اختر ن لتعلم العزف على الآلات الموسيقية، لكي يحافظن على حسنهن وشبابهن. وكانت الملكة تسهر على أمور توريد شراب العنب، ولاسيما أن حمورابي ـ ملك بابل، قد طلب من زوجها أن يبعث له بكميات من هذا الشراب الطيب.

وتصور لنا الدكتورة ايفاشتر ومنغر هذه الحادثة على الشكل الطريف التالي: جلبت الملكة (شيبتو) من مخازن القصر احدى عشرة جرة مختومة، وتناولت كأسا من ذلك الشراب، كي تتأكد بنفسها من طيب مذاقه وجودة نوعيته، فأرسلت عشر جرار إلى بابل، والجرة الحادية عشرة إلى ترقا ـ تل العشارة الحالية ـ حيث يقيم الملك زوجها (زيمري ليم)، في قصر الوالي هناك للاشراف على حملته العسكرية ضد قبائل بني يمين المتمردة.

بالرغم من أن الملكة ـ شيبتو ـ قد أخفت على زوجها بعض الهموم إلا أن بعض الأنباء،وصلت إلى مسامعه عن طريق الشائعات، فمثلاً، لم يبق عليه خفياً أمر مرض زوجته الثانية، وهذا مادعاه لتوجيه الرسالة التالية إلى زوجته ـ شيبتو ـ: «سمعت نبأ مرض (ناتامة) لكنها ظلت تنتقل في أرجاء القصر، وتختلط مع بقية الحريم، أرجو منك ياشيبتو الغالية أن تصدري الأوامر الفورية بأن لايشرب أحد من كأسها، وأن لايجلس أحد على مقعدها، وأن لاينام أحد في فراشها، وألا تختلط ببقية النسوة كي لاتنتقل عدوى مرضها إلى البقية».(٤)

من هذه الرسالة ندرك أن الملك زيمري ـ ليم، لم يكن متزوجاً بإمرأة واحدة

---

٣ ـ ايفاشترو منغر ـ «ماري أكبر حاضرة في سورية» منشورات المديرية العامة للآثار والمتاحف ـ دمشق ١٩٨٣ ـ تعريب الأستاذ: قاسم طوير / ص ٦٤ /.

٤ ـ المصدر السابق / ص ٦٧ /.

http://al-maktabeh.com

فقط، إذ تظهر في الرسالة أسماء كثير من النساء. قد يكن محظيات رسميات مثل: اينيشبينا، وبالاسونودام، هواسي، ولايستحيل أن يكون للملك مغامرات عاطفية، فهناك من تدعى (اينيبشاري) منفية إلى ناحور في أعالي البلاد، وهي لاتخفي رغبتها في رؤية وجه الملك مرة اخرى.(*)

ومن ذلك فالرسائل تؤكد بما لايقبل الشك أن الملك زيمري ليم، يحب امرأته، وهي تقابله بالمثل، فهي تستطلع الفأل، وتنقله إلى زوجها طالبة منه أن يحمي نفسه من كل مايهدده، وعندما تكون وحيدة في القصر، تتصرف كما لو كانت، السلطة بيدها شرعياً أنها بوجه الاجمال، وصية على العرش، ولهذا نرى البعض يوجهون الرسائل إلى «ملكتهم». ويسلك كيبري - داغان وايتور - آسدو، هذا المسلك بصورة طبيعية جداً، وهو مايقره زيمري ليم، صراحة، فهو يعتبر زوجته بكل تأكيد مندوبة عنه، وكانت الملكة، تضع ختمها الاسطواني الذي يحمل الكتابة التالية: «شيبتو، بنت يارليم - ليم.» على بعض الأبواب، وسلال اللوحات والمستودعات. حتى ناظر القصر - موكا نيشوم - لم يكن له الحق بالدخول إليها دون اذن الملكة، فهي تتمتع إذن بسلطة الأمراء فيها ولاجدل حولها. . . ونراها تملأ جيداً مركزها كـ «سيدة بيت». كما تشغل بجدارة العرش خلال غياب زوجها في سفر أغلب الأحيان، وفي كثير من الأحوال أيضاً في الحرب. . . إنها امرأة بكل ماتحمل الكلمة من دلائل وفضائل. . محبة وأم. . . إلى جانب زوجها تحميه، ومساعدة ممتازة لذلك الذي كان رئيس دولة كبيراً. ويتأكد لنا ذلك بشكل جلي من خلال ترجمات كثيرة لبعض الرقم المسمارية. . . من الأمثلة على ذلك، رسالة امرأة تشتكي إلى الملكة شيبتو:

«إلى شيبتو أقول مايلي:
هذا ماتفيدك به طريش - حطو،
أشاعت الفتاة بلطاني في ماري
وقالت أيضاً لوالدها كيبري - دجن (والي في منطقة ترقا - تل العشارة).
بأن طريش حطو كتبت إلى شخص هنا،
تطلب منه أن يسرق منها أقراطها وأساورها الفضية،

---

٥ - اندريه بارو، مصدر سابق / ص ١٧٦ /.

وعندما سمعت تلك الاشاعة اضطربت دقات قلبي

وأخذ مني الغضب.

أرجو ارسال من يلزم ليتثبت من صحة الختم على رسالتي المزعومة، وإذا كنت فعلاً قد أمرت بسرقة مجوهرات تلك الفتاة..

باسم صداقتنا يامولاتي أرجو منك أن تحيطي مولاي الملك بأمر هذا الافتراء، وبانتظار جوابك العاجل».

ونعرف أيضاً اسم فتاتين من أسرة زيمري ـ ليم هما: كير وم، ونارام توم، أولاهما تدعو أباها بـ «نجمتها» وفي نفس الوقت بـ «أبيها ومولاها» وهناك اختان، هما: نيغانوم وآحايتا أقل بهرجة في عباراتها، ولكنهما أكثر واقعية.

فالبطاقة التي أرسلتها أولاهما لاتفتقر إلى الفكاهة ولا إلى الصواب... كان الأخ قد رفض إعطاء أخته الخراف التي تطالب بها، لأن الفصل كان شتاء، ولايوجد عشب، وعندما نبت العشب، حان وقت إعطاء الخراف، ولم تتوان (نيغاتوم) عن المطالبة بها...

المرأة في وثائق ماري التجارية:

على ضفاف النهرين (الفرات والدجلة) ومنذ أقدم العصور التاريخية، قامت أور وأوروك وأريدو ولاغاش وأوما وماري... وامتلأت المنطقة بشبكة من المجاري المائية الطبيعية أو الاصطناعية، لتصلها مع عيلام ودلون (البحرين الحالية) في الألفين الثالث والثاني قبل الميلاد، ولتفيض مستودعات المعابد بالمنتجات المحلية والمواد المستوردة ويتم التبادل...

لقد كانت البضائع تنقل بواسطة السفن، وأن نصوص سلالة أور الثالثة، تدلنا على مدى ازدياد تجارة الحبوب، وكانت ماري من المدن الهامة في هذه التجارة... فقد حدثتنا الوثائق أن «العديد من العمال خلال أيام كثيرة يقومون بسحب السفينة الملأى بالحبوب من نقطة إلى نقطة اخرى، ثم يفرغونها ويعيدون تعبئتها وسحبها من تلك النقطة إلى اخرى.. وهكذا». وقد كانت النساء يكلفن بجر السفن وتعبئتها وتفريغها، كما ذكرت ذلك النصوص الآكادية.[٦]

وقد جاء في النصوص السومرية أن «أربعين امرأة من الأرقاء، فمن خلال

---

٦ ـ اندريه فينيه، الفرات طريق تجاري لمنطقة مابين النهرين، ترجمة: د. محمود حريتاني.

http://almaktabeh.com

ستة أيام بجر سفينة محملة بالتمور» وأن «أربعاً وثمانين امرأة اخرى قمن خلال عشرة أيام بتعبئة محصول حقل وجرّ وتفريغ سفينة، وقد حددت نصوص ماري موقع ترسانة هامة في مدينة توتول (تل البيعة الحالية، بالقرب من الرقة) لبناء السفن ذات حمولة (طن ونصف) فقط بسبب ضيق نهر البليخ. وقد حددت تشريعات الملك البابلي حمورابي في المادتين / ٢٧٥ و٢٧٦ / أجور السفن اليومية، والتي تختلف بحسب سير السفينة مع التيار أو ضده، فذكرت الأجر اليومي بثلاث حبات من الفضة للسفن النازلة، وحبتين ونصف للصاعدة. وأن وارد السفينة يشكل وحدة متكاملة صعوداً أو هبوطاً إلا أن السفينة بسيرها مع التيار تسير بسرعة أكثر وتعطي ربحاً إلا أنه ليس مستمراً. وأن المادة / ٢٧٧ / من التشريع. حددت أجر السفينة ذات حمولة / ٦٠ / غور، بثلاثين حبة من الفضة يومياً وقد اهتم تشريع حمورابي أيضاً بالغرامات المفروضة في حال اصطدام سفينتين، وجعل السفينة الصاعدة هي المسؤولة دائماً، كما فرض المهارة والمران، فيمن يقود سفينة ذات حمولة / ٦٠ / غور غير مزودة بمجازيف ومرساة ودفة، وقد ذكر نص أدبي يعود إلى النصف الأول من الألف الأول: «أراك كسفينة في عرض النهر، عصاتها مكسورة، وحبالها مقطعة؟».

كانت الحبوب أهم المواد المنقولة عن طريق النهر، وقد كتب زيمري ليم، ملك ماري إلى والد زوجته، ملك يمحاض (حلب) أن يرسل له سفناً محملة بالحبوب، تنقذ بلده من المجاعة، كما أن النبيذ كان ينقل من منطقة كركميش (جرابلس) ليس إلى ماري فقط بل إلى أبعد من مدينة بابل، والسمسم والعسل والماشية، وحتى أبراج الحصار والأسود المنقولة في أقفاص من الخشب.

وكانت هناك بعض الرسوم والجمارك وفرض عقوبات وحجز سفن، وقد كتب ملك كركميش إلى ملك ماري: «ها أنت ترى أن مركز توتول على البليخ قد حجز / ٣٠ / خروفاً و / ٥٠ / جرة نبيذ، حتى أنه حجز صاحب السفينة؟!، اكتب إذن إلى توتول لفك حجزها، وان في مملكتي قام الموظفون لدى سماعهم الخبر بحجز عدد كبير من البضائع المرسلة إلى ماري واخرى ذاهبة إلى توتول».

آلهة ماري ومعابدها:

كان للمرأة نصيباً كبيراً بين آلهة ماري ومعابدها، وهذا إن دلّ على شيء

فإنما يدل على اسهام المرأة في هذه المملكة السورية في مختلف الميداين، ودورها الكبير في الحياة الروحية والأساطير والتقديس. . .

وفي ماري استمر التقليد الذي وجدناه في أكثر من مشهد في حضارة بلاد مابين النهرين. حول تسلم مقاليد الحكم من الالهة عشتار. . . فهذا التقليد مارسه الملك زيمري ـ ليم (١٧٧٩ ـ ١٧٦١) قبل الميلاد، فنراه في نصب تذكاري مصور يتسلم شارات الحكم من الالهة عشتار. . . فلقد كشفت التنقيبات الأثرية في قصر ماري العظيم، عن رسوم جدارية ملونة، يصور أحدها مراسيم تتويج الملك، والمشهد الذي نحن بصدده ـ الآن ـ جزء كبير، ينقسم إلى عدة حقول، ويظهر في الحقل الوسطي، ضمن إطار مستطيل، الالهة عشتار بشكل فتاة شابة، وبزي إلهة الحرب، وهي تقدم بيدها اليمنى شارات الحكم، السيف المقدس، وتضع إحدى قدميها على أسد، ويظهر الملك زيمري ـ ليم واقفاً أمام الالهة عشتار، وهو يتسلّم الشارات بيده اليسرى، بينما يرفع يده اليمنى في حركة تحية اجلالاً للآلهة.

ومن خلال استعراض المعابد الأربعة التي اكتشفت في ماري، نرى أن ثلاثة منها قد خصصت لربات وهي على الشكل التالي:

١ ـ معبد الالهة عشتار:

ويقع على حافة المدينة الغربية، وقد اكتشف عام ١٩٣٤، وكان المعبد متميزاً بساحة واسعة ذات نتوءات بارزة تحتوي على منصات لتقدم القرابين، وعلى قاعة للهيكل تقام فيها طقوس العبادة، وقد خصص هذا المعبد للالهة عشتار بصفتها إلهة الحب والخصب والحرب في فترة ماقبل سارغون، ويدل على أهميتها ومكانتها الكبيرة لدى شعب ماري، أن أسماء كثيرة من قدماء الأموريين، تتضمن اسم الربة الكبرى مثل: بونوعشتار، بورزورعشتار (له تمثال محفوظ في استنابول) ايلوم عشتار، عيشار ـ ليم وغيرها.

٢ ـ معبد الالهة نينهور ساغ:

ويقع في الزاوية الشمالية الشرقية للقصر، وشرقي معبد داجان، وقد شيده الحاكم نيوار مير، في الألف الثالث قبل الميلاد، وفي فترة لاحقة وسع وأضيف إليه بوابة بعمودين، تشبه طراز العمارة الشرقي المسمى «حيلاني». وكانت نينهور ساغ،

http://al-maktabeh.com

ربة الجبل، وتعتبر زوجة رب الأرض (انليل)، وقد كرس معبدها في ماري للآلهة التي تمثل الربة الأم، الحامية للأطفال.

٣ ـ معبد الربة نيني زازا:

ويقع بالقرب من معبد شمش وقد شيد في فترة ماقبل سارغون، وخصص أيضاً للالهة عشتار المحبوبة.[٧]

وقدم الانسان، مختلف الفنون الجميلة تقرباً من آلهته، وإرضاءً لها. معتبراً الفن، لغة روحية تسمو بالانسان إلى عالم السمو الروحي، عالم الآلهة. وقد قدمت ماري مجموعة من الدلائل والمعطيات الفنية التي تدلل على ذلك، مثال ذلك، بعض النصوص التي تتضمن أسماء عدد من الموسيقيين (مثل: سين أيغيشام ونانا مانسي وحسرى أميم...) وهناك تمثال المغنية «أورنينا».

وقد اختلف الباحثون في تحديد هوية المغنية أورنينا، لوجود كتابة قرأها بعضهم (أورنانشي) واعتبر هذا التمثال تمثال مغن؟.

ونحن نميل مع الأستاذ بشير زهدي وغيره، إلى اعتبار هذا التمثال تمثال مغنية للأسباب التالية:[٨]

من المعروف أن الساميين كانوا حليقي الرأس، وذوي لحية، في حين أن هذا التمثال لايتصف بذلك.

إن دراسة ملامح الوجه، شكل الصدر، مما تجعل الباحث يميل إلى اعتبار هذا التمثال تمثال مغنية.

وحول هذا الموضوع يقول عالم الآثار اندريه بارو: «في اليوم الذي اكتشف فيه تمثال اورنينا، لم يعرف أي من أفراد البعثة أدنى تردد، وبالتالي أدنى شك، فهي حقاً «موسيقية» ومغنية كبرى، وراقصة كبيرة، بدليل الكتابة المحفورة على ظهرها، بل لقد اعتقدنا ذات يوم أننا وجدنا صورة لهذه الشخصية التي لعبت دوراً كبيراً في بلاط ماري، حيث نذرت تمثالها «مدى الحياة» لملكها «ايبلول ـ ايل» وقد

---

٧ ـ أسعد المحمود ـ ماري ـ دمشق ١٩٨٢.

٨ ـ انظر البحث الذي قدمه الأستاذ بشير زهدي في الندوة الدولية لتاريخ دير الزور لعام ١٩٨٣، حول (ماري وإسهامها الحضاري).

ترك التقدم في العمر طابعه عليها». وهناك أيضاً الرداء مع تنورة «الكوناكس» المشدودة فوق الركبة، مما يذكرنا بنشاط أورنينا الايقاعي كراقصة».[٩]

وتجدر الاشارة إلى نصوص مكتشفة تتحدث عن اهتمام الملك (شمشي حدد) ببنات الملك (يهدون ليم)، اللواتي تركهن في عهدة (شمشي حدد) وبعدها أصبحن صبايا توجب تعليمهن الموسيقى، التي كانت مرغوبة... وهناك نصوص مكتشفة في ماري تتعلق بتوصية عمل خمس قيثارات، مما يدل على أنواع الآلات الموسيقية، وصناعتها محلياً... كل هذا يثبت بما لايقبل الشك أهمية الموسيقى في ماري، ويبين مدى الحرص على تعلمها من قبل المرأة.

المرأة من خلال منحوتات وفنون ماري:

إن نظرة بسيطة على التماثيل الكثيرة التي اكتشفت في ماري، تكفي لتبين لنا بجلاء ووضوح الاتجاه الواقعي المعبر في النحت، إذ يلاحظ اقتراب أوضاع التمثال من الحقيقة، بالنسبة للشخص المراد، وبالنسبة لمرونة خطوطه، ونوعية اللباس، ووضوح أعضاء الجسم.. زد على ذلك مظهر الوداعة، والخشوع والابتسامة، والنظرة البعيدة المعبرة عن التأملات والابتهالات الدينية...

وكان لهذه التماثيل، أماكنها الخاصة بجانب تمثال الرب، في كل معبد بحيث توضع على مصاطب، عملت خصيصاً لتستقبل الهدايا، المتعبدين المخلصين، وهذا التقليد من الأمور المتعارف عليها في بلاد الشام وبلاد مابين النهرين، نظراً لما للدين من احترام بين الأفراد، فالمعبد هو المأوى الحقيقي لهذا النوع من الفن، ودليلنا على ذلك، أن معظم هذه التماثيل، كانت تكتشف، إما في حفرة عميقة، صنعت خصيصاً لدفنها تحت أرضية المعبد، أومتناثرة فوق أرضه، عندما يكون المعبد فد تعرض لتهديم قسري من قبل الأعداء. وفي حالة سلامة المعبد، كانت تكتشف التماثيل منصوبة في أماكنها، الأصلية، دون أن تصاب بأذى.[١٠]

ويمكن أن نميز في فن النحت لدى سكان ماري، بين نوعين من التماثيل

---

٩ ـ اندريه بارو ـ مصدر سابق.

١٠ ـ محمود وحيد خياطة، ماري الواقعية في فن النحت ـ الندوة الدولية لتاريخ آثار دير الزور عام ١٩٨٣.

http://al-maktabeh.com

أولهما: التماثيل التجارية لعامة الناس. وثانيهما: التماثيل الفنية للملوك وكبار رجال الدولة.

ويعكس النوع الأول اتجاهاً نحو المادة واهمالاً للفن كغاية، فنجد التشابه فيما بين التماثيل المعدة تجارياً للبيع، على الشكل التالي: أشخاص، إما في حالة الوقوف أو الجلوس بلباسهم التقليدي، وهو ثوب طويل، يغطي كل أجزاء الجسم، أو يترك الكتف الأيمن عارياً، لتسهل حركة اليد، أو هو تنورة تغطي القسم السفلي، إذ تشد على الخصر، بإزار عريض ويترك الجذع عارياً. والنساء كالرجال لايميزهن سوى تزيينات الرأس والصدر وتصفيفات الشعر أو الطوق، وغالباً مايختلط الأمر في معرفة جنس التمثال فلباس المرأة كالرجل.

أما كهنة المعابد، فلهم ميزات في لباس الرأس، فهو يأخذ شكل قبعة مرتفعة متطاولة بنهاية محدبة تسمى (البولوس). ولكن غالبية التماثيل عارية الرأس وبعضها حليقة الذقن، ويلاحظ في بعضها، وجود لحية طويلة، مصففة ومسترسلة حتى الصدر بتموجات أو بنتوءات حلزونية تظهر وكأنها مستعارة. كما يلاحظ وضع اليدين المتشابه في جميع التماثيل والتي لاتحمل أي شيء.

اليدان مضمومتان إلى الصدر، الأكف متشابكة بالأصابع لتعطي فكرة الخشوع والتعبد في حضرة الرب... أما الأقدام فحافية في جميع ماوجد من تماثيل، ولم يصلنا أي تمثال ينتعل حذاء.

أما النوع الثاني من تماثيل ماري، أي تماثيل الملوك والأمراء وكبار رجال الدولة، فقد أظهر فنان ماري، كل عبقريته الفنية، ومقدرته النحتية، فأتت كاملة، معبرة عن أشخاصها وهنا نلاحظ، أن التشابه زال وانمحى، وأن الفروق والصفات الشخصية قد برزت متوافقة مع الشخص صاحب التمثال.[11]

في مدينة ماري، عثر علماء الآثار على أكثر من مائة تمثال، وأجزاء تماثيل حجرية في غاية الجمال والروعة، والمادة المصنوعة منها، أغلبها من حجر (الالباستر)... وقد كان نصيب المرأة من هذه التماثيل يتميز بالوفرة والغنى والتنوع، وهذا دلالة واضحة على أهمية دور المرأة في ماري، والمكانة العالية التي كانت تحتلها في مجتمعها...

ومن أروع التماثيل النادرة في هذا المجال، تمثال الزوجين المتعانقين، ولكن

---

١١ ـ المصدر السابق.

للأسف لم يعثر على رأس العاشقين، الجالسين على مقعد واحد، ويظهر الرجل عاري الصدر، بينما تغطي أسفل جسمه تنورة الكوناكس، وهو يمسك بيده اليسرى، القبضة اليمنى لامرأة تجلس إلى جانبه، وقد ضمها إلى صدره.

أما المرأة فهي عارية الكتف، والذراع اليسرى، وتظهر منقادة لارادة الرجل مستسلمة له. وقد عثر في جنوب بلاد الرافدين على زوجين متعانقين، ويقارن بينهما وبين الزوجين من ماري، الأستاذ محمد وحيد خياطة، فيجد هوة سحيقة تفصل بينهما، من حيث التعبير والدقة في الملامح والتصوير الفني لانفعالات العاطفة في نفس المرأة والرجل، وقد لا نستطيع الاجابة عمن يكونان هذان الزوجان، إلا أن وجودهما، داخل معبد آلهة الحب والخصب والتناسل «عشتار» يقودنا إلى الظن والتخمين بأنهما كاهنان أو ملك وكاهنة يمثلان الزواج المقدس، المعروف في طقوس حضارات الشرق القديم.

وهنا لابد من الاشارة إلى مجموعة كبيرة من تماثيل النساء، التي اكتشفت معظمها داخل معبد الآلهة عشتار، وهي متشابهة، كأنما خرجت جميعاً من قالب واحد، حيث كان يشتريها العامة ليضعوها في معبد الربة العظمى، وقد عثر على المعبد المذكور أيضاً على تمثال امرأة ترتدي قبعة عالية (بولوس) وترتدي أيضاً الزي النسائي الشائع في ماري الرداء الطويل المغطي للكتف، أما غطاء الرأس المسمى (بولوس) فقد كان يتألف، إما من قالب مدور ملفوف عال متين، يشد فوقه قماش أو طاقية من مادة مقواة (اللباد) وقد كان حرفه الأسفل مكوراً بارزاً بشيء من الانتفاخ، وأما شعرها ذو الغديرة العريضة فتلفه قطعة من القماش، وقد ظهرت بعض الخصلات محيطة بالوجه كأنه إطار، وكانت منزلة من حجر مختلف اللون، ثم أن مجرى العينين محشوان بالصدف الذي كان يحيط بالحدقتين، المفقودتين، وربما كانت كالحاجبين من حجر السياتيت، المعدني العازل للحرارة، والأذنان مثقوبتان لتعليق الحلي والأقراط التي ربما كانت من معادن ثمينة.

أما الرداء المغطي للكتف يظهر لأول مرة في عصر السلالات الملكية الأولى، وكانت النساء ترتديه في الطقوس الدينية، وفيما بعد أخذت ترتديه الآلهات أيضاً، وهو يكشف عن الكتف والذراع الأيمن.

وفي تمثال لمرأة جالسة اخرى نرى بالاضافة إلى الرداء وغطاء الرأس، أن المرأة الجالسة وضعت فوق قبعة البولوس خماراً طويلاً من قماش مهدب، وهنا تظهر

http://al-maktabeh.com

التفاصيل أكثر، الشعر المضفور الذي يظهر من تحت غطاء الرأس، وتنزيلات حجر اللازورد. وقد التف جسمها ورأسها، مثل عروس بوشاح، وهي مبهرجة، كما لو كانت في ليلة زفافها، وقد جلست على كرسي مربع الشكل مزين بالزخارف.

ونعود مرة اخرى لتمثال المغنية «أورنينا» لندرس حركتها، وزيها، فقد حفظت لنا التنزيلات في وجهها المعبر جميعها ماعدا الحاجبين وهي من الصدف واللازورد. أن الشعر المصبوغ باللون الأسود مفروق من المنتصف إلى الجانبين، أما شعرها الطويل فمسبل خلف أذنيها، على ظهرها حيث تنتهي كل خصلة من الخصلات المتموجة، وقد عني الفنان بصنع تمثال المغنية في وضعة الجلوس، فوق وسادة مستديرة مشغولة دون أن يكون هناك ارغام، وتلبس تنورة من نوع الكوناكس، مشدودة على الساقين فوق الركبتين.[١٢]

وفي تمثال «ربة الينبوع» بلغت صورة المرأة القمة، فهي تمثل روعة الفن الواقعي الذي امتازت به مدينة ماري في حضارات بلاد الشام. والتمثال يجسد لنا الربة التي تجلب الماء الواهب للحياة، وقد أعيد تجميع تمثال هذه الربة العظيمة، من قطع كثيرة، وهو مصنوع من الحجر الأبيض، بحجم يعادل ثلاثة أرباع الحجم الطبيعي.. ومما يدل على ألوهيتها قرنان على عصابة رأسها، وينسدل شعرها الذي يلوح مفرقه من تحت العصابة، مشكلاً غديرتين مضفورتين على كتفيها، أما زينتها فكثيرة: عدد من الأقراط في كل اذن، وثلاثة أساور في كل معصم. وحول عنقها عقد من ستة أطواق.

أما ملابس الآلهة فمن الصعب التعرف على تفاصيلها، وربما كان من شأن

هذا الثوب أن يغطى بثوب خارجي رقيق ينسدل في شرائط متموجة قليلاً، ملتفة الأطراف في الأسفل، ومزينة بأشكال أسماك حزت في الحجر، وتتصالب فوق الحزام العريض أشرطة اخرى، كما تزين الأكمام دثار داخلي بحافات متعرجة الشكل، وثمة بقايا جصية في محجري العينين خلفها ملاط لتثبيت التنزيلات،

---

١٢ ـ اعتمدنا في جوانب من هذا الوصف على كتاب «كنوز الآثار السورية» الصادر عن مؤسسة البريد الدولي للصحافة والنشر، بمناسبة اقامة معرض الآثار السورية المتجول في دول أوربا وأمريكا.

وتوجد داخل التمثال قناة يمر الماء من أسفلها إلى الاناء الذي تحمله الربة بين يديها. والذي كان ينبجس منه الماء في الماضي، ويرى العالم «أندريه بارو» في ربة الينبوع، أنه تمثال عجيب فيه خدعة، والواقع أن الماء المسكوب في خزان يرتفع شاقولياً حسب نظام الأواني المستطرقة في قناة محفورة، في قلب التمثال، حتى الاناء.

وهكذا نرى مشهد الربة الأم، ربة الينبوع، أوكما يحلو للبعض أن يطلق عليها اسم «ربة الفرات» نراها تريق بسخاء سائل الخصب والحياة.. إنها رمز الحياة والخصب، ويظهر على وجهها تعابير العظمة والسيادة، مع اللطافة والرقة والسعادة، وذلك من شكل الوجنتين البارزتين، والشفتين المبتسمتين، الملفوفتين بدقة، تقطران عذوبة وفتنة». [١٣]

المفاجأة الكبرى في القصر الملكي في ماري، اكتشاف مجموعة من الرسوم الجدارية، فالساحات وقاعات عديدة من قاعات قصر الألف الثاني قبل الميلاد، كانت مزينة بصور مرسومة بألوان مائية، ولكن لم يبق منها في غالب الأحيان إلا بقايا، فإن الزينة في أحيان اخرى قد صمدت أمام أضرار الطبيعة والتهديم والكوارث والحروب.

وتمثل هذه الرسوم مواضيع مستمدة من الحياة العامة مثل: تسلق أشجار لنخيل وقطاف التمور والأزهار ورسوم حيوانات، وحيوانات خرافية مجنحة، ومواضيع ميثولوجية، كمشهد ربتي خصب بيد كل منهما إناء يسيل منه الماء بغزارة، فيبعث الحياة والخصب..

كما اكتشفت على جدران معبد الالهة «عشتار» مجموعة من الرسوم الصدفية التي تمثل نساء مدينة ماري وهن يغزلن بالمغزل، ويمارسن عملية غزل النسيج، أو مصطحبات كاهنات أنيقات يحملن قواعد «التقدمات» ويغطي جذعهن صدار مغلق بمشابك متصالبة، وهذا أيضاً دلالة على فاعلية من فعاليات المرأة ودورها في مجتمع مملكة ماري العظيمة.

---

١٣ ـ انظر، اندريه بارو، مصدر سابق، وكتاب عدنان الجندي عن الفن العموري ـ دمشق ١٩٧٢ / ص ١٩ / وكنوز الآثار السورية، مصدر سابق / ص ١٠٥ / .

http://al-maktabeh.com

كنز أور.

في يوم ربيعي من عام ١٩٦٥ عثـرت البعثـة الأثـريـة التي تنقب عن آثـار ماري، على جرّة فخـاريـة كبيرة، سليمة، تعود إلى الألف الثالث قبل الميلاد، وهي مملوءة بالتماثيل والأدوات والمجسمات الصغيرة، وقد أطلق عليها اسم «كنز أور».

لقـد قدمت لنـا هذه الجرة تركيب رائع لكل مايمكن لحضارة الألف الثالث قبل الميلاد من أعمال ناجحة في مجال الفن، وكان للمرأة النصيب الأكبر، من هذا الكنـز، فهنـاك تمثـال صغير من العاج، لامرأة عارية، وتمثال صغير من النحاس لربـة عاريـة، وعلى شعـرهـا عصبة جبهية من الذهـب، وقرنان صغيران يؤكدان صفـة الألـوهيـة، ونسـر، برأس أسـد، منحـوت في لوحـة سميكة من اللازورد، رأسـاه وجناحاه من الذهب، وعينان منزلتان بالقار، زوجان من الأساور احدهما من النحاس والآخر من الفضة، ثمانية مشابك من الفضة والبرونز والذهب، رأس مشبـك من العـاج، سواء من الخـرز (ذهب ولازورد) عقد (ذهب ولازورد وفضة) ثلاث نجـوم فضيـة. ست تمائم من الـلازورد ـ خرز من الـلازورد ـ شريطـة مزدوجة، خرزة كبيرة من اللازورد متعددة الوجوه نقش عليها سبعة أسطر بالكتابة المسمارية قرأها (جورج دوسان) على هذا النحو: «أهدي هذه الخرزة المغزلية إلى الربة غال، فيرا نيادا ملك أور، عندما كان غانسود ملك ميرا (ماري)[١٤]

أختام ماري والمرأة:

تعتـبر الأختـام الاسطـوانيـة المكتشفة في ماري من روائع فن النقش، فقد أحسن الفنـان اختيـار مادتـه الأوليـة من حجـر الهيماتيت والجيري والفخـار والصدف... فنقش عليه مواضيع ذات قيمة دينية وميثولوجية وفنية.

المـواضيـع التصـويـرية في أختام ماري الاسطوانية، بوجه عام ذات طبيعة دينيـة، والـربـة عشتار كان لها نصيبها في كثير من مواضيع هذه الأختام. من ذلك

---

١٤ ـ لقـد ألف انـدريـه بارو بالتعـاون مع جورج دوسان، كتاب خاص، لشرح محتويات «كنز أور» وقد صدر عن المعهد الأثري الفرنسي ببيروت عام ١٩٦٨.

ختم (مكنيشوم) ناظر القصر الملكي، الذي يمثل مشهد الملك زيمري - ليم، المنتصر، يركل بقدمه أعداءه بمساعدة الربة المجنحة (عشتار).

وفي ختم آخر نرى أحد المتعبدين يمثل أمام ربة جالسة وخلفها ربة متشفعة. ترتدي الربة المتشفعة رداءً من عدة شقف، قسم إلى درجات بواسطة خيوط عرضانية ظاهرة في الأمام، يتدلى رباط طويل من العنق، وخلف الظهر، يحفظ توازن قلادة العنق التي تظهر منها طيتان. ترفع ذراعيها إلى الأعلى متشفعة، وفوقهما النجمة الثمانية، رمز الآلهة عشتار، ويصعب معرفة هوية الربة الجالسة رغم وجود رموز، أما الربة المتشفعة فهي الربة عشتار.[١٥]

وتتكرر مشاهد الالهة عشتار في كثير من الأختام الاسطوانية، ونراها دائماً تمثل الآلهة المتشفعة التي تقف إلى جانب الانسان، وتحرص على نجاته وخلاصه من الشرور والمصائب والآثام... إنها المرأة، الخصب والرمز والعطاء وقد حرص فنان ماري على تجسيد دورها في كل أعماله الفنية المختلفة...

وهكذا تتجسد لنا صورة المرأة في مملكة ماري على الفرات الأوسط... من خلال كثير من مكتشفاتها الأثرية الخالدة... إنها صورة مشرقة، ناطقة معبرة، عن المرأة في في بلاد الشام.

في حضارة الألفين الثالث والثاني قبل الميلاد... صور عن المرأة الملكة، الربة الأم، المرأة العاملة، الكادحة، المرأة الفنانة، الموسيقية، المرأة المدبرة الصبورة، المجاهدة... إنها صورة شاملة عن حياتها وطقوسها وعاداتها وتقاليدها وزينتها وأزيائها... إنها المرأة العربية السورية، التي كانت منذ القدم تسعى دائماً نحو حياة أفضل، وتصبو إلى غدٍ مشرق، ومستقبل واعد...

---

١٥ - دليل الأختام الاسطوانية السورية بين (٣٣٠٠ ق.م و ٣٣٠ ق.م) الذي أقيم في توبنغن الألمانية الاتحادية / ص ٨٥ - ٨٦ /.

http://al-maktabeh.com



رأس تمثال من معبد نيني زازا ـ ماري ـ تل الحريري.
عصر السلالات الأولى الأحدث
(٢٦٤٥ ـ ٢٤٦٠) ق.م ـ متحف دمشق



تمثال سيدة تشم وردة: قصر زيميري ـ ليم، ماري ـ تل الحريري

http://al-maktabeh.com

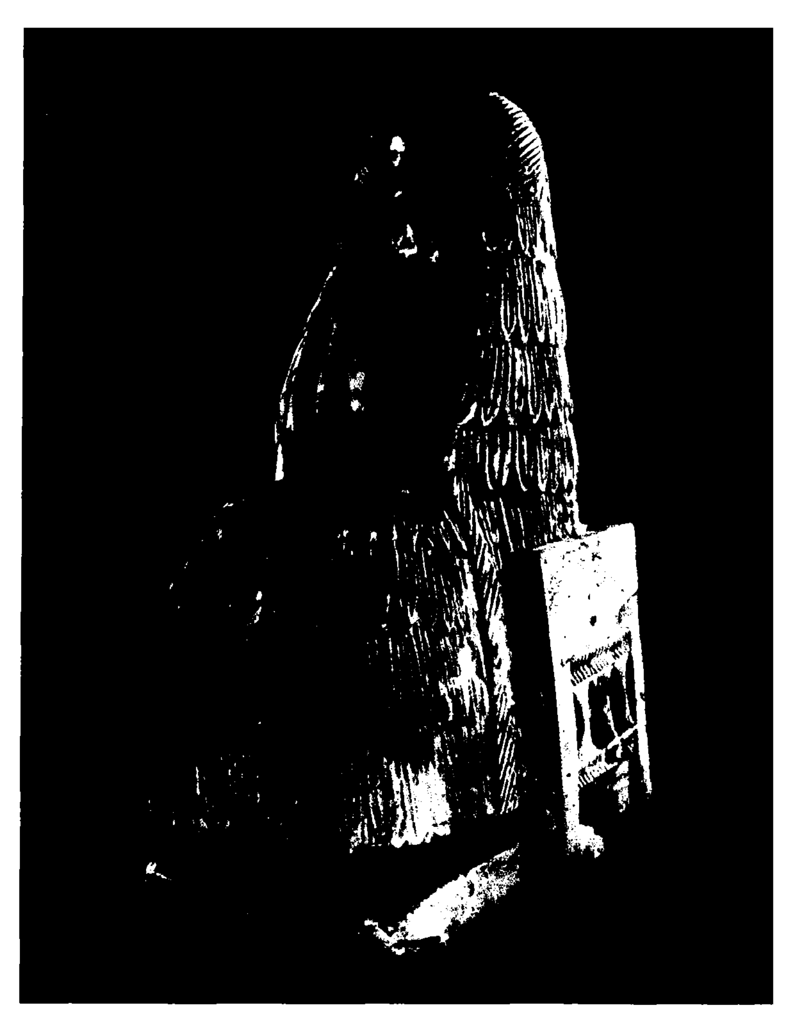


تمثال المغنية أورنينا ـ من ماري ـ تل الحريري ـ من الحجر الجصي
عصر السلالات الملكية الأولى (٢٦٤٥ ـ ٢٤٦٠) ق.م

تمثال امرأة من ماري ـ تل الحريري (٢٦٠٠ ـ ٢٤٠٠) ق.م
في وضعية الجلوس والتعبد



http://al-maktabeh.com



تمثال امرأة جالسة ماري (تل الحريري) ـ مكتشفات معبد عشتار
عصر السلالات الملكية الأولى (٢٦٤٥ ـ ٢٤٦٠) ق.م



افريز مطعّم (ماري) تل الحريري مصنوع من صدف واردواز وعاج.
تمثل أضحية وكاهن ونسوة يلبسن قبعة عالية (بولوس)
(٢٦٤٥ ـ ٢٤٦٠) ق.م

http://al-maktabeh.com

92



١ ـ قطعـة من قالب مصنـوع من الحجـر الكلسي حفـرت عليه صورة عميقة لامرأة تزين عنقها حلي عديدة. ماري ـ تل الحريري (٢٠٤٠ ـ ١٨٧٠) ق.م.

٢ ـ ختم اسطواني من ماري، يمثل التقرب من الآلهة، ويظهر في الختم نسوة (٢٠٤٠ ـ ١٨٧٠) ق.م



http://al-maktabeh.com

رجـل وامـرأة يجلسـان على مقعـد أحـدهما بجانب الآخر، ويتعانقان بمحبة، ومما يؤسف له أن الرأسين مكسوران

ماري (تل الحريري) من حجر الجص.



١ ـ لوح تأسيس معبد الآلهة (نينخور ساج) ـ ٢٢٥٠ ـ ٢٢٠٠ ق.م

٢ ـ قسم من قصر ماري (تل الحريري).



تمثال آلهة واقفة من ماري (تل الحريري)

٢٦٥٠ قبل الميلاد

http://al-maktabeh.com



دبوس ملابس من خليط الذهب والفضة ـ ماري ـ تل الحريري ـ
(٢٩٠٠ ـ ٢٥٠٠) قبل الميلاد



http://al-maktabeh.com

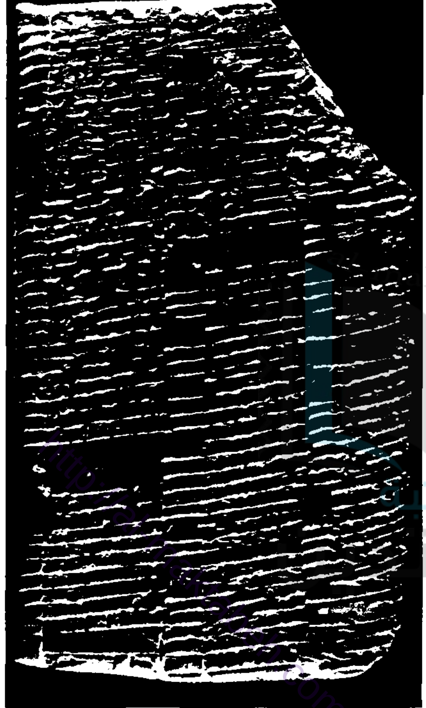
تمثال امرأة ترتدي قبعة عالية (بولوس) ماري - تل الحريري -
حقبة أور الأولى (٢٦٤٥ - ٢٤٦٠) ق.م



تمثال ربة الينبوع ماري (تل الحريري) من الحجر الأبيض
يعود تاريخها إلى العصر السوري المبكر (٢٠٤٠ ـ ١٨٧٠) ق.م



رقيم مسهاري من ماري (تل الحريري)
من عهد الملك زيميري ليم
يشتمل على أسماء ومهن أناس من ماري.



رقيم مسهاري من ماري (تل الحريري)
يتضمن تسجيلا للاستهلاك
اليومي من الأطعمة في القصر الملكي
(١٩١٦ - ١٨٩٧) ق.م

http://al-maktabeh.com
مكتبة المهتدين
.com

الفصل الخامس

يقع تل مرديخ «ايبلا» على بعد حوالي / ٦٠ / كم إلى الجنوب الغربي من مدينة حلب، قرب بلدة سراقب في محافظة ادلب، ويشغل مساحة تقدر بحوالي / ٥٦ / هكتاراً. وقد قامت بعثة أثرية ايطالية تابعة لجامعة روما، بالتنقيب الأثري فيه منذ عام ١٩٦٤ ـ ولازالت حتى الآن ـ.

كشفت بعثة جامعة روما في إيبلا خلال الأعوام ١٩٦٤ ـ و ١٩٧٣ عن المرحلة المتأخرة من المدينة الكبرى التي كانت تنضوي في الطبقات المرتفعة من تل مرديخ الأثري، تلك الفترة التي يطلق عليها علماء الآثار اسم الفترة التاريخية القديمة، والتي تتفق زمنياً مع عصر البرونز الوسيط (٢٠٠٠ إلى ١٦٥٠ ق.م). هذا العصر الذي كان يهيمن فيه العموريون في كل بلاد الرافدين وبلاد الشام.

لقد أتاح اكتشاف التمثال النذري في عام ١٩٦٨ والذي كان مشفوعاً بكتابة مسمارية تتضمن اسم «ايبلات ـ ليم» أي ملك ايبلا. كما أكدت الشواهد المعمارية والمادية المكتشفة في تل مرديخ على أن مدينة ايبلا كانت في العهد السوري القديم (٢٠٠٠ ـ ١٨٠٠ ق.م) مركزاً حضارياً هاماً في شمال سورية، كما أنها كانت أعظم قوة سياسية في المنطقة وسبقت في ذلك كلاً من مملكة حلب (يمحاض) خلال حكم الملك شمس حدد الأول في آشور، والملك حمو رابي في بابل.

فالشواهد المعمارية المكتشفة تدلل أيضاً على المكانة السياسية، ونذكر على سبيل المثال، معابد المدينة الثلاثة والقصر الملكي وبوابة المدينة الضخمة في الجنوب. وتتمتع هذه الشواهد بخصائص سورية محلية، وتعتبر أساساً لتطور

الفنون السورية في العهد السوري الوسيط، (١٦٠٠ ـ ١٢٠٠ ق.م) والعهد السوري الجديد (١٢٠٠ ـ ٧٠٠ ق.م).

وفي عام ١٩٧٣، قامت البعثة بالكشف عن سويات أثرية كانت تتضمن جدران معمارية تخص بناءً فخماً يرقى إلى النصف الثاني من الألف الثالث قبل الميلاد، وقد أبانت أعمال الكشف في عام ١٩٧٥ بأن هذا البناء الفخم ماهو إلا القصر الملكي للسلالة السورية المعاصرة لملوك آكاد في بلاد الرافدين (٢٤٠٠ ـ ٢١٥٠ ق.م).

يتقدم القصر باحة سماوية تحف الأروقة بجوانبها، ولعل هذه الباحة هي قاعة الاستقبال الملكية، وتتمتع جدران القصر بارتفاع شاهق يصل إلى / ١٥ / متراً، ويمكن الولوج إلى داخله عبر ثلاثة مداخل، ويتقدم أحد هذه المداخل ما يسمى بـ «مصطبة الشرف»...

يبدو أن الدمار قد لحق بالأقسام الأمامية من القصر، في حين أن الأجزاء الخلفية قد بقيت سليمة حتى ارتفاع يصل إلى ستة أمتار حالياً. واعتماداً على اللقى الفخارية التي عثر عليها في أنقاض القصر، لابد أن الدمار قد حصل حوالي / ٢٢٥٠ / قبل الميلاد، ويتوافق هذا التاريخ مع عهد الملك الآكادي (نارام ـ سن) الذي يفتخر في الكتابات التي تركها بأنه فتح مدينة ايبلا ومدينة أرمان، (حلب)، المدينتان اللتان لم يسبق أن فتحها أحد قبل خلق البشرية.[1]

إن نارام سن الذي قضى على القصر بعد أن أشعل الحريق الهائل فيه، ولكن هذا الحريق حفظ لنا بفعل حرارته أحد أضخم الكنوز الأثرية في التاريخ. وكنز ايبلا هو محفوظات القصر من الوثائق الرسمية لسجلات ومراسلات ملوك ايبلا المسطرة بالخط المسماري على مايقارب من / ١٧ / ألف رقيم طيني،... هذه الوثائق التي أضافت صفحات جديدة كل الجدة إلى تاريخ سورية والشرق الأوسط والانسانية في النصف الثاني من الألف الثالث قبل الميلاد.

يعتبر اكتشاف القصر الملكي والمسجلات الملكية في إيبلا، حدثاً ثورياً، بالنسبة لتاريخ بلاد الشام، سواء ذلك على صعيد الوثائق أو على الصعيد

---

١ ـ د. عفيف بهنسي، وثائق ايبلا، دمشق ١٩٨٤ / ص ٢٠ ـ ٢١ /. وأيضاً انظر كتاب ـ تل مرديخ ـ ايبلا ـ أقدم مملكة عامرة في سورية لباولو ماتييه ترجمة: قاسم طوير ـ جامعة روما ١٩٧٨.

http://almaktabeh.com

الاستكشافي، وقد أصبح بالامكان القول بكل ثقة، أن إيبلا قد حققت ثورة في معارفنا التاريخية، وكشفت لنا الدور الكبير الذي لعبه سكان بلاد الشام في حضارة الألف الثالث قبل الميلاد، وتتجلى أهميتها في أنها تضيف صفحة ناصعة للغاية إلى تاريخ بلاد الشام بشكل عام، وسورية بشكل خاص في هذه الفترة السحيقة في القدم.

إنها صفحات جديدة، كانت مجهولة، فتحت أمامنا لأول مرة، في قطرنا العربي السوري، حيث أن هذا القطر لعب في الألف الثالث قبل الميلاد، الدور الأول في تاريخ الشرق القديم، وأن بدايات حضارته وثقافته والتي تشهد عليه فنونه وطرازه الهندسي، وتطوره اللغوي والأدبي، ومفاهيمه الروحية والدينية والاقتصادية والاجتماعية.. تبرز في الوقت نفسه أن بلاد الشام (من خلال إيبلا) لعبت دوراً رئيسياً إلى جانب مصر وبلاد مابين النهرين، وتبين بما لايقبل الشك أو الجدل، تلك الوحدة الحضارية الوثيقة العرى والصلات بينهم، منذ تلك الفترة الموغلة في القدم.

عشتار تزيح الستار عن إيبلا!

إيبلا اسم تاريخي لمملكة قديمة، ورد ذكرها في ألواح مدينة «نيبور» الرافدية وعلى تمثال الملك «غوديا» وفي لوح اكتشف في مدينة «أور» يحكي قصة استيلاء «نارام سن» الملك الآكادي على إيبلا وأرمان (حلب).

في عام ١٩٦٨، عثر على أول شاهد لوجود هذه الحاضرة، كان ذلك عندما اكتشف في موقع تل مرديخ، تمثال بازلتي نصفي مقطوع الرأس عليه الكتابة المسمارية التالية:

«هذا الحوض تقدمه لمعبد الربة عشتار، من أبيت ليم ابن اغريش حيبا، ملك من سلالة ايبلا... في السنة الثامنة لعشتار، ومنذ أن تألق نجم ايبلا، أدخل أبيت ليم هذا التمثال إلى المعبد، من أجل حياته، وحياة بنيه، وسرّت عشتار بهذه التقدمة سروراً كبيراً.

كانت عشتار الدليل الأول التي أخبرت علماء الآثار بهوية تل مرديخ[٢]، وأسفرت النقاب عن تلك المملكة العامرة التي طال انتظارنا لها.

---

٢ ـ المصدر السابق / ص ٧ /.

لقد ألقت وثائق ايبلا، الأضواء ساطعة على جوانب كثيرة من حياتها المختلفة في الألف الثالث قبل الميلاد، وعلى الرغم من أن ماترجم من رقم ايبلا مازال ضئيلاً نسبياً، وهو مانشر حتى الآن ضمن سلسلة المجلدات التي تنشر في روما تحت عنوان «أرشيف إيبلا» وفي دراسات متفرقة، تحت عنوان «دراسات ايبلائية» ودراسات متفرقة في الحوليات الأثرية العربية السورية». . . على الرغم من كل ذلك قدمت لنا هذه الترجمات معلومات هامة عن وضع المرأة ومكانتها في المجتمع الايبلائي في الألف الثالث قبل الميلاد.

فترجمات ايبلا، تلقي أضواء ساطعة على الجانب الديني في حياة ايبلا، فقد استطاع علماء اللغات القديمة والمسماريات أن يميزوا في هذه النصوص، أسماء آلهة في نطاق تقديم الأضاحي والعبادة. . .

وبناء على ذلك يتألف مجمع الآلهة الكبرى، «عشتار» وهي شبيهة جداً بعشتار بلاد مابين النهرين. . . وتأتي مرتبتها في رأس قائمة مجمع الآلهة الايبلائية الذي يتألف بالاضافة إلى عشتار من الاله (دجن) والاله (حدد) والاله (كاميش) والاله (كورا) والاله (ايداكول) والاله (رشف).

يعتبر الاله (دجن) من كبار آلهة البلاد الواقعة إلى الغرب من نهر الفرات أي مايعرف ببلاد الشام، ويرد اسمه في الرقم الايبلائية على هيئة الاشارة السومرية التي تلفظ (بي) وهو لقب، قد يكون اختصاراً من نوع خاص، لكلمة (بعلوم) التي تعني (السيد).

أما (حدد) فهو إله الطقس في بلاد الشام. و(رشف) فهو رب الحرب والعالم السفلي. أما الاله (كاميش) فهو من الآلهة السامية الغربية القديمة، ومعروف في نصوص الألف الأول قبل الميلاد، بصفته إله بلاد موآب في الأردن، أما الاله (كورا) فهو مجهول رغم اتساع عبادته في ايبلا، وكذلك الاله (ايداكول).

على خلاف، بلاد مابين النهرين، نجد الآلهة السومرية الكبرى مثل (انكي) إله الحكمة، في (اريدو) لاتلعب إلا دوراً محدوداً في ايبلا.[٣]

وكشفت التنقيبات الأثرية ـ حتى الآن ـ عن ثلاثة معابد، واحد يقع في التلة المركزية، واثنين في منطقة الأحياء الشعبية، (المنطقة الجنوبية الغربية من

---

٣ ـ قاسم طوير ـ ايبلا، منشورات المديرية العامة للآثار والمتاحف، دمشق ١٩٨٢ / ص ٣٤ ـ / ٣٧

http://almaktabeh.com

السهل المحيط بالتلة المركزية) لكننا لانستطيع تحديد الأرباب التي كانت تعبد في هذا المعبد أو ذاك.

بيد أنه مازال من الصعب أن تتكون لدينا صورة متكاملة عن جمهرة الأرباب المعبودة في ايبلا خلال الفترة التي كتبت فيها الوثائق المكتشفة. وفي دراسة تعتمد على قراءة وتفسير أربع لوحات طينية مسمارية مكتشفة في ايبلا، قام بها جيوفاني بيتيناتو[٤]، استطعنا أن نتعرف بجلاء أكثر على ديانة ايبلا، والعبادة التي كانت متبعة على الصعيد الرسمي، كما تعرفنا على مجمع الأرباب، ونوعية الأضاحي ومواعيد تقديمها، والمناسبات التي تمت فيها.

لقد كانت أسماء ثمانية أشهر من ذلك التقويم تحمل أسماء آلهة أو أسماء أعياد دينية خاصة، مثل شهر السيد (ايتو- بي - لي) وشهر عيد الرب اشتابي (ايتو- نيبدا - اشتابي). وشهر عيد الرب (حدد) (ايتو- نيبدا - حدا) وشهر عشتار (ايتو- أما - راما) وشهر الرب أداما (ايتو- أداما - اوم) وشهر عيد الرب كاميش (ايتو- نيبدا - كاميش). وشهر البلدان (ايتو- ار- مي) وشهر المذبح (ايتو- حو- لو- مو- حور - مو).

يلاحظ أن أسماء أربعة أرباب من بين الأرباب الستة المقرونة أسماؤهم مع **الأشهر من أصل** سامي مثل الرب (دجن) والرب (حدد) والربة (عشتار) والرب (كاميش). في حين أن الأسمين الباقيين من أصل حوري، وهما اشتابي وآداما. أما أشهر البلدان والمذبح، فإنهما يشيران إلى طريقة الطقوس المتبعة في العبادة مثل طواف الأصنام وجلب التقدمات إلى المذبح.

وفي هذا الصدد نشير إلى ترجمات رقم مسمارية عديدة، تشير إلى أن أهالي إيبلا كانوا يكرمون أربابهم بأضاحي مختلفة. وهناك رقم مسمارية زودتنا بأسماء أصحاب التقدمة وتشمل الملك والملكة وأفراد العائلة الملكة وكبار الموظفين... وتحتل الملكة المرتبة الثالثة بين المتقدمين بالأضاحي في الرقم المسمارية المترجمة. أما الأميرات، فتذكرهم النصوص المسمارية بالاسم، وهن يحتلن المركز التالي لمركز الملكة. أما أسماؤهن فهي حسب التسلسل التالي: الأميرة زائشة، وهي ابنة الملك

---

٤ ـ **هذه الدراسة صدرت بالايطالية في مجلة «ORIENS ANTIGUOS»** الصادرة عن مركز دراسات الشرق الأدنى القديم بجامعة روما العدد / ٢٨ /، الجزء الثاني ١٩٧٩، وقام بترجمتها إلى العربية الأستاذ قاسم طوير.

(ابي زيبيش). ولاندري لماذا لم يترجمها المترجم (عائشة) وهو الاسم الأقرب للمنطق واللغة.

- الأميرة كيشدودو- الأميرة (ان - اوتو) - الأميرة - (تيشمار- دامو) - الأميرة (ماشيجيباعوت) - الأميرة (تخاديتو) - الأميرة (تركبو). وهنا لابد من الاشارة بأن هذه النصوص المسمارية، ذكرت أبناء الملك (الأمراء) دون تحديد لأسمائهم أو لوظائفهم بل اكتفت النصوص بذكر اللقب السومري وهو: (دومو- نيتا - نيتا - ان) أي أبناء الملك. . . وذلك خلافاً للأميرات.

وذكرت هذه النصوص أسماء مايزيد عن الأربعين رباً تقدم لهم الأضاحي والقرابين النذرية، ويرد فيها أسماء آلهة مؤنثة. . . مثل الربة (ادم - توم) وهي الأسم المؤنث للرب (اداما)، وتقدم لها ذبيحة الضأن في الشهر السابع من السنة.

ويرد في النصوص التعبير السومري (آمو- آمو) في صيغة الجمع وتعني «الآباء» ويفسر «بيتناتو» هذا التعبير بأنه على علاقة بعبادة الأموات من الآباء والأجداد، وتقدم الأضاحي لهم في الشهر الحادي عشر من السنة وهو (شهر عشتار).

وهناك ربة النار أو (اي - سا - تو)، حسب التعبير السومري، تقدم الأميرة (كيشدودو) الذبائح لهذه الربة في الشهر الحادي عشر (شهر عشتار).

أما الربة (اشخارا) يقدم لها الأمير (ار- اك - دامو) الذبائح بمناسبة شعائر الطهارة في كل من الشهر السادس والسابع والحادي عشر، ويقترن اسم هذه الربة بأسماء جغرافية مثل: (اشخارا مدينة مارنه) وهذه اشارات سومرية لها معادل لفظي سامي أو إشخارا مدنية زيدايا و (إشخارا مدينة زورامو).

أما الربة حبيات التي يرد اسمها في نصوص ايبلا على شكل (كا - با - تو) وهي الربة المعروفة لدى الحوريين، فتقدم لها الأميرة زائشة (عائشة) الذبائح في الشهر الحادي عشر (شهر عشتار).

ويرد اسم الربة (نيداكول) وهي ربة مجهولة - حتى الآن - رغم عبادتها بكثرة في ايبلا، واقتران اسمها بأسماء جغرافية عديدة. ويرد أيضاً اسم الربة (نيدكاردو) وهي ربة سومرية يقدم لها الأمير (ساج دامو) الذبائح في الشهرين السادس والحادي عشر.

ويرد في هذه النصوص المسمارية، أسماء أميرات يحملن صفات قدسية، مثل

http://al-maktabeh.com

صفة (مسائل ـ توم) أو (أنسي)، أي مفسرة الأحلام التي تقترن مع اسم الأميرة (زائشة) والأميرة (تركبو). ثم صفة (با ـ ستيش) السومرية وتعني (الكاهنة المعمدة بالدهون).

وتزودنا النصوص أيضاً بأسماء عدد من أماكن العبادة، فإلى جانب المعبد المخصص لرب من الأرباب، مثل معبد الرب (كورا)، ومعبد الرب (نيداكزل)... نجد تعابير اخرى لأماكن عبادة ليست على علاقة بالمعبد مثل: (معبد الأرباب) و (بيت الحاكم) و (بيت الأميرة) ومكان (نحيب الملك) أي عبادة الأموات.

وثمة نصوص مسمارية ايبلاوية، تتضمن ذكراً لمدن قدمت بمثابة مهر لزواج أميرات ايبلويات، كتلك التي تتضمن مرسوماً ملكياً يشير إلى أن مدينة إيمار على نهر الفرات (على مقربة من بلدة مسكنة، قبل أن تغمرها مياه بحيرة سد الفرات) قد أهديت إلى احدى أميرات ايبلا، واعتبرت مهراً لزواجها.

وتفيدنا بعض النصوص المسمارية، أن المرأة كان لها دورها في سلك الكهنوت في إيبلا، فإضافة إلى دورها في مجمع الآلهة الذي لمسناه بشكل جلي آنفاً، كانت أيضاً كاهنة لها دورها المساوي للرجل، وكان لها دورها أيضاً الموازي للرجل على صعيد السلطة، وفي مجال المجتمع والمناصب المختلفة.[٥]

مشاهد المرأة على الأختام الايبلائية:

عرفتنا الأختام الاسطوانية وطبعاتها المكتشفة في إيبلا بأهمية المرأة ودورها في المجتمع الايبلائي، ومن المعروف أن هذه الأختام تعتبر تسجيلاً مشخصاً لأحداث تاريخية أو لأساطير قديمة تساعدنا على تفهم مستوى التفكير والحياة وصورة الحدث ورموز الآلهة والملوك والأشخاص. وهذه الطريقة من التسجيل الفني تعتبر من أقدم طرق النشر الثقافي، وذلك أن الخاتم المصنوع بشكل اسطواني من حجر الهيماتيت أو الستياتيت أو الصدف يمكن طبعه عشرات بل مئات الطبعات على الطين، وبذلك نصنع ألواحاً من الطين يمكن نقلها إلى كل مكان، حاملة معها أفكاراً وأخباراً تبقى ماثلة بوضوح إلى عهد طويل.

---

٥ ـ من مقال مترجم عن صحيفة أمريكية، صحيفة الثورة ـ ٨ حزيران ١٩٧٧.

في إيبلا عثر على حطام جرة فخارية تحمل على كتفها طبعة ختم اسطواني، نفذت نقوشه بالأسلوب السوري القديم الناضج. كان الختم الاسطواني مسحوباً، على كتف الجرة المذكورة، بصورة شاقولية، تحمل الجرة طبعة ختمين مختلفين: يتألف نقش الختم الأول من مشهد يمثل الاله (حدد) والربة (عنات) ـ عشتار ـ وهي تهب الحياة لأحد الأمراء، ويرافق المشهد المذكور سطران من النقوش المسمارية.

وفي ختم من الأختام الاسطوانية، نرى شريط من الأشكال المتصالبة، يتألف المشهد الرئيسي من خمسة عناصر: أسد واقف على قائمتيه الخلفيتين يعض عنق ثور ينتصب أيضاً على قائمتيه الخلفيتين، يحيط بهما الانسان الثور وانثى، ويقف رجل خلف الانسان ـ الثور. ويتضح من حركة السواعد أن الأشخاص يحاولون فصل الحيوانين عن بعضهما. يرتدي كل من الرجل والمرأة مئزراً يشده إلى الخصر نطاق مزدوج. وترك الجذع عارياً، الرجل ملتحي، وشعر المرأة مضفور، وصورت الأجسام من الأمام وأدير رأس الأسد ذي اللبدة المخصلة ليظهر من الأمام.[٦]

وفي أحد الأختام، نقف أمام مشهد تعبد، حيث يتقدم رجل رفيع المقام أمام ربين (الاله بعل والإلهة عناة). ويعتقد باولو ماتييه أن الربة هي ربة الحب والحرب السورية عناة (عناية) التي تشير إلى أهميتها النجمة الثمانية أمام رأسها التي هي رمز الربة عشتار ربة بلاد مابين النهرين، وإذا صدق الحدس بأن العنصر الدائري الذي تحمله بيسراها هو مرآة، فمن المرجح أنها هي (كوبابة) ربة بلاد آسيا الصغرى وبلاد مابين النهرين الشمالية، ربة الحب والأمومة[٧]

إن أبطال المشاهد المشخصة في إيبلا، بشكل عام هي تكراراً لقائمة الأشكال المعروفة في أشكال أختام السلالات الرافدية، أي الانسان ـ الثور ـ الأسد ـ البطل العاري.

---

٦ ـ الأختام السورية الاسطوانية، دليل المعرض الأثري الجوال الذي نظمته المديرية العامة للآثا والمتاحف، بالتعاون مع مؤسسة العلاقات الخارجية في شتوتغارت وجامعة ايرهارد كارلز في توبنغن / ص ٥٤ /.

٧ ـ المصدر السابق / ص ٨٤ /.

http://al-maktabeh.com

ولكن ثمـة أشكال اخرى جديدة تنضم إلى تلك القائمة، يعتبرها علماء الآثار، أشكالاً سورية بحتة، ولاسيما، أنها تؤلف القاعدة الأساسية في تكوين المشهد العام في الختم. وتتجلى النماذج السورية الجديدة في شكل امرأة في وضع أمامي، وتتميز بمئزرها الطويل الذي تتدلى منه الخصلات الكتانية، فضلاً عن أشكال رجال ونساء بألبسة عادية تتدلى منها الخصلات الكتانية. يظهر من حين لآخر في بعض مشاهد الأختام نفسها شكل عملاق (أطلس) وهو عاري الجسد وشامخ الرأس ويرفع بيديه للأعلى رمزاً كونياً، مؤلفاً من أربعة أجزاء، قوامها وجها أسد وانسانان (؟) متقابلان. إضافة إلى شكل نادر يمثل رأساً ضخمًا لثور متعدد لقرون. ينسجم تكوين المشاهد مع أدوار ووظائف الأشكال فيها.

لقد جرى تشخيص المرأة التي تواجهنا في وضع أمامي، في شكل «سيدة الحيوانات» فهي إما أن تروض أسدين أو أنها تحمي ثورين ويساعدها في ذلك رجلان أو امرأتان أو ثور في هيئة انسان (الثور ـ الانسان). وبالرغم من أن هذا المشهـد ليس غريباً عن أختام السلالات الرافدية الأولى، إلا أن الوضعية التي يتخذها كل بطل من أبطال المشهد، لاتتميز عن بعضها البعض، كما أنه لاينفرد كل بطل بخصائصه عن البطل الآخر، مثلما يجري في أختام ايبلا السورية.

وفي ضوء هذا الاختـلاف فإنـه يتراءى لبـاولوماتييه، مكتشف ايبلا، أن شخصية «سيدة الحيوانات» كان لها دوراً مركزياً في المواضيع الفنية في إيبلا، خلال فترة التـاريخ المبكر لسورية إن حاشية سيدة الحيوانات، هي الثور ـ الانسان، وأشكال الرجال والنساء، أما الرعية الخاضعة لها فإنها تتمثل في أشكال الأسود والثيران، وإذا كانت أختام السلالات الأولى في بلاد الرافدين، قد مثلت الأسد دومـاً، وهو يفترس الثور بأنيابه ويقطعه أوصالاً بمخالبه، وبالتالي يستحيل أن يصبحـا من رعية «سيدة الحيوانات» دون أن ترتعد فرائص الثور الضعيف عند الـوقوف إلى جانب غريمه الكاسر، ودون أن ينقض القوي الجبار على فريسته الشهية، عندما يراها قريبة منه، فإننا نرى في أختام ايبلا، أن سيدة الحيوانات قد فرضت حمايتها على الثور، وألقت على عاتقها مهمة ترويض الأسد، ويتجلى ذلك في مشهد الأسد الذي يخنع رأسه للسيدة أو لأفراد حاشيتها.

إننـا نخلص من ذلك إلى أنه يجب على التوازن الكوني أن يقود الأرباب وأنصاف الآلهة، إلى حماية الثور (الذود عن الضعيف) وإلى توريض الأسود (الحد من تعسف القوي).

تشريعات ايبلا :

من خلال الترجمات التي تمت حتى الآن لبعض الرقم المسمارية المكتشفة، نستطيع أن نأخذ لمحة عن تشريعات ايبلا، فهي بشكل عام كانت تتسم بالنضج والشمول، وكان بعضها رادعاً، وتشير إحدى اللوحات المسمارية التي تتعلق بالقانون، إلى أن عقوبة من يرتكب حادث ضرب باليد دون استعمال السلاح دفع خمسة رؤوس من الخراف، على حين تبلغ العقوبة عند استعمال السلاح وإيقاع الأذى / ٥٠ / رأساً من الماشية[٨]

وهناك قانون كان معتمداً في ايبلا يعالج الحالات المتصلة بالعلاقات الجنسية غير الشرعية، والجزاء مختلف على حسب الجرم، فعقوبة من يضاجع امرأة غير متزوجة غرامة مقدارها ثلاثة ثيران، تدفع لولي أمر الفتاة. أما إذا كانت الفتاة عذراء والجريمة اغتصاباً، فتكون العقوبة عندئذٍ الرجم حتى الموت. ويلاحظ أن هذه العقوبات سرت إلى بعض الكتب السماوية، ونستنتج أن القوانين المنسوبة إلى الملك حمو رابي، ملك بابل، هي في الواقع من صياغة قانوني نابه أقدم منه. [٩]

ونستنتج أيضاً من خلال هذه القوانين البسيطة والقليلة، التي استطاع علماء الآثار التعرف عليها، أن الأسرة كانت مصانة، والمرأة لها كرامتها وحقوقها المشروعة. كما نستطيع من خلالها أن نتعرف على أخلاقية المجتمع.

أنشودة النجوم :

في قصيدة نظمها شاعر ايبلائي، منذ مايزيد عن أربع وأربعين قرناً، ونشرها العالم «ادزار» في مجموعة (أرشيف ايبلا) عام ١٩٨٤، وترجمها لنا من الايبلائية إلى العربية الزميل، حيدو حمادة، أمين متحف وأرشيف ايبلا. . . نستشف مدى مكانة المرأة، وحرص الشاعر على تقديم كل مالديه من أجل

٨ ـ مصدر سابق / ص ٢٨ /.

٩ ـ د. عمر الدقاق، ايبلا منعطف التاريخ ـ وزارة الثقافة والارشاد القومي ـ دمشق ١٩٧٩، / ص ٧٠ /.

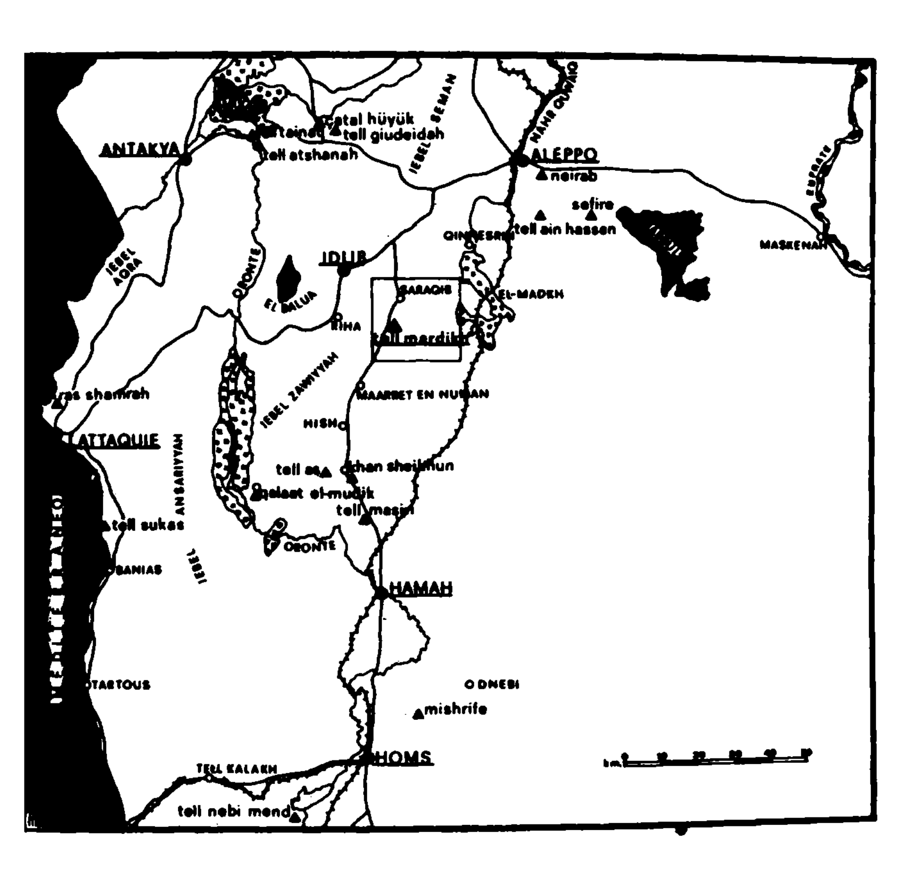
http://al-maktabeh.com

«اصمد خَبخَبي
اصمد لسانم
اصمدك علْ أبنيم صلميم.
علْ زيدان أمان
أحّمدك على زنبات شمش
لابنُم يلبّن لبتّم
علْ بابي انليل آبي ايلي
وكبكب..».

بهذه العبارات ابتدأ الشاعر انشودته، وفيها نجده قد نذر على نفسه أن يضع أمام محبوبته كل خوافي نفسه، ومشاعره... كل تعابيره الشعرية، وكل ماادخره من قوت لأيام شدته..

إنه سينحت (تمثالاً) من الصخر الأسود، وسيضعه في مكان مرتفع وسينقش اسعادها.[10] والحوذ على رضاها، وكسب ودّها، تبدأ الأنشودة ـ القصيدة ـ بالعبارات التالية:
اسمها على فؤوس المحاربين، وسيكتب على بابي الاله «انليل» عبارات التمجيد، وعلى أذيال الشمس، سيذكر هذا المحبوب... سيقدم الأضاحي والقرابين، سبعة رجال وسبع إماء في أول كل شهر... وسيطلي بالبياض أبواب المدينة ولبنات الأسوار ولن ينغص محبوبه...

10 ـ يعتبر علماء الآثار هذه القصيدة أقدم قصيدة عرفتها الانسانية، فمن المعروف أن أقدم نص لقصيدة من بلاد الرافدين يعود إلى / ٢٢٠٠ / ق.م بينما قصيدة شاعرنا الايبلائي تعود إلى / ٢٤٠٠ / قبل الميلاد، وربما تكون أقدم من هذا العصر، إذ أنها قد تكون متناقلة من جيل إلى جيل حتى تم تدوينها في منتصف الألف الثالث قبل الميلاد.

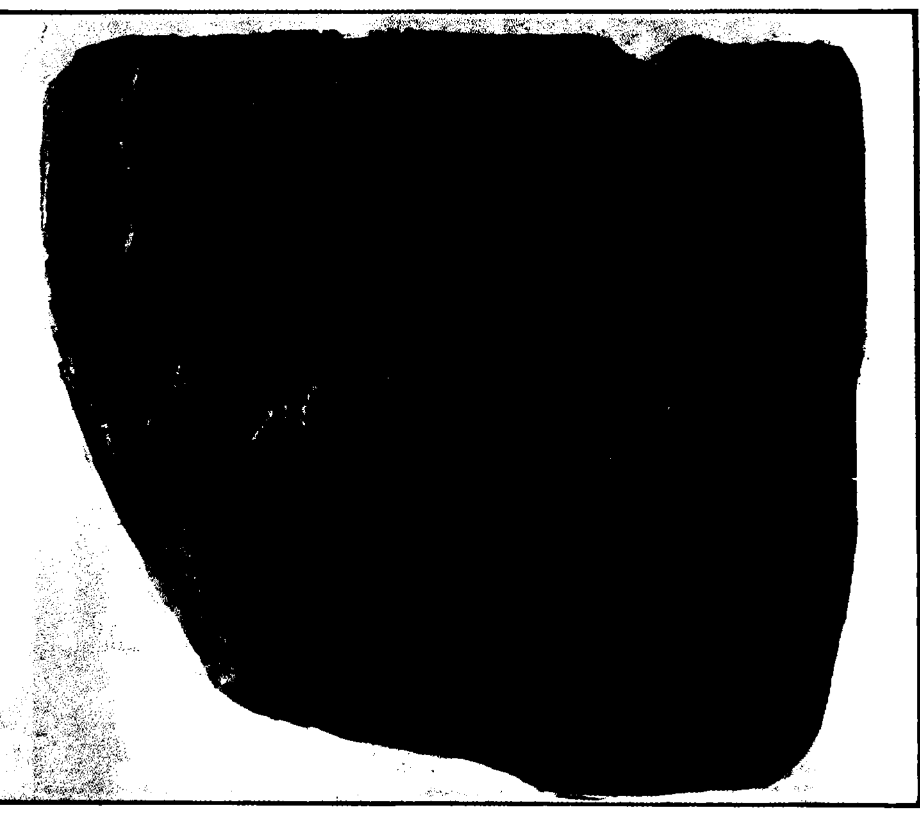


مخطط موقع إيبلا ـ تل مرديخ ـ

http://al-maktabeh.com



طبعة ختم اسطواني من إيبلا - تل مرديخ -

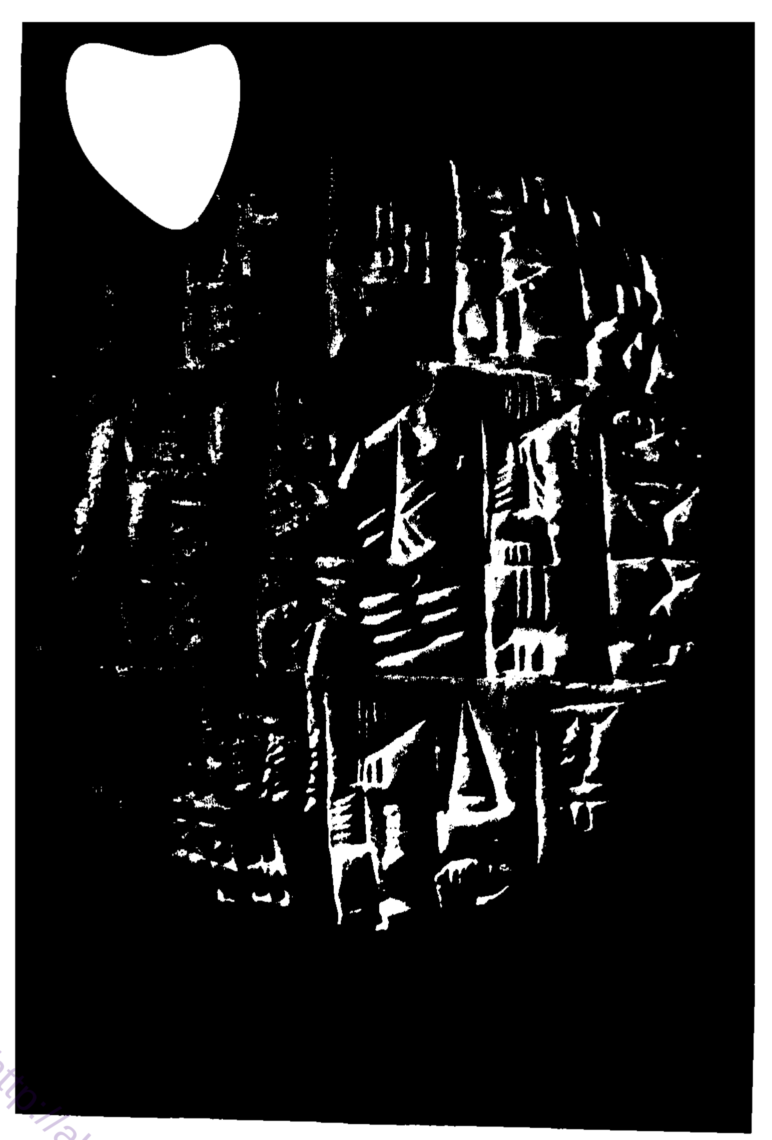


مذبح من إيبلا - تل مرديخ -

http://al-maktabeh.com



مشهد عام من إيبلا - تل مرديخ -



رقيم فخاري من إيبلا - تل مرديخ - من عصر السلالات الملكية الأولى (٢٦٤٥ - ٢٤١٥) ق.م.

http://al-maktabeh.com





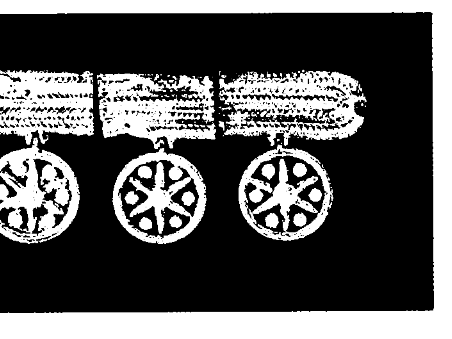
شعر تمثال امرأة من إيبلا (تل مرديخ) ورأس منمنم
عصر السلالات الملكية الأولى (٢٦٤٥ - ٢٤١٥) ق.م

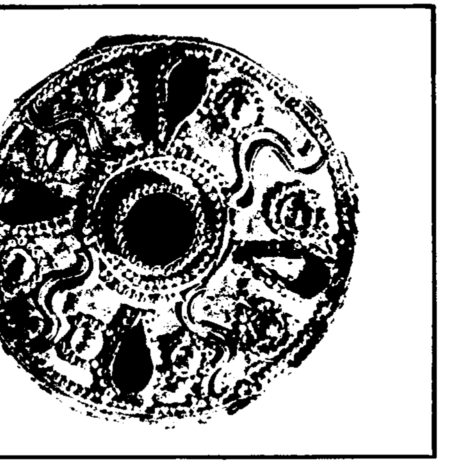




حلي ذهبية نسائية من إيبلا (تل مرديخ) ١٨٠٠ - ١٦٠٠ ق.م

http://al-maktabeh.com

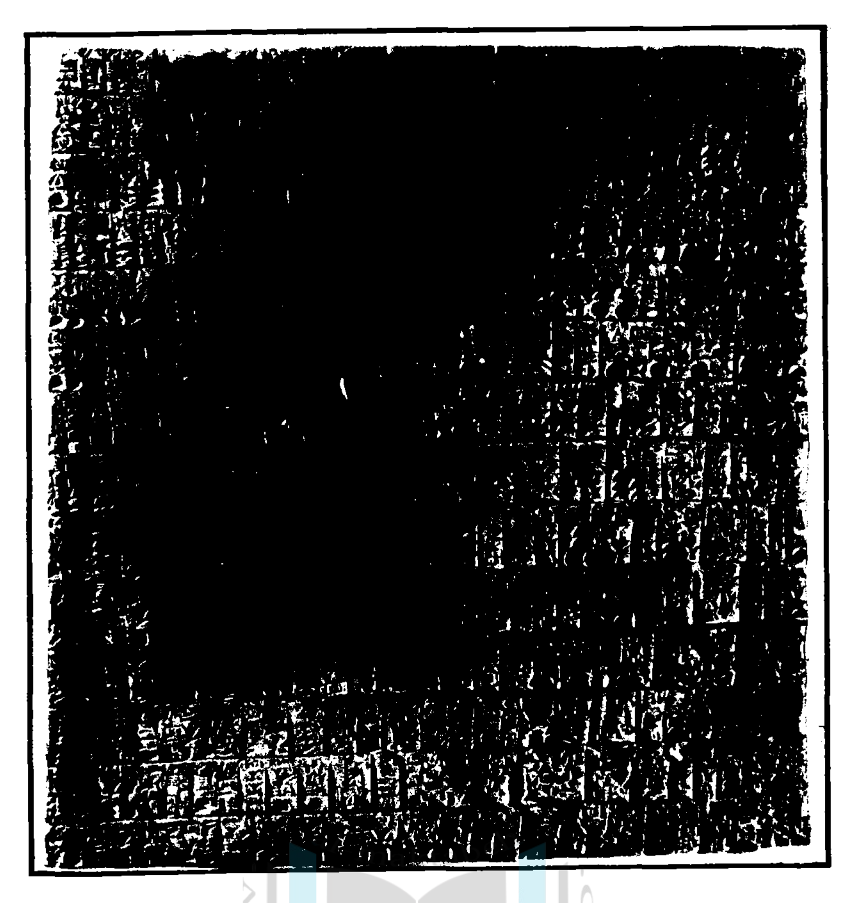






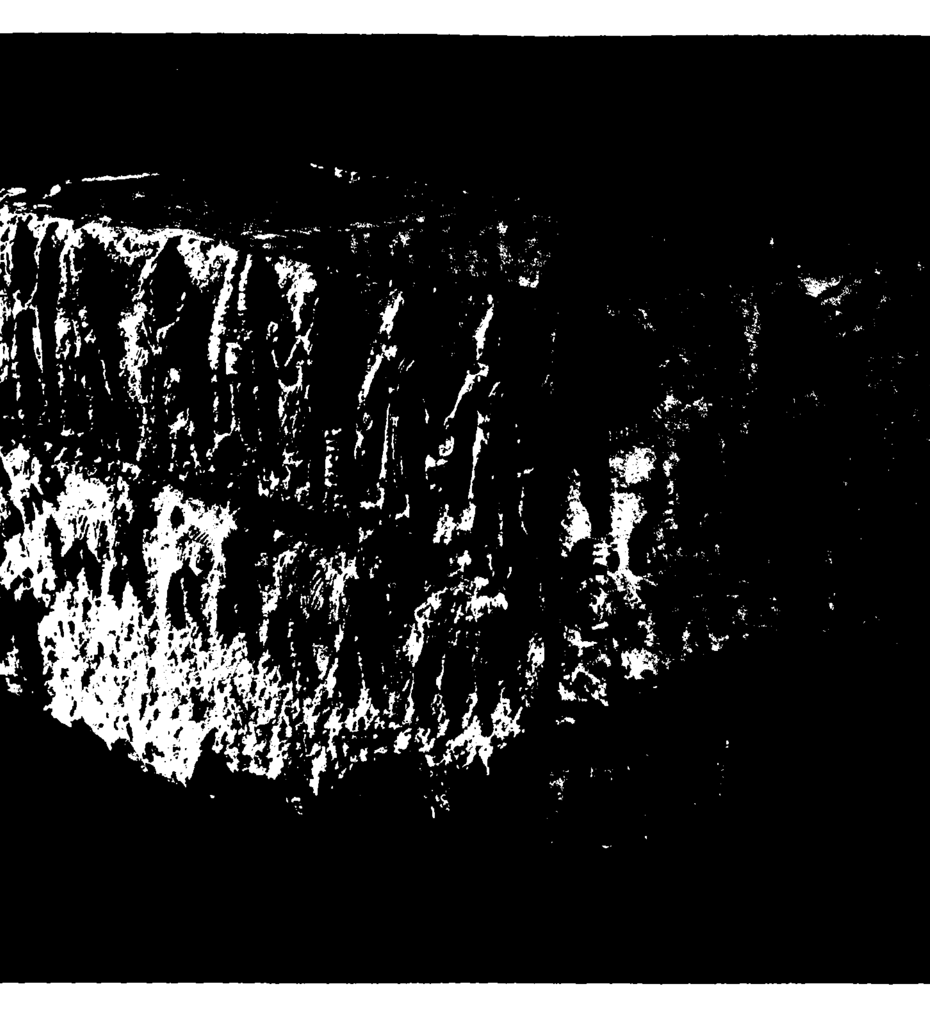
حلي نسائية مكتشفة في إيبلا (تل مرديخ)

- ١٧٦٠ - ١٧٠٠ ق.م -



رقيم مسماري إيبلا ـ تل مرديخ ـ (٢٤٦٥ ـ ٢٤١٥) ق.م
عن لائحة بأسماء مستلمي الأقمشة الملونة والملابس
والحلي الثمينة التي وزعت من قبل الملك والملكة (مالكتوم).

مكتبة المهتدين
http://al-maktabeh.com



جرن طقوس العبادة المتعلقة بالخصب، ويظهر وليمة احتفالية طقسية، وعلى جانبي مائدة القرابين، يجلس رجل وامرأة ايبلا ـ تل مرديخ ـ الألف الثاني قبل الميلاد



«انشودة النجوم» أقدم قصيدة حب في العالم

إيبلا تل مرديخ (٢٤٠٠) ق.م

http://al-maktabeh.com

الفصل السادس

المرأة في مملكة اوغاريت

إلى الشمال من مدينة اللاذقية، وعلى بعد حوالي عشرة كيلو مترات بقرب شاطىء البحر، تقع أطلال مملكة اوغاريت، التي لاتزال آثارها المكتشفة شاهداً حياً على حضارة شامخة يعود تاريخها إلى منتصف الألف الثاني قبل الميلاد. . .

لقد قيض لتربة رأس شمرة، أن تكون مقاماً لأروع حضارة عرفها التاريخ، بنتها مملكة اوغاريت، فكانت الأمجد في المالك، ومنها حسبما أوردت الرقم المسمارية، شعت أنوار ثقافية باهرة، وعت في عصرها عطاءات العصور التي سبقتها، وحفظت في ذاكرة الحرف المسماري عطاءات عصور تلتها، فكانت عظيمة في مجد أبنائها، وكانت كنزاً ثميناً في صنيع هؤلاء الأبناء، ورثناه شهادة لاتقبل النقض على أن ملوكاً وقادة من أصلاب العرب الأوائل في انتمائهم الكنعاني الصريح، قد ولدوا، وبنوا ممالك وحضارات وشرعوا دساتير،ودونوا وثائق،وأبدعوا أساطير وملاحم، وصنعوا أقمشة وزخارف، وروضوا البحر في سفن بعضها للقتال وبعضها للتجارة، وبعضها لمعانقة الشوق في رحلات الاستكشاف البعيدة.

ومن منطلق القيمة الكشفية في نتائجها العلمية، لابقيمة مافيها من ضخامة وجلال، ندرك الأهمية الفائقة لآثار اوغاريت، وماقدمته للتاريخ من حقائق فريدة تنبىء عن حضارة الساحل العربي السوري، وتكشف عن أول قوم نقلوا اللغة من الصورة إلى الأبجدية، ومن المقطع إلى الحرف، فكانوا بذلك مؤسسين لأهم انعطافة في التاريخ. . . حيث اللسان بيان، وبه تدون الأحكام والقرارات والمعاهدات والوثائق، والنصوص الاقتصادية والحقوقية، وبه تصاغ قصائد الغزل وأناشيد الدين. . . وبه تسجل أولى محاولات الموسوعات. وتحفظ أسماء

الآلهة. . . . ثم توضع القواميس والمعلومات الطبية، وبه تنقش النصائح والحكم، وحتى المعلومات عن السحر وعلم الغيب.

ومع اكتشاف اوغاريت ولغتها، تم أيضاً، في الوثائق المكتوبة اكتشاف ثماني لغات، تعود إلى أقدم عصور التاريخ، وجرى تحليل مضامين اللوحات الفخارية التي كتبت عليها، وكل هذا العطاء الأثري الكبير، أمدتنا به حفريات رأس الشمرة، أثر مصادفة سعيدة لفلاح كان يحرث أحد الحقول، مادرىء أن محراثه الذي يستنبت خير الأرض، قد دل، هذه المرة، على خير أثري لايقدر بثمن، حين أهدى الباحثين إلى الحضارة الاوغاريتية التي ورد اسمها في نصوص إيبلا وماري ورسائل تل العمارنة في مصر، وظل مكانها مجهولاً، حتى انكشف على سن محراث، كما ينكشف الكنز الدفين، فإذا عالم الآثار يعرف به واحداً من أعظم انجازاته على الاطلاق. [1]

لقد عدّل اكتشاف اوغاريت، من طرق وأساليب دراسة اللغات القديمة وجدد الأمور التالي:

١ ـ جدد تاريخ اللغات السامية، وذلك عن طريق تقديم نصوص نثرية وشعرية تؤلف الآن أهم مصدر للمعلومات الخاصة، بإحدى اللغات السامية المتداولة في الغرب (أي غرب بلاد مابين النهرين) خلال النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد.

٢ ـ جدد تاريخ الأديان السامية، بتصوير الآلهة التي لم تكن معروفة إلا خلال الاشارات الواردة في نصوص أحدث مثل التوراة، أو مؤلفات بعض المؤلفين الكلاسيكيين.

٣ ـ جدد تاريخ سورية خلال الربع الثالث من الألف الثاني قبل الميلاد، وذلك بعد أن أصبح المرء على بينة من الوضع العالمي القديم، مثل الوضع الذي كان سائداً في مملكة اوغاريت التي أحاط بها جيران أقوياء: الحثيون في الشمال، ومصر في ظل المملكة الحديثة في الجنوب، إذ ساعدت النصوص الاوغاريتية التي

١ ـ د. نجاح العطار، من كلمتها في افتتاح الندوة العلمية للدراسات الأوغاريتية، بمناسبة مرور خمسين عاماً على بداية التنقيب الأثري في رأس الشمرة(١٩٢٩ ـ ١٩٧٩ / .

http://al-maktabeh.com

تم الاطلاع عليها من الوقوف على مدى التطور الذي بلغته حياة سكان اوغاريت، والحياة الاقتصادية فيها.[٢]

وماذا عن المرأة؟!

لقد حملت إلينا مكتشفات اوغاريت ـ رأس الشمرة ـ الكثير من المعاني والدلائل والمعطيات المادية والمعنوية التي تظهر بجلاء ووضوح من خلال الشواهد الأثرية، والنصوص الكتابية المدونة على الرقم المسمارية، والمنحوتات الفنية... مكانة المرأة ودورها الهام في المجتمع الاوغاريتي في القرون الخامس عشر والرابع عشر والثالث عشر قبل الميلاد...

إن كثرة الرقم المسمارية التي اكتشفت في اوغاريت، وتنوع نصوصها وموضوعاتها التي تتعلق بمختلف جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية، سمحت لنا بالتعرف على المرأة وعلى جوانب كثيرة من حياتها وعلاقتها بالمجتمع، والدور الذي لعبته من أجل نهضته ورفع شأنه.[٣]

المرأة في الملاحم والأساطير:

يظهر من خلال ترجمة الرقم الطينية التي تضم ملاحم وأساطير اوغاريت، على رأس قائمة الآلهة الاوغاريتية الاله «ايل» كبير ا لآلهة، ورب السماء يعتلي عرشه في السماء السابعة، وقد شاعت عبادة هذا الاله لدى جميع الشعوب السورية، فنجده في الحواضر الفنيقية والآرامية، في الألف الثالث قبل الميلاد، كما نجده في مدينة تدمر وغيرها من الحواضر السورية في العصور الكلاسيكية المتأخرة.

كما نجد الاله بعل أوحدد، وهورب المطر والسحاب والصاعقة، وكان الاله الأقرب لقلوب العباد لعلاقته المباشرة بمعاشهم، فهو سيد الدورة الزراعية التي

---

٢ ـ رأس الشمرة، بقلم البعثة الرنسية المنقبة، ترجمة: فهمي الدالاتي منشورات المديرية العامة للآثار والمتاحف ـ دمشق ١٩٨٠ ص/ ٧٢ /.

٣ ـ علي القيّم، اضاءات من الذاكرة القديمة ـ منشورات وزارة الثقافة ـ دمشق. / ص ١١٧ /.

يعتمـد عليها البشر في حياتهم، وإلى جانب بعل نجد نقيضه الاله «موت» إله الجفاف والحرارة والعالم السفلي وهو في صراع دائم مع بعل.

ومن الآلهـة المؤنثـة عبد الكنعانيون «عشيرة» الأم الكبرى، وزوجة الاله «ايل» وكانت تدعى أيضاً «ايلات» نسبة إلى ايل، ومن ألقابها سيدة البحر، ومازال اسمها - حتى الآن - يطلق على الخليج المعروف في البحر الأحمر باسم خليج ايلات.

كما عبدت عناة، حبيبة الاله بعل، وروح الخصوبة الكونية وكانت تلقب بالعذراء. وعشتارات وهي إلهة اخرى للخصب تقاسمت مع عناة وظائف آلهة الخصب البابلية عشتار، إلى جانب هذه الألهة الرئيسية نجد آلهة تأتي في المرتبة الثانية مثل الاله «يم» وهو البحر الأول وشبش آله الشمس، وهي انثى على عكس إله الشمس البابلي شمش، وداجون إله القمح وأبو الاله بعل.

تتجـه الأسـطورة الاوغاريتية لتفسير الطبيعة بطريقة تروي توق الانسان الكنعاني المستمر لاستمرار الخصب في الأرض والحيوان والانسان، ودوام اتصال دورة الطبيعة[٤]

ومايهمنا عن أوغاريت في هذا البحث، هو تتبع مفهوم المرأة، كما نظر إليها الكنعـانيون وماتضمنه هذا المفهوم من السمو والشمول والمحبة. وهويتوافق مع ماعثر عليه في مناطق اخرى من بلاد الشام.

كانت للإلهة (عناة) في القصائد الأوغاريتية صفة «عديلة الأمم» وأهم ماتحدثنا عنه قصائد اوغاريت الدينية، هو «رسالة» للاله «بعل» يدعو فيه لسلام على الأرض، ويأمر بالابتعاد عن السلاح، وتعميم المحبة، والسلام على الأرض...

تقول هذه القصيدة: أن رسالة (بعل) هي قصة الشجرة، ووشوشة الحجر، إنها همس السماء، مع الأرض، وتطلع المحيطات إلى النجوم، رسالة بعل تعلم الانسان بالبرق، نور السماء... تعلم الانسان أن يعمر الأرض بكاملها، وتتوجه إلى الجنس البشري كافة، لكي «يفهم الرسالة». ويبدأ النص متحدثاً عن الإلهة «عناة» بقول:

«على صدرها تضع المرجان

---

٤ - فراس السواح، مغامرة العقل الأولى، ص / ٨٨ /.

http://al-maktabeh.com

اشارة لتقوى المنتصر بعل
وعودة (بدرية) ابنة الرطوبة
(واشارة) لحب (طلية) ابنة الندى
ولتقوى (رضية) ابنة العالم الرحب
كما الغلمان ادخل،
تحت أرجل عناة قدم الاحترام
وانحن تمجيداً لها.
وثنِ القَول لعديلة الأمم.
رسالة المنتصر الشهم:

الحرب على الأرض مخالفة لارادتي
بلقاح المحبة، لقمح التراب
اسكب السلام في كبد الأرض
والعسل في قلب الحقول
ابعد عنك هراوتك
وسلاحك
ولتركض أرجلك نحوي
نحوي لتسرع خطاك
لأن عندي رسالة
ابلغك إياها

وكلمة أعيدها عليك
إنها رسالة الشجرة
ووشوشة البحر
وهمس السموات مع الأرض
والمحيطات مع النجوم
سوف اخلق البرق
دعوت السموات
والصاعقة لتدعو الناس

وليعلم جميع سكان الأرض الرسالة»[٥]

وتصل الرسالة إلى الإلهة عناة، التي تجيب عليها:

«سأضع في الأرض خبزاً
وسأضع في التراب لفاحاً
وسأسكب في الأرض قربان السلام
والتقدمات في وسط الحقول».

ثم أنها لاتنتظر عودة الرسولين بجوابها، بل تطير لتوها قاطعة مئات الأميال تطوي الفيافي والقفار، وعندما يراها بعل قادمة من بعيد يرسل جمعاً من النساء لاستقبالها، ويذبح من أجلها ثوراً، ويحتفل بها احتفالاً مشهوداً، وبقدومها تبتهج الطبيعة فيرقص النبات ويتكاثر الحيوان.[٦]

تعتبر «عناة» من أهم آلهة الخصب، في مجمع الآلهة الكنعاني، وقد انتشرت عبادتها وتقديسها، ليس فقط على الأرض السورية، بل عمت منطقة الشرق العربي كافة، لكن بأسماء وأشكال مختلفة، وقد وصلت عبادتها من الأرض الكنعانية إلى الأرض المصرية عن طريق الهكسوس وتصدرت مجمع الآلهة المصري... ونراها على إحدى المسلات الموجودة حالياً في المتحف البريطاني، مرتدية ثوباً طويلاً، يصل حتى قدميها، ومعتمرة خوذة، تلوّح بالفأس والرمح. أما النص المنقوش بجانبها، فيصفها بسيدة السماء وعشيقة الآلهة، وقد أغرم بها فراعنة مصر، مع «عشتارات» مجنة الحامي[٧]، واستمرت عبادة «عناة» ربة الخصب الكنعانية، في مصر حتى العصر الهيلنستي، وأصبح اسمها مرادفاً للآلهة المصرية «هاتور» واستخدم أحياناً كلقب من ألقابها.

وتختفي عناة باسمها هذا، من مسرح الأحداث الكهنوتي، بعد أن تصدرت المجمع الطقسي للآلهة المصرية، طيلة ألف عام، لتظهر بعدئذٍ بأسماء آلهات خصب اخرى، امتزجت معها. فعلى أحد المشاهد المنحوتة، يرد وصف آلهة كنعانية باسم قدشو عناة (عناة المقدسة) وقدشو عشتارات (عشتارات المقدسة) مما

٥ ـ قاسم الشواف، مع الكلمة الصافية / ص ٢٢٧ /.

٦ ـ فراس السواح، مصدر سابق / ص ٩٩ /.

٧ ـ محمد وحيد خياطة، المرأة والألوهية، / ص ٥٦ /.

http://al-maktabeh.com

يشير إلى وجود عدد من آلهات الخصب المحلية، اللواتي يقمن بنفس الوظائف التي كانت تقوم بها عناة في وقت ما.

وتتمتع عناة في الأدب الاوغاريتي بجمال أخاذ، يأخذ بمجامع القلوب، ويأسر الأفئدة، ويتغنى بجمالها العاشقون، فقد جاء على لسان «كريت» ملك اوغاريت، في الملحمة الشهيرة باسمه، وهو يصف حبيبته، بأنها أخذت عن عناة سحرها وجمالها الرائع.(٨)

عناة العذراء:

تلقب عناة بالعذراء، كمثيلتها عشتار البابلية، رغم كل الصلات الجنسية التي قامت بها والعلاقات العاطفية التي كانت تربطها مع العديد من الرجال...

وقد جاء وصف عناة في النصوص الأوغاريتية على شكل (ب، ت، ل) و (ر، ح، م)، أي عناة البتول، وعناة الرحم... والصفة الثانية الرحم، المقصود بها، رحم المرأة (حوض المرأة) الذي يحضن الانسان في جوفه قبل أن يرى نور الحياة، ومنه اشتقت كل معاني الخير، المتعلقة بالرأفة والشفقة والحنان مثل: الرحمة والرحمن والرحيم والأرحام... وتتجلى هذه الصفات الطيبة في عناة، أثناء البحث عن أخيها المقتول «بعل» كقلب البقرة على عجلها. وكقلب الشاة على حملها. كذلك هو قلب عناة على بعل»(٩)

وتظهر عواطف المرأة الجياشة، المفعمة بالحب والحقد في شخصية عناة، عندما تعلم بوفاة أخيها بعل، فتقيم له حفلاً جنائزياً مأساوياً يتخلله تصرفات المرأة الملتاعة المفجوعة بأخيها بعل، فتخدش عناة جسدها بأظافرها، وتجهش بالبكاء دون انقطاع، ثم تحمل جثة أخيها المسجى فوق يديها، لتواريه الثرى، في أحضان قمة الجبل الأقرع (صفان).(١٠)

ثم تتحول الإلهة الوادعة الصادقة، الطيبة، المتدفقة حباً وحناناً ورقةً، إلى امرأة مقاتلة منتقمة، لتثأر من قاتل أخيها (الاله موت)، فتكشف إلهة الخصب (عناة) عن وجهها الأسود في أحد نصوص اسطورة بعل وعناة:

---

٨ ـ المصدر السابق / ص ٦٠ /.

٩ ـ نصوص اسطورية ودينية من رأس الشمرة.

١٠ ـ المصدر السابق / ص ٦١ /.

«هي ذي عناة تقاتل بضراوة.
إنها تذبح أبناء المدينتين،
إنها تصارع أبناء شاطىء البحر،
وتبيد أبناء مشرق الشمس.
تحتها الرؤوس، وتتطاير كالنسور،
وفوقها تتناثر الأذرع كالجراد.
إنها تخوض في دماء الأبطال حتى الركب
إنها تغوص في دماء الناس حتى العنق
كبدها يتفجر سروراً،
وقلبها يمتلىء حبوراً.
تغسل يديها في دماء الجنود
وأصابعها في دماء البشر».

ويظهر الجانب القاسي من شخصيتها، الجانب القاسي، الفظ، الذي لايعرف الرحمة ولاترويه أنهار الدماء:

«لقد امسكت بالاله موت.
بالسيف تقطعه
وبالمذراة تذريه
وبالنار تشويه
وبالطاحونة تطحنه
وفي الحقل تدفنه».

ولم يغب عن فكر الشيخ العجوز الرب «ايل» شخصية ابنته المتهورة (عناة) فيقول مخاطباً إياها:

«اعرفك يابنيتي
وأعرف أنك مثل رجل
وليس بين الآلهات كلهن،
من يضارعك ضراوة».

لقد ذهب بعض المؤرخين، إلى القول، أن موقف «عناة» كان دافعه تطهير الكون من عناصر الفساد ورسل إله الموت، الاله الذي قتل أخاها، وابتلعه في جوفه، فالقضاء عليهم بهذه الوسيلة، يعني القضاء على العدم والفناء. حيث

al-maktabeh www .com مكتبة المهتدين http://al-maktabeh.com

تسترد إليها بعل، الـذي تعود معه الحياة، إلى شتى مظاهر الطبيعة، فيورق الشجر، وينضج الثمر، وتنتعش سيقان القمح، . . غير أن الاله (موت) يسترد قواه بعد سبع سنين فينبري مجدداً للاله بعل:

«وهكذا من أيام إلى شهور
ومن شهور إلى سنين. . .
ولكن في السنة السابعة،
نهض موت معلناً نفسه لعليان بعل.
رفع صوته وصاح:
أي بعل، بسببك أنت، جللني العار
بسببك أنت ذقت السيف،
بسببك أنت وردت النار.
بسببك أنت عرفت حجر الطاحون،
بسببك أنت دفنت في الحقول».

وتعود القوتان الكونيتان إلى الصراع وتتكرر دورة حياة بعل. .

إن مايميز دورة حياة الاله بعل عن أشباهه من آلهة الطبيعة في ميثولوجيا الشرق القديم، والعالم اليوناني، هو أن دورة حياة هذا الاله ليست دورة سنوية، بل دورة تتبع نظاماً خاصاً يعيش بموجبه سبع سنوات ثم يموت ليبعث من جديد إلى سبع اخر[11]

وسيكون على هاتين القوتين الكبيرتين أن تتصارعا طويلاً، قبل أن يكتب لأحدهما الانتصار، وسيجد بعل نفسه في المعركة مراراً لاحصر لها، ففي كل سبع سنـوات سينـبري له «مـوت» ويتحداه فيسلم بعل نفسه له، ويهبط إلى العالم السفلي، ولكنه يعود منتصراً، إلى الحياة بعد معركة عنيفة بين بعل وعناة من جهة، وموت وأتباعه من جهة ثانية، حيث تقوم عناة بقتل (موت) وتقطيعه ونشر جسده في الحقول، ويقوم بعل من جهته بالقضاء على بقية القوى الموالية لموت، وبهذا الانتصار تنبعث الطبيعة من جديد، وتعود الأمطار لتروي الأرض المجدبة، وترجع الحياة الزراعية سيرتها الأولى.

وهكذا نجد أن هذه الأسطورة لاتهدف بالدرجة الأولى إلى تفسير الدورة

---

١١ ـ فراس السواح، لغز عشتار / ص ٣١٢ ـ ٣١٣ /.

الزراعية السنوية، بل إلى تفسير تناوب دوري الخصب والجفاف الذي يميز مناخ المنطقة، والذي مانزال ـ حتى الوقت الحاضر ـ في سورية نعاني من آثاره، ويبدو أن هذا التناوب كان واضحاً في أرض كنعان، قديمًا لدرجة كان يمكن معها حصره في سبع سنوات خصيبة تليها فترة من الفحط تطول أو تقصر ثم نعود الحالة سيرتها الأولى وهكذا[١٢]

عناة الأخت والزوجة:

تلعب عناة دوراً بارزاً في حياة الاله بعل، واسمها، كما عرفنا، يرتبط بشكل أو بآخر باسمه، ولكن مانوع العلاقة بينهما؟

تقوم عناة في الملاحم الاوغاريتية، بتمثيل شخصية ـ إنانا ـ عشتار، في الأدب البابلي، فهي رغم كونها عذراء «بتول» كما تصفها النصوص الملحمية، نراها من جملة الآلهات الاناث، واللواتي شاركن الأب العجوز «ايل» فراشه، وهي . عناة، رفيقة بعل وزوجه الحبيب، بل الأخت الأثيرة إليه.

يصور النص التالي بحث عناة عن أخيها وعندما لاتجده في قصره، الذي ناضلت هي نفسها، من أجل بنائه، تتوجه إلى الحقول، وهناك يتم لقاء الفرح بين الأخوين العاشقين:

«أليس بعل في البيت العظيم؟
أليس هو في قصره الفخم؟
وأجاب خدمة بعل:
بعل ليس في قصره العظيم
أخذ قوساً بيساره
ونبالاً بيمينه
وتوجه إلى مروج شاماك.
الملأى بالثيران الوحشية.
عندئذٍ شرّعت عناة جناحيها
وحلّقت مسرعة
نحو مروج شاماك، الملأى بالثيران الوحشية،

---

١٢ ـ مغامرة العقل الأولى / ص ٢٧٣ / .

http://al-maktabeh.com

وهناك رفع بعل العلي عينيه
رفع عينيه ورأى. . .
نعم رأى العذراء عناة
أحب أخوته إليه
أسرع نحوها
وركع أمام قدميها وسجد،
وجلجل صوته مردداً
لتحيَ أختي
والآن لنرعَ صداقتنا
اقبلي نحوي
ودعيني أمنحك الحب، أيتها العذراء عناة
أقبلي نحوي. . . لأمنحك الحب
ورفعت العذراء عينيها وشاهدت
نعم شاهدت النور
فقفزت راقصة
قفزت راقصة
قفزت ترقص بخفةٍ ورشاقة[١٣]

عناة في أسطورة أقهات الاوغاريتية:

ماهو محفوظ من هذه الحكاية الأسطورية، تحتويه ثلاثة ألواح، اثنان منها في حالة جيدة، والثالث متضرر بصورة سيئة، لكن اتفاقاً عاماً يجمع الاختصاصيين في الشؤون الأوغاريتية حول الخطوط الرئيسية للقصة، وقد صدرت أكثر من ترجمة لها ونعتقد أفضلها، ماقام به الدكتور أنيس فريحة ويقول ملخصها.[١٤]

كان دانيال قاضياً عادلاً، يقضي للأرملة، وينصف اليتيم. كان يجلس للقضاء عند البيدر بالقرب من باب المدينة، ولكن الله لم يرزقه صبياً، كان له ابنة اسمها فوغة، غير أنه كان يريد ولداً ذكراً، يبقي اسمه حياً، فذهب إلى الهيكل،

---

١٣ ـ نصوص اسطورية ودينية ـ ترجمة عن الألمانية للأستاذ محمد وحيد خباطة.

١٤ ـ ملاحم وأساطير من أوغاريت ـ رأس الشمرة ـ/ ص ٨٠ ومابعدها/ .

واعتكف مدة اسبوع، كان في أثنائه يقدم الذبائح ويصلي. وأخيراً ظهر له البعل ووعده بأنه سيشفع له عند أبي الآلهة ايل، فرح دانيال وأقام وليمة دامت سبعة أيام.

بعد مولد الصبي، أقهات، يتوارى دانيال رويداً رويداً، من الأسطورة، ويحتل مكانه ابنه أقهات.

في ذات يوم مرّ إله البناء ـ كاشر ـ وخاسس، بالقرب من بيت دانيال وهو في طريقه من ممفيس في مصر إلى الشمال، فدعاه دانيال إلى الطعام وأمر زوجته دنيتّه أن تذبح له حملاً مسمناً، وكان ـ كاشر ـ وخاسس يحمل قوساً وجعبة للسهام أعدها ـ هكذا يبدو ـ خصيصاً للالهة عناة، لأن عناة ماهرة في الصيد، وقد ترك كاشر ـ وخاسس القوس والسهام عند دانيال، ولسنا نعلم أتركها سهواً، أم أبقاها هدية، أعطى دانيال القوس لابنه وقال له أن يقدم بواكير صيده للهيكل.

التقت عناة بأقهات بينما كان يصطاد، فطلبت إليه أن يعطيها القوس فرفض، فحاولت استمالته بالحسنى، منته بالخلود، أغدقت عليه العطايا لكنه رفض بإباء، وليس هذا فحسب وإنما أهانها إذ قال لها: ومتى كان القوس للنساء؟! ومامعنى قولك «الخلود» ومتى كان الخلود من نصيب الانسان؟.

غضبت عناة وتوجهت إلى أبيها «ايل» وشكت أقهات وطلبت إليه أن يتدخل فوعد بذلك، ثم أنها استعانت برجل اسمه «يطفان» ـ شبه إله ـ وقالت له: سأمسخك نسراً، فتطير مع سرب من النسور، فتحوم فوق رأسه عندما يجلس إلى الطعام في قرية «الأباليم» أو (قرية النائحين ـ قرية المروج)، فتضربه على رأسه وعلى أذنيه وتأخذ منه القوس، لكن يطفان في لطمة أقهات يقتله، ويأخذ القوس، ويطير بها، ولكن عندما كان فوق البحر سقطت من يده واختفت في الماء، فكان حزن عناة مزدوجاً: لا القوس فازت به ولايطفان عمل ماأمرته أن يقوم به.

فوعدت عناة بإعادته حياً.

غير أن وجه الأرض تبدل، وأصاب البلاد جفاف لأن نفساً بريئة قتلت.

أخبرت «فوغة» أباها أنها متشائمة إذ قد رأت سرباً من الطير يحوّم فوق البيدر، وبينما هي تتكلم وإذا برسل قادمة من بعيد، وعندما اقتربوا من دانيال سجدوا له وكرموه وأخبروه بمصرع أقهات.

أقام دانيال مناحة دعا إليها الندابات والنائحات، ودامت المناحة سبع

http://al-maktabeh.com

سنوات. وأخيراً قدم الذبائح للآلهة، فأتت إليه ابنته «فوغة» وطلبت إليه أن يسمح لها بأخذ الثأر، وأن يمنحها البركة، . . . تنكرت بزي جندي، وتقلدت خنجراً، ولبست فوق ذلك كله ثوب امرأة، وذهبت تفتش عن «يطفان». وعندما رآها دعاها إلى الطعام والشراب، فسقته أولاً ثم ثانياً، إلى أن لعبت الخمرة في رأسه فأخذ يباهي بأنه هو الذي قتل أقهات، «وأن اليد التي قتلت أقهات لتستطيع أن تقتل ألف عدوّ من أعدائك». وعندما أقر بجريمته صعد الدم إلى رأسها واهتاجت هياج أفعى».

(وهنا ينتهي النص فجأة، إذ لم يعثر بعد على الأجزاء الباقية) لاندري كيف انتهت أسطورة أقهات، ولكن يستدل من بعض السطور المتبقية في النص الأوغاريتي أن أقهات، عاد للحياة، وبعودته تخضر المروج وتخصب المراعي. وإن دلت هذه الأسطورة على شيء، فإنها تدل على تبادل الأدوار بين الشخصيات، حول موضوع واحد، فهي نموذج آخر من أسطورة بعل وعناة وأدونيس وأفروديت وعشتار وتموز. حيث يأخذ أقهات هنا دور الاله القتيل، وتتمثل (فوغة) أخته في شخصية عناة، في البحث عن قاتل أخيها، والثأر له، وإعادته للحياة.

ونجد هنا بعض السمات الشبيهة بأسطورة جلجامش البابلي، خاصة في الحوار بين أقهات وعناة:

«أيها البطل أقهات، أطلب الحياة،
أطلب الحياة فأنا أعطيك،
أطلب الخلود فأهبه لك.
اجعلك تعدّ السنين مع بعل
تعد الأشهر كأبناء ايل (الآلهة)».

لكن أقهات يجيبها قائلاً:

«لاتكذبي أيتها البتول
فبطل مثلي لاتغريه كذباتك
ففي النهاية ـ ماذا يحصد البشر؟
متى كان البشر يتطلعون للخلود
يهيلون التراب على رأسي
يطلون هامتي بطلاء الموت

سأموت كبقية البشر
حتى أنا، سأموت».

عشيرة في النصوص الأوغاريتية :

على الرغم من أن الدور الذي تلعبه عشيرة (عشتروت) في النصوص الأوغاريتية، ثانوي إذا ماقيس بدورها في الميثولوجيا الرافدية، فإننا نرى فيها شخصية المرأة الفاعلة في المجتمع، ذات استقلال شخصي، لها تأثيرها القوي في إرادة الرجل، وتتحكم فيها رغباته ونزواته.

فعشيرة في الأسطورة الأوغاريتية، نراها زوجة كبير الآلهة »ايل» تسكن في منزل خاص بها، ويتردد إليها الزوج في فترات متقطعة، كما تقوم هي أيضاً بزيارته في مسكنه الخاص.

فالعلاقة بينهما، علاقة يسودها الاستقلال، لكلا الزوجين، وهي أبعد ماتكون عن علاقات اجتماعية، يسود الرجل ويتحكم بتصرفات زوجته. ونرى العلاقات الانسانية ضمن العلاقات الزوجية، ومايتخللها من عنف وحماس وفتور.

فعشيرة التي أنجبت كل الآلهة، وولدت البشر، تقادم بها العهد، ووصلت حد الشيخوخة، فنفذت بذلك جاذبية الصبية الفاتنة التي كان لها يوماً، في مقتبل العمر ولم تعد ترضي ذوق الرجل، التواق أبداً إلى الجديد، متناسياً أنه هو نفسه، فقد أيضاً عود الشباب الناضر، وقوة الثور الفتي فيتطلع الاله الشيخ، الآب الوقور والحكيم إلى إلهة صبية، تتفتح كبراعم الربيع في الحقول.[١٥] ليثبت للآخرين، المتطلعين إلى عرشه بأنه مازال يملك نصاب الأمور بيديه وبمقدوره السيطرة على قلوب العذارى.

غير أن السيدة العجوز، لاتستسلم بسهولة، وتقاوم بضراوة، لتحافظ على مكانتها كامرأة انثى، لها جاذبيتها ونفسها الفتية، التواقة إلى الحب والحياة، فترمي زوجها الشيخ، بعد أن شعرت ببرودة تجاهه، فتثير في نفس بعلها، كرامة الرجل

١٥ ـ الملاحم الأوغاريتية، وصفت عشيرة (عشتروت) بالجمال والحسن والفتنة، من ذلك عند وصف الشاعر جمال «حورية» ابنة فابل وزوجة كارت في الملحمة المعروفة بهذ الاسم، فقال:

«إنه جمال عشتروت».

http://al-maktabeh.com

المطعون بأغلى شيء يمتلكه، ألا وهو الرجولة، فيقرر الانتقام منها، وإذلالها فيطلب من الاله الفتي (بعل) المتطلع نحو العرش، باندفاع وحماس الشباب مضاجعتها، لاخضاعها وخفض معنوياتها. ويتنحى الاله الشيخ للاله الشاب، ويقتنع بالدور الجديد الذي أسند إليه، وهو النصح والارشاد.

ويحتل بعل وعشيرة الحيز الذي تركه ايل، ليخلق جيل جديد من الآلهة، وهذا هو قانون الحياة، سواء في عالم الآلهة، أم في عالم البشر.[١٦]

زواج نيكال:

تصف هذه القصيدة - الأسطورة - زواج «نيكال» إلهة ثمار الأرض وابنة «حريبي» إله الصيف من «ياريخ» إله القمر، توجه الدعوة للالهات الحكيمات «الكاثيرات» لتأمين مستلزمات الزفاف الضرورية، ويُعلن عن الهدايا الثمينة التي سيؤمنها «ياريخ» كمهر للعروس.

يظهر «حريبي» ليمثل دور الوسيط، ويقترح عرائس اخريات لياريخ، لكن العريس المقدس، يصرح بأنه مصمم على الزواج من نيكال دون غيرها، وتوصف عملية وزن المهر، وتنتهي القصيدة بترتيلة «الكاثيرات» اللواتي ينشدن أغنيات مرحة احتفالاً بالزواج.[١٧]

المرأة الاوغاريتية خارج الأسطورة:

كان ملك اوغاريت، يلعب دوراً متفوقاً في أرجاء مملكته، فقد دلّت الكتابات المكتشفة في هذه المملكة العظيمة، أن ملكها كان السيد المطلق، فهو الذي يدير سياستها، وهو رئيس جيشها الأعلى.

أما الملكة، فكان لها دورها الهام جداً في البلاط الملكي، وتدل على ذلك الكتب الموجهة إليها من بعض الشخصيات المرموقة، راجين منها وساطتها لدى جلالة الملك لحل بعض القضايا الدبلوماسية.

إن المعلومات الأثرية، عن ثيابها وحلاها، تدل على حياة البذخ التي كانت

---

١٦ - محمد وحيد خياطة، مصدر سابق / ص ٧٥ - ٧٦ /.

١٧ - صموئيل هنري هووك، منعطف المخيلة البشرية - ت: صبحي حديدي / ص ٧٦ /.

تعيشها. فجهاز الملكة أخت «ملكو» المدونة مفرداته على لوحة مكتشفة في أوغاريت، خير دليل على ذلك فقد ذكرت فيه عقود ذهبية مرصعة بأحجارها الكريمة، وخلاخيل وأساور وكأس من الذهب وكؤوس من الفضة وزنانير من الذهب وعشرين علبة تبرج، وست قناني ملأى بالعطور، ومملحات مصنوعة من العاج، وبعض الألبسة والقماشات الأخرى[١٨].

وتكشف لنا ترجمات الوثائق الملكية المكتشفة في أوغاريت عن عدد من النصوص الموقعة من قبل ملكة تدعى (شار ـ إل ـ لي). وكان لهذه الملكة ختم خاص محفور عليه خطين من الهيروغليفية المصرية. ومن الممكن أن تكون هذه الملكة، زوجة الملك (نقمد الثاني) ويعتقد أنها مصرية الأصل، وأنها غيرت اسمها بعد الزواج من المصرية إلى الأوغاريتية، من أجل أن تتكيف في المجتمع الجديد[١٩].

وعثر على ختم في أوغاريت، يذكر أن (آهات ـ ميلكو) والدة الملك (اميشتمرو الثاني) أصبحت وصية على العرش، حيث أن الختم يحدد أنها ملكة أوغاريت[٢٠]. كما أصبحت أيضاً (بودوهيبا) زوجة اميشتمرو الثاني، وصية على العرض بعد وفاة زوجها، لأن ابنها (توضاليا الرابع) كان حديث السن، وقد عثر على رسالة فخارية تحمل ختم (بودوهيبا) موجهة إلى اميشتمرو الثاني، لتسوية مسألة احدى السفن التجارية التي غرقت داخل مياه أوغاريت، وكان صاحب السفينة، وهو رجل أجنبي، قد اتهم رجالاً من أوغاريت بإغراق سفينته، ومن أجل كشف المجرمين الحقيقيين، طلب الملك من رجال أوغاريت، القسم أمام الآلهة حول براءتهم، بحيث يسحب صاحب السفينة شكواه بحقهم.

وتذكر وثائق أوغاريت الأثرية، أن (آهات ـ ميلكو) والدة اميشتمرو الثاني، قد تزوجت نقميبا، ويبدو أنها كانت أميرة عمورية، وهي ابنة (دو ـ تيشوب) وقد دافعت عن حقوق ابنها بشجاعة ونجاح حتى تضمن له الوصول إلى العرش

---

١٨ ـ جبرائيل سعادة ـ أوغاريت ـ دمشق ١٩٥٤ ـ / ص ٥١/ .

١٩ ـ د. صفية سعادة ـ أوغاريت ـ مؤسسة فكر للأبحاث والنشر ـ الطبعة الأولى ـ بيرو ١٩٨٢ / ص ٤٢/ .

٢٠ ـ كلود شيفر ـ مجلة سورية ـ العدد ٣١ لعام ١٩٥٤ / ص ٣٧ ـ ٣٨/ .

٢١ ـ مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية. المجلد ١٤ ـ / ٢٣٦ ـ ٢٣٧/ .

http://al-maktabeh.com

بنجاح، بالرغم من حداثة سنه ومن خلال هذا، نرى أن المرأة كان لها دورها الكبير والهام في إدارة شؤون المملكة.

لقد احتلت المرأة في المجتمع الأوغاريتي مكانة عالية ـ تسمو إلى التقديس.... فها هو أحد أدباء أوغاريت، يكتب معبراً عن عاطفته نحو أمه بقوله:

«أمي ـ كنوز الأفق ـ
غزال الجبل،
ونجم الصباح المتألق،
وحلي ابنة الملك السائحة بفتنتها،
وتمثال الرخام على اللازورد،
وروح العاج الكامل المملوء بالفتنة.
أمي هي المطر في الوقت الجيد،
وأول ماء الزرع،
والمحصول الوفير،
والقمح الرفيع،
وثمار الربيع،
ومنتوج نيسان،
والجدول الناقل للمياه العذبة إلى السهل»[21]

وكان للولادة، وقعها الجميل في نفس الأوغاريتي، فيعبر عن ذلك الشاعر عن ولادة ساهر وسالم الالهين الظريفين والجميلين من والدين يظهر أنهما مجهولان:

«ينحني على شفاههم
ويرفع صوته قائلاً
أن شفاههم عذبة
عذبة كعنقود عنب
وقد ولدت ساهر وسالم
من قبلات الحبل».

ويظهر والدهما ليخبر الاله (ايل) بهذه الولادة، فبعث إلى ايل بهذه الرسالة:

«إن امرأتي ياايل قد ولدت

فمن ولدت؟
لقد ولدت إلهين ظريفين
ساهر وسالم فرزقت بهما
فقدم إذن القرابين لشاباس الإلهة العظيمة،
وإلى النجوم». [٢٢]

وفي الأدب الأوغاريتي مجموعة جميلة من الابتهالات والنداءات إلى الآلهة، لتحرر الانسانية والطفولة البريئة من كل الأمراض والأوبئة والنظرات السحرية. وخاصة من الحاقدة الشريرة، وتجدر الاشارة إلى نص اوغاريتي، يعبر عن (جزاء المؤذي). ويتضمن قصة فتاة خائبة تسمى (لاماشتو) التي كانت تقضي على كل مولود وأمه، وتحقد على الشباب، وتلحق الأذى بالفتيات... فكانت في تعاستها (كمن يجرّع مياه الحزن والغم). [٢٣]

وهناك نصائح بثوبٍ طريف، لها علاقة مباشرة بالأسرة، والمرأة، تعبر عن حياة اوغاريتية جميلة مثل: «لاتتخذ للزواج فتاة في عرس، إن الفتاة القبيحة تتدثر في الاحتفالات بالثوب الجميل». و «لاتطلع زوجتك على مافي صرّتك».

المرأة في اللآلىء الأوغاريتية:

في النصوص التي دونها كاهن «ايل» الأكبر المدعو «ايلي ميلكو» التي يعود تاريخها إلى عهد الملك نقمد، والتي تتحدث عن أحداث وقعت قبل ثمانين عاماً من تدوينها خلال عهد الملك السابق نقمد، الذي تدعوه النصوص الأوغاريتية بلقب «الملك الأكبر» دون أن تذكر اسمه الحقيقي، ويتركز الموضوع الرئيسي لهذه النصوص حول سيرة ذلك الملك الكبير، وتقلبه بين عبادة الاله ايل وعبادة بعل وعشيرة (عشتارات). ثم نهايته الفاجعة على يد أتباع ايل. والعبر التي يمكن استنتاجها من ذلك، ويبدو أن تلك الألواح كانت موضوعة على شكل كرّاس

---

٢٢ ـ جبرائيل سعادة ـ أوغاريت ـ / ص ٨٧ / .

٢٣ ـ مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية. المجلدان / ٢٩ ـ ٣٠ / ص ٢١ .

مدرسي لتعليم التلاميذ. . .[٢٤]

في هذه النصـوص ـ الأخبار ـ التي وصلت إلينا مدونة على خمس لوحات طينية مسمارية تتكشف لنا أيضاً الكثير من المعلومات عن المرأة والحياة العائلية في المجتمع الأوغاريتي، فقد كان الحب يلعب دوراً هاماً في حياة الأوغاريتيين.

فالصلة بالسرية يعتبر سلوكاً غير مشرف، ولذلك كان من المطلوب طرد هذه «الأجنبية».

والشاب الأوغاريتي، بطبيعته خجول، فكانت المرأة في الغالب، أول من يتقدم بالبوح عن عاطفتها. . .

كانت طقوس الاله (بعل) تسمح ببعض الاباحيات، بينما طقوس الإلهة (عناة) تكرس الاتحادات الثابتة بين الجنسين (طقوس الزواج). كما كانوا يضفون على الحب قوة الخصب السحرية، فزيادة الزيجات تزيد من نمو النبات، والحب كشعور مخالف تماماً يلعن الحب:

«وإلى صدره اقتربت لتداعب السيد حيث قال:
بيدي فتحت بيت اللعنات والحب نبذته،
والعديد من الفتيات رغبت في مداعبتهن،
وبرفق انحنى لينال البركة،
وبدأ يتضرع إلى العذراء عناة.[٢٥]

عند ذلك تقول عناة: «من أجل تكريم الأرض
سأضاعف رقة العواطف،
من أجل تمجيد الحقول».

ويستدل من النصف الأول، أن النساء كن يضعن في بعض المناسبات على صدورهن بعض العقود، ويوجد تعبيران في النص يمكن تفسيرهما بلفظة «لولو» و «مرجان» كما يمكن أن يدلا على نوع من الزجاج أو الأحجار الكريمة. فقد جاء في النص أن الملك الكبير قدم إلى سريته الزينات الموضوعة في المعبد، فكانوا يرون

---

٢٤ ـ اعتمدنا في هذه النصوص على ترجمة الأستاذ مفيد عرنوق، التي نشرها عن دار مجلة فكر ببيروت عام ١٩٨٠ بعنوان «اللآلىء من النصوص الكنعانية «بقلم كبيرة كهنة أوغاريت ايلي ميلكو.

٢٥ ـ المصدر السابق / ص ١٨ / .

في الحلي بعض الفضائل السحرية باعتبارها عنوان جذوة الحب الخطرة:

«لقد ماتت الأوقاف المقدسة
حتى تنتقل جواهرها إلى المرأة».

في النص الثاني، من نصوص الملك الكبير، نرى الزراعة هي دوماً ثروة البلاد الرئيسية، والالهة «عناة» هي أيضاً إلهة زراعية، إنها تملك محراثاً ذا سكة خيرة، تتمتع بقوة خيرة (القرن):

«ليمنح اذن الشفاء وقوة الحياة،
اعلني ذلك أيتها الأخت -
وادفعي القرن (القوة) الموجودة في محراثك أيتها العذراء عناة».

وفي هذا النص، تعتبر اللآلىء، بنوع خاص ثمينة إلى حد يقال معه:

«وعند هذا الحد رفع السيد الأكبر عينيه
رفع عينيه وتوجه إلى العذراء عناة
تلك الجميلة بين أخوات السيد، المحبوبة مثل لآلئها».

وفي هذا النص، نلاحظ أن الملك يرتبط دوماً بسريته الأجنبية، وللمرأة في الحياة العائلية تأثير كبير على زوجها، فتحمله على اتخاذ القرارات، ولما كان الملك الكبير يعتبر رئيس العائلة فإنه كان يسكن مع اخوته الصغار، كما كان لهم عليهم حق الرعاية.

في النص الثالث، نلاحظ أن الاله (ايل) هو الاله الأب، إله الأجداد، ونصيحته المثلى، تتركز على انجاب الأولاد، حتى يحتفظ الميراث بطابعه المقدس، والأرض هي الميراث الأمثل.

أما السرية الأجنبية فكانت لها أهمية كبيرة، بموجب النص، إذ كانت تسدي النصح إلى الملك الكبير، ونلاحظ أن السلوك المتطرف كان مرفوضاً بالنسبة للعاهل، وثمة أمر واضح، هو أن الوصيفات كن يسهرن على العاهل، وهو نائم، وذلك كان من نصح الإلهة عناة.

أما النص الرابع، ففيه إشارة إلى الموت حيث يقال: «إن مسكنه قرب حبيبته الأرض» وهذا مأخوذ عن عادة الزواج بالصديقة، وهي أن يلتحق الزوج بزوجته.

في النص الخامس من ألواح الملك الكبير، نلاحظ أن الولادة عند الأوغاريتيين، كانت تعتبر حدثاً سعيداً يمكن أن يمحو اللعنات الالهية. وكانت

http://al-maktabeh.com

حدثاً هاماً إلى درجة أن جداول المياه في خريرها كان عليها أن تنقل هذا الخبر.

والإلهة عناة، هي التي تعقد الخطوبة بين الجنسين، والخطوبة بالنسبة للرجل أو المرأة تعبير واحد فيقولون: «الذين عقدت خطوبتهم عناة». والذين لم يتزوجوا على الأرض فإنهم يتزوجون بعد الموت في مملكة الجحيم حين يجدون الشريك من بين الظلال. والسرية التي هي من أصل وضيع يمكنها أن تصبح سيدة الخادمات، إنما لاتسكن في بيت السيد، إنما تسكن في الخيمة.

وفي هذا النص، بالرغم من أن الأولاد ينتسبون إلى أبيهم، إلا أن الانتساب إلى الأم كان قائمًا، فعدة أولاد ينتسبون إلى أم واحدة، ويكون رباطهم هذا أقوى مما لو كانوا من أب واحد.

ومن خلال ذلك كله، نرى أن هذه النصوص، كان لها رأيها الواضح والصريح بالمرأة، ويمكننا أن نحدده على الشكل التالي:

١ ـ ينظر الاوغاريتي إلى المرأة، نظرته إلى الآلهة، فنساء أوغاريت، جميلات وعالمات ويعرفن كيف يحيين من سيموت، لذلك يجب عدم الاقتراب منهن بأفكار سيئة، ومن المناسب كبت جماح العواطف، ورفع اليد عن زوجة الغير.

ويجب الظهور أمام النساء بمظهر العفة والتحفظ، لأن الزوجة بنظر الأوغاريتي أشبه ماتكون بزوجة الاله، وهي الشاهد على أسراره المقدسة، وبيتها مقدس، كالمعبد، إنه مكان الأسرار المقدسة، فهو شبيه ببيبت الاله.

والحكمة على أفواه النساء، فيجب أن نبتهل إلى الله ليجعل شفاههن حلوة كالرمان... الينبوع الذي تتدفق منه التعابير الحكيمة المؤدية إلى الرخاء.[٢٦]

٢ ـ عندما نعانق المرأة، يجب أن نضمها بشدة، فتحت وطأة «حرارة الحرارات» نجعلها حاملاً، وعندئذٍ يجب أن نبتهل إلى الله، حتى يمنح الزوجة الحكمة المطلوبة، فتضع للعالم «أمل الأزهار» الذي تحمله.

ويجب الامتناع عن مشاجرة المرأة الحامل، أن مثل ذلك الفعل خليق بمن يحكم عليه «بنهاية العز» و «بألم الآلام» ويجب الانتظار وبصبر ساعة الخلاص، وافهام الرجل العنيف المتباهي، بجرأته، أن الآلهة وحدها هي التي تهيء النضج لمرحلة «أمل الأزهار» فالآلهة تخلق ـ كما تشاء ـ وهي وحدها تحدد جنس المولود، كما تحدد يوم ولادته.

---

٢٦ ـ مفيد عرنوق، الفكر الحضاري في نصوص الملك الكبير / ص ١٨٦ ـ ١٨٧ /.

وتـدعـو هذه النصوص الأوغاريتية إلى تهيب ساعة الولادة، وعلى الذين أرعبوا المرأة أن يهربوا. . . إن المرأة التي تعذب أثناء الحمل، يمكن أن تلد قبل الأوان في الشهر السابع، أو تتأخر ساعات الخلاص، فمن أحس بأنه ارتكب مثل هذه المعصيات يكون غير جدير بالعودة إلى بيته، إنه يطرد إلى الصحراء، حيث يبقى فوق الصخور والأشجار سبع سنين. وإذا وافته المنية، خلال هذا الوقت فالآلهة تشهد عليه. **لأن الآلهة رحيمة هي التي طردته من بيته، وأرسلته إلى الصحراء حيث تلاحقه بالانتقام.**

وترى هذه النصوص أن الشعب الذي لايتكاثر هو شعب فارغ أشبه مايكون بالرجل المطرود خارج البيت، وعلى العكس من ذلك يجب فتح الأبواب أمام من ينجب. ورغم ذلك يجب أن تعطف على العاقر، لأن ذلك دون ارادتها، وتدعو الرقم المسمارية إلى تقديم الخبز والخمر كل مساء إلى الفقراء البؤساء الذين لم ينجبوا أولاداً، حتى يقتاتوا به ويشربوا منه، وذلك في حال عدم وجود من يعيلهم في شيخوختهم. . . ولكن حذار من الاكثار من الخمر، إن الخمر الذي نحتسيه مساء شبيه بالنار. . . إنه يسكر ويضعف ولذلك يجب الاقلال من شرب الخمر.

المرأة الأوغاريتية والفن:

قدمت لنا المكتشفات الأثرية الفنية الأوغاريتية، الكثير من التماثيل والمنحوتات المعدنية والعاجية الجميلة المعبرة، التي تدلل على مكانة المرأة ودورها في المجتمع الأوغاريتي، الذي يشكل جزءاً من حضارة أشمل، هي الحضارة الكنعانية في بلاد الشام. . .

وقد احتلت الإلهة «عناة» حيزاً كبيراً في موضوعات أوغاريت الفنية، سواء في النقش أو النحت أو الأختام الاسطوانية أو غير ذلك من الفنون التشكيلية الاخرى.

ومن دراسة هذه الموضوعات ومقارنتها مع النصوص المكتوبة، نستطيع أن نكون فكرة عن طبيعة هذه الإلهة المرأة، والدور الذي كانت تؤديه، حيال الانسان والوجود، من خلال العلاقات الاجتماعية السائدة آنذاك.[٢٧]

فقد تصورها الفنان على شكل امرأة مجنحة، كما نرى ذلك على أحد الألواح

---

٢٧ ـ محمد وحيد خياطة ـ مصدر سابق / ص ٦٩ / .

http://al-maktabah.com

العاجية، التي كانت تزين السرير الملكي في أوغاريت، والأجنحة مزدوجة، اثنان مشرعان نحو السماء، واثنان متجهان نحو الأرض «عندئذٍ شرعت عناة جناحيها وحلقت مسرعة»... وينسدل شعرها الأسود الكثيف على كتفيها بعد أن يأخذ شكل قصة شعر الإلهة المصرية «هاتور» فيبرز وجه الإلهة من خلاله على شكل وجه البقرة، وينطلق من جبينها قرنا الألوهية، ليعانقا قرص الشمس وعلى شفتيها ترتسم شبه ابتسامة رقيقة، في حين ينم منخراها الواسعان، عن طيبة ممزوجة بطبع ناري حاد... يقف أمامها شابان يرتديان تنورة قصيرة، وقد تناول كل منهما أحد ثدييها، من تحت ردائها الطويل... ولايهم من يكون هذان الشابان، فنحن نعرف من خلال النصوص المكتوبة، أن عناة كانت أماً للآلهة، كما هي أم البشر، تقوم على رعايتهم، وكثيراً مايتردد على ألسنة فراعنة مصر، بأنهم رضعوا حليب الإلهة عناة... ويعتبر هذا المشهد الفني من أروع ماخلفه الفنان الأوغاريتي.

وفي تمثال المرأة التي تدق على الدف، نحن أمام تحفة فنية رائعة لامرأة تمسك بكلتا يديها دفاً مستديراً أو طبلة، ويرى العالم كلود شيفر أن هذا التمثال يمثل الإلهة عناة، ويعزز رأيه هذا بالاشارة إلى نص اسطوري وجد في أوغاريت، يأتي على ذكر الإلهة عناة بوصفها عازفة على الدف.

في مشهد نقش على ختم اسطواني أوغاريتي، يتقدم رجل نحو امرأة، وهو يمسك بيده اليمنى على الساقين الخلفيتين لظبي، ويبرز غصن فوق كتفه الأيمن. ونرى المرأة تلف على جسمها ثوباً طويلاً يشده نطاق عريض، وترد ردن ثوبها المشرشب فوق كتفها الأيمن فيستر ذراعها الأيمن أيضاً... وتضع على رأسها عمامة يبرز من وسطها رأس اسطواني محاط بقرنين، وتتدلى خلف عنقها ضفيرة. ويعتقد أنها تمثل ربة النبات.

وفي المشهد الثاني من الختم، تقف امرأة وكائن خليط من انسان وحيوان قبالة بعضهما وبينهما أسد ينتصب على القائمتين الخلفيتين، ويتبع المرأة انسان صغير يرتدي مئزراً، رسمت فوقه زهرة، وترتدي المرأة عمامة شبيهة بعمامة المرأة في المشهد الأول، تتوجها خطوط قصيرة كالرزمة، وتتدلى من تحتها ضفيرة، وهذه أيضاً تمثل ربة النبات ولكن في مظهرٍ آخر.

في قطعة من وعاء اكتشف في القصر الأوغاريتي الملكي، نرى في المشهد امرأة تسكب شراباً لرجل يجلس جلسة مريحة وبينهما مائدة عليها كوب للشراب على

هيئة ثور، ويتبين من المشهد التأثيرات المصرية، على الفن الأوغاريتي. وتعد المرأة، حسب تفسير ظهر بعد العثور على الأجزاء، أميرة مصرية، ويظن لاعتبارات تأريخية، زمنية، أنها قد تكون حتى ابنة أو حفيدة اخناتون التي يظن أنها تزوجت من نقمد ملك اوغاريت، وبالرغم من أنها ترتدي ثوباً مصرياً، فإن العباءة النسائية السورية التقليدية ذات الكنار المزين لاتخفى عن الأنظار.[٢٨]

ونجد في ناب فيل كامل منحوت بشكل فني في الدقة والجمال والابداع . . . نجد نقش عليه رسم امرأة عارية بطولها الكامل تمثل «ربة الخصب والتوالد» تحمل بيديها ثدييها، شعرها طويل ومسترسل على ظهرها، ويبدو في انسياب الجدايل الدقة والاتقان.[٢٩]

وهناك أكثر من تمثال يمثل «ربة الحب والخصب» تحمل بيدها الأولى زهرة اللوتس، وباليد الثانية تمسك شارة الحياة. . . وتمثال لامرأة لفت عباءتها ذات الأهداب، حول جسمها تغطي الذراع الأيسر كلياً، وتحت العباءة ترتدي المرأة ثوباً طويلاً، ويشده زنار من الأعلى، ويرى علماء البعثة الأثرية الفرنسية التي تعمل في موقع رأس الشمرة، أن هذا التمثال يعود إلى الإلهة عشيرة ـ عشتارات ـ زوجة الاله الأكبر «ايل».

كما نرى الربة «عناة» مجسدة أيضاً في تمثال من البرونز، تقف منتصبة القامة، تلبس ثوباً طويلاً منمق الأطراف، وتبدو بحالة منح البركة والخير، وتقبل الطاعة.

أما الرأس العاجي، صاحب الشهرة العالمية، ويعتبر من أجمل منحوتات أوغاريت، فيمثل رأس شخص من العاج المنزل بالذهب والفضة والنحاس واللازورد، وهناك اختلاف في الشخص الذي يمثله، فيرى بعض العلماء أنه وجه أمير أوغاريتي، ويرى البعض الآخر أنه يمثل وجه أميرة، ونحن نميل إلى الأخذ بهذه الوجهة، . . . المهم أن أميرة أوغاريت، تضع على رأسها تاجاً مرتفعاً ناقصاً، وهذه القطعة الفنية النادرة الدقيقة الصنع، الجميلة المعاني، المعبرة، الساحرة، من صنع أحد فناني أوغاريت، وقد اكتشفت في أحد ردهات القصر الملكي.

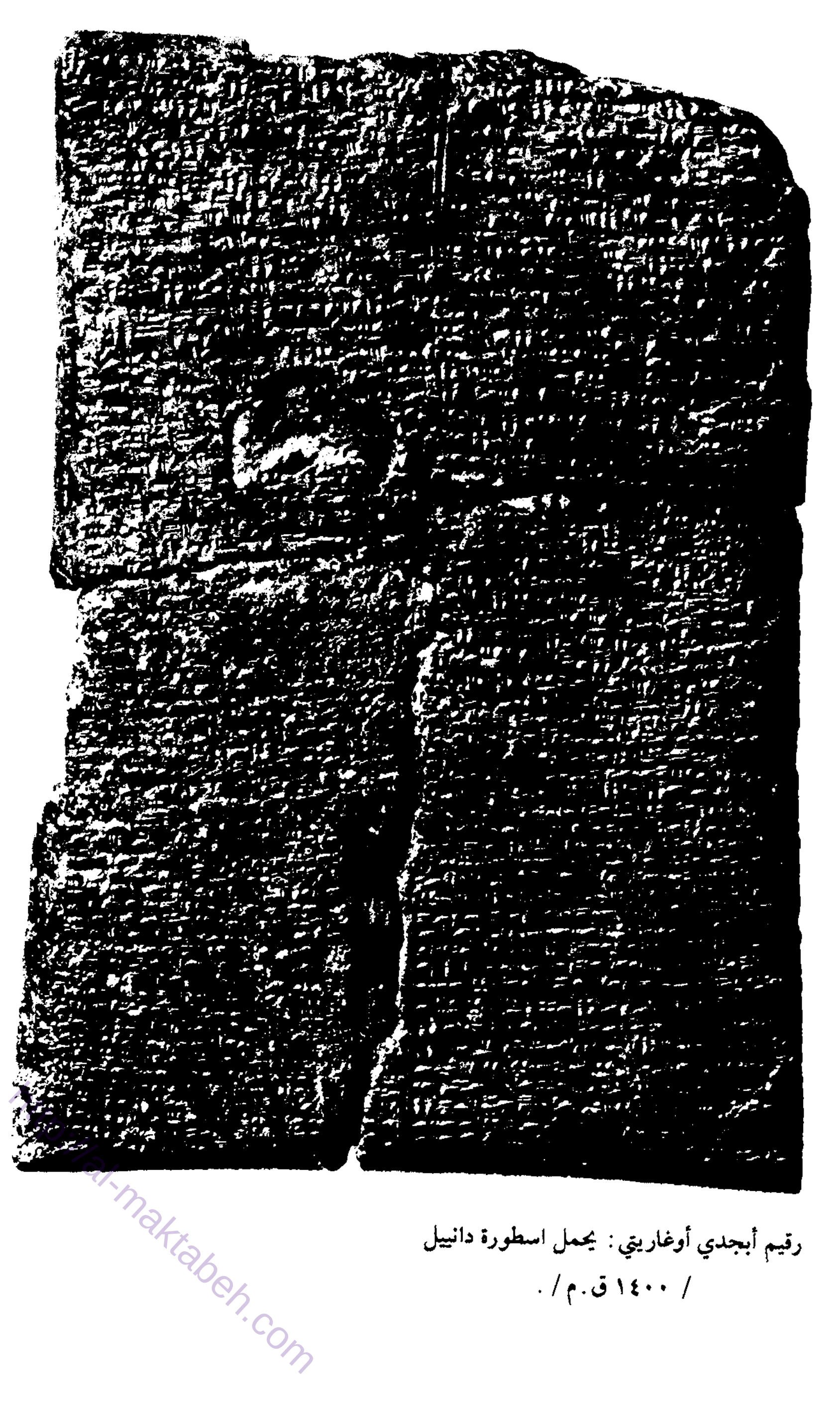
٢٨ ـ الآثار السورية / ص ١٥٥ / .

٢٩ ـ علي القيّم ـ اضاءات من الذاكرة القديمة / ص ١٢٠ / .

http://al-maktabeh.com

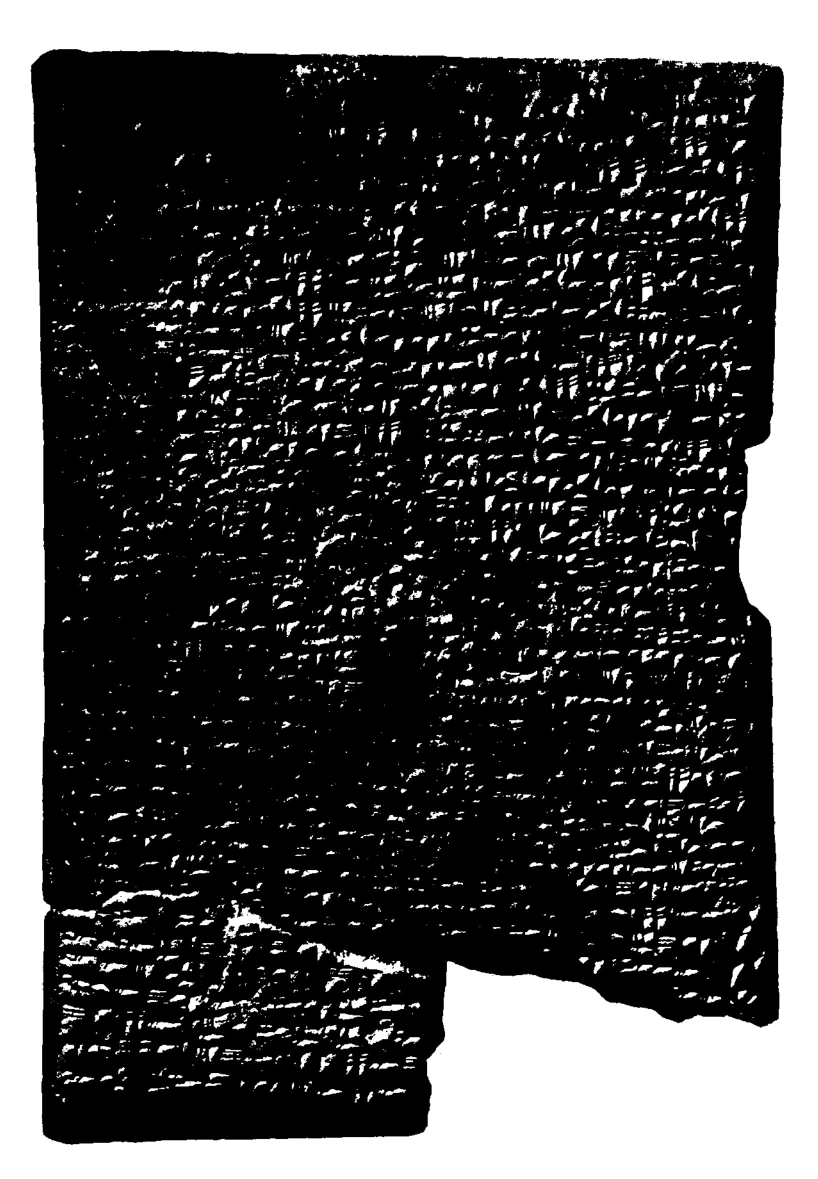


إناء من الخزف (فاز) على شكل وجه امرأة من أوغاريت
القرن الرابع عشر قبل الميلاد.

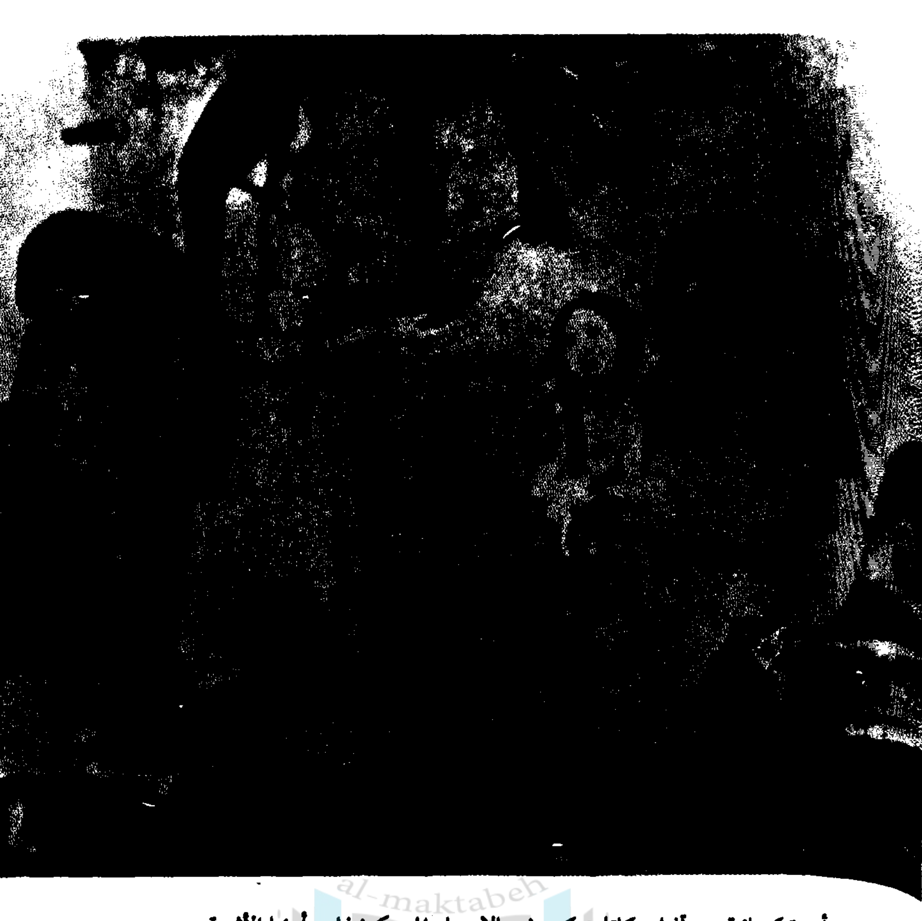


رقيم أبجدي أوغاريتي: يحمل اسطورة دانييل
/ ١٤٠٠ ق.م /.

http://al-maktabeh.com



رقيم أبجدي أوغاريتي يحوي اسطورة ولادة أرباب الجمال والخير
القرن الرابع عشر قبل الميلاد.

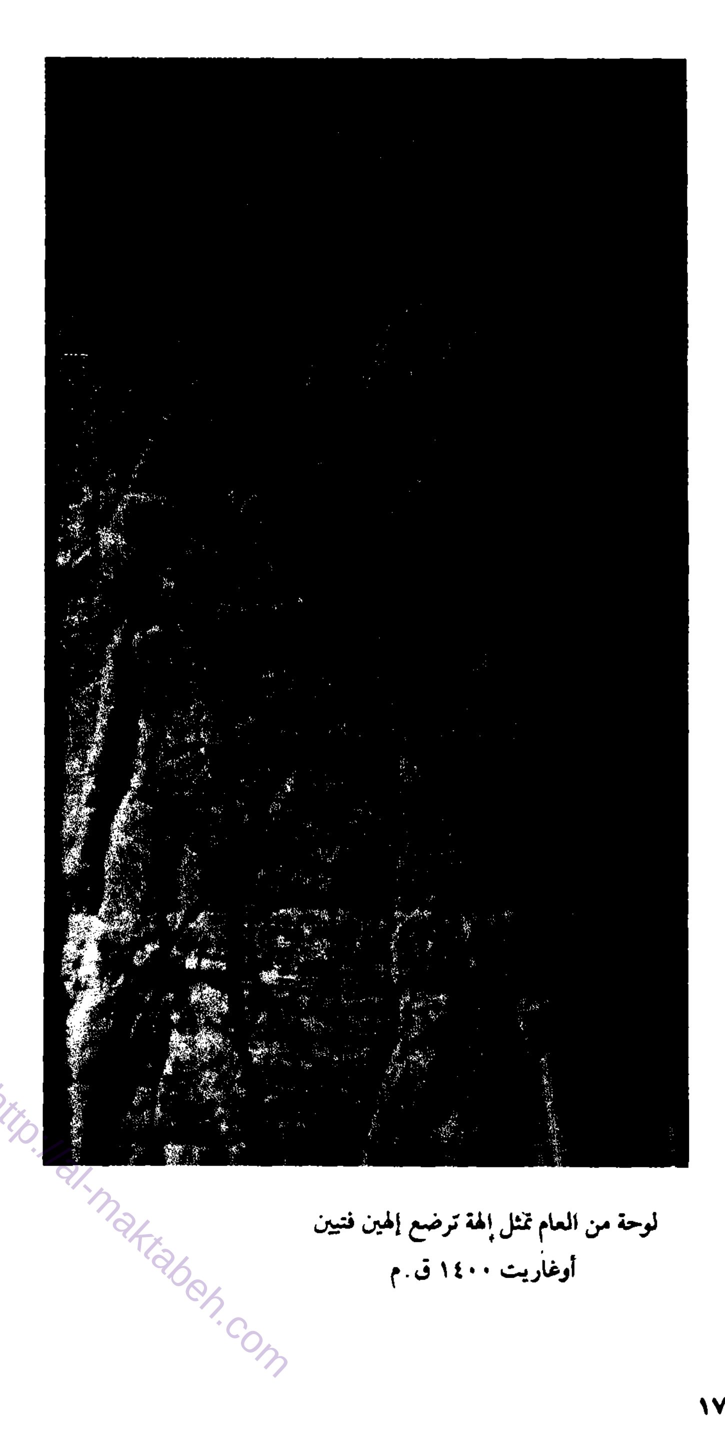


أسرة كنعانية من تخيل «كاتلين كينون» بالاستناد إلى مكتشفات أريحا الأثرية .

al-maktabeh
www
com
مكتبة
المهتدين
http://al-maktabeh.com



الالهة الأم «عشيرة» أوغاريت رأس الشمرة ١٤٠٠ق.م.



لوحة من العاج تمثل إلهة ترضع إلهين فتيين
أوغاريت ١٤٠٠ ق.م

http://al-maktabeh.com



رأس من العاج لأميرة من أوغاريت / رأس الشمرة / .



قلاده ذهبية لامرأة لم يظهر منها إلا الرأس والثديان وصرة البطن
أوغاريت (رأس الشمرة) ١٥٠٠ - ١٣٠٠ ق.م.



قلاده ذهبية تصور إلهة عارية من أوغاريت (رأس الشمرة)
١٥٠٠ - ١٣٠٠ ق.م

http://al-maktabeh.com



نصب يصور مشهد عبادة وابتهال إلى الاله ايل
أوغاريت (رأس الشمرة) ١٤٠٠ ق.م



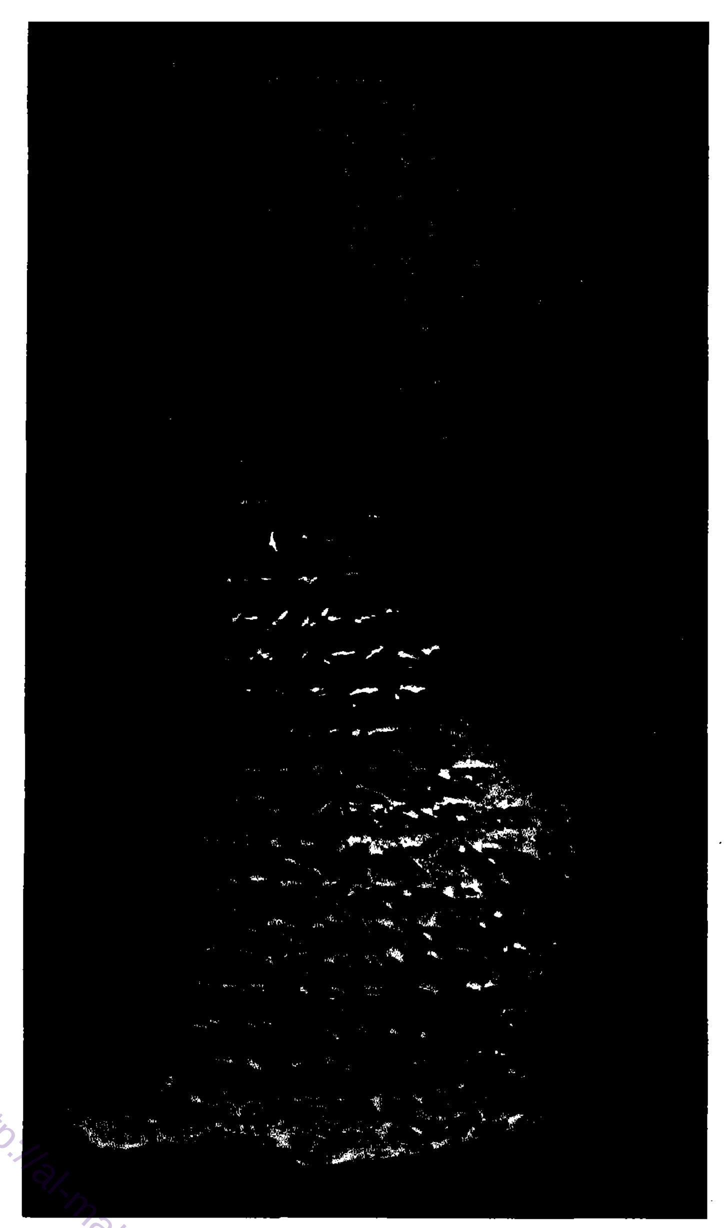
وعاء للمراهم والمساحيق يحمله طفل فوق كتفه الأيسر
أوغاريت (رأس الشمرة) ١٣٥٠ ق.م

http://al-maktabeh.com



امرأة تدق على الدف (أوغاريت) رأس الشمرة

من العاج (١٣٠٠ ـ ١٢٠٠) ق.م



لوح فخاري ممهور بطبعة ختم، يمثل القرار بشأن طلاق الملك الأوغاريتي اميشتامر و الثاني من ابنة بنتيشينا ملك عمورو وإعادة المهر.

منتصف القرن الثالث عشر قبل الميلاد

أوغاريت (رأس الشمرة).

http://al-maktabeh.com

الفصل السابع

نساء شهيرات من بلاد الشام

في الفصول السابقة تعرفنا على جوانب هامة من حياة المرأة في بلاد الشام، منذ أقدم ظهور لها في عصور ماقبل التاريخ، وحتى عصور الكتابة، ورأينا كيف كانت إلهة وربة وسيدة للبشر، وعرفنا بشكل جيد انعكاس ذلك في الأساطير والمدونات المسمارية والأمثال والحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية المختلفة، خاصة بعد ظهور التدوين الكتابي، حيث ورد في ترجمات هذه النصوص كلمات تتضمن معنى السيدة (بلتوم ونين). ثم تطور هذا اللقب في العصر الآشوري وأصبح يعني الملكة (شاراتوم)، وورد في نصوص إيبلا ـ تل مرديخ ـ بمعنى (ملكتوم) أي ملكة..

ورأينا أيضاً الدور الكبير الذي لعبته هذه الملكة في الحياة العامة والخاصة في مملكة ماري... وتذكر الوثائق التاريخية دور الملكة المتعاظم في عهد الملك الآشوري «صارغون الثاني» في القرن الثامن عشر قبل الميلاد، حيث شيد لها قصر ضخم، تقيم فيه مع حاشية وبلاط، وبدأت تشارك فعلياً بالطقوس الدينية داخل المعبد، وتلعب دوراً هاماً ومؤثراً باختيار ولي العهد، وعلى سبيل المثال. فقد كانت الكاهنة «ايلتاني» ابنة الملك البابلي (أبي ـ ايشو) ـ ١٧١١ ـ ١٦٨٤ ـ ق.م، تعتبر من أغنى الكاهنات اللواتي جاء ذكرهن في النصوص المسمارية، اذ يتضح لنا من دراسة الألواح الاقتصادية العائدة لها، بأنها كانت تمتلك مساحات كبيرة من الحقول، ويظهر أنها لم تكتف بذلك، بل كانت تستأجر الحقول المجاورة لها أيضاً لتستغلها وتزرعها، وكان لهذه الكاهنة موظفون دائمون يساعدونها في تصريف أعمالها الواسعة. ولم تقتصر أعمال (ايلتاني) على الزراعة واستئجار الأراضي فقط،

بل كانت تمتلك أيضاً أعداداً كبيرة من الماشية والأغنام، وكان لديها العديد من الرعاة يقومون بالرعي وتربية الأغنام.

في بلاد الشام كان هناك نساء شهيرات، يذكرهن التاريخ بكثير من التمجيد والعظمة والرفعة، لدرجة أن بعضهن دخلن حيز الأسطورة ومن أشهر الشخصيات النسائية في تاريخ الشرق القديم، شخصية الملكة سمير أميس (سمورا مات):

توفي الملك شمشي حدد الخامس (٨٢٣ - ٨١١ ق.م) وابنه ولي العهد حدد نيراري (٨١١ - ٧٨٣ ق.م) لم يبلغ سن الرشد بعد. فاستلمت زوجته الملكة (سمورامات) أو كما سماها اليونان سمير أميس، الحكم، وأصبحت وصية على عرش ولدها لمدة خمس سنوات حتى بلغ (حدد نيراري) سن الرشد.[1]

لم تكتف هذه المرأة العظيمة بالسلطة السياسية، وادارة شؤون البلاد بل تعدتها إلى التأثير في الحياة الدينية والفكرية والاجتماعية واستطاعت أن تفرض معتقداتها البابلية على الكهنوت الآشورية، وأصبحت الديانة الآشورية بفضل هذه المرأة البابلية، ذات ملامح انسانية طيبة، بعيدة عن العنف والجبروت، وبدأ الملوك الآشوريون يتكنون بأسماء الآلهة البابلية، فقد جاء على لسان أحد الموظفين في بلاد الملك (حدد نيراري الثالث) أثناء تقديمه قسم الطاعة والولاء مايلي: «اقسم بنابو ولاأثق بغيره من الآلهة». ونابو هو ابن رب الأرباب البابلي مردوخ.[2]

لقد قلدت (سمورامات) الملوك العظام، وأقامت مسلة لتخلد ذكرها في ساحة المسلات في معبد آشور، والتي كشفت عنها التنقيبات في قلعة شرقاط (آشور) وقد سنجل على هذه المسلة العبارات التالية:

«مسلة سمورامات ملكة (سيدة القصر) شمشي حدد ملك الكون، ملك بلاد آشور والدة حدد نيراري ملك الكون ملك آشور، كنة شلما نصر ملك الجهات الأربع.[3]».

---

١ - يتكون اسم (سمورامات) من مقطعين، الأول (سمو) ومعناها الحمامة و (رامات) ومعناها المحبوبة، فيكون اسم هذه الملكة (محبوبة الحمام). انظر طه باقر. تاريخ الحضارات القديمة، الجزء الأول ص ١٨٥.

٢ - المرأة والألوهية، محمد وحيد خياطة، دار الحوار - اللاذقية، ١٩٨٤ ص/ ٩٥ /.

٣ - شلما نصر الثالث (٨٥٨ - ٨٢٤ ق.م) والد الملك شمشي حدد الخامس.

http://al-maktabeh.com

ومن القطع الأثرية الاخرى تذكر الملكة سمورامات تمثالات يعتقد أنهما يمثلان الاله نابو اكتشفا في مدينة كالح (نمرود).[4]

لقد تناقل المؤرخون اليونان أخبار الملكة سمروامات بكثير من الاسهاب، مما كان له الأثر الكبير في اعطائها شهرة واسعة، وصلت حد الاسطورة.

من الأساطير التي تذكر الملكة سمورامات (سمير أميس) ماجاء على لسان المؤرخ اليوناني الكبير هيرودوت، الذي يذكر في معرض حديثه عن مدينة بابل فيقول: بأنه كان من الذين قاموا ببناء أسوار مدينة بابل، وتزيين معابدها الملكة التي أقامت السدود الحكيمة في السهول المجاورة، ومنعت الفيضانات عن بابل تلك الفيضانات التي كانت تغطيها سنوياً حتى مجيء هذه الملكة.[5]

أما المؤرخ ديودور الصقلي، فيذكر على لسان كتاسيوس، بأن سمير أميس هي ابنة الإلهة ديرست، إلهة مدينة عسقلان في سورية، غضبت الإلهة افروديت مرة على «ديرست» فخلقت فيها رغبة جامحة إلى أحد الكهنة التابعين لها، ولدت «ديرست» من جراء هذه العلاقة ابنة خارقة الجمال، ولكن من شدة خجلها من علاقتها هذه أخذت ابنتها إلى الصحراء وتركتها على صخرة هناك ورمت هي بنفسها في بحيرة مملوءة بالسمك، وانقلبت «ديرست» على أثر ذلك إلى سمكة برأس انسان... أخذت طيور الحمام تعتني بالطفلة الصغيرة حتى عثر عليها كبير رعاة الملك فتولى تربيتها وسماها سمير أميس، ومن هنا فإن اسم سمير أميس هو تحريف لكلمة (الحمام) عند السوريين.

لما كبرت سمير أميس رآها (اونيس) مبعوث الملك الآشوري وحاكم بلاد سوريا، فأحبها وتزوجها. وعندما شنت الجيوش الآشورية حرباً على منطقة (باكتريا) على الحدود الشرقية لبلاد آشور، واشتركت سمير أميس وهي متنكرة في الحرب واستطاعت أن تساعد الجيوش الآشورية في التغلب على أعدائهم، وعندما عرف بها الملك (نينوس) ملك الآشوريين أعجب بها فأكره زوجها أن يتخلى عنها، فعل اونيس ذلك ولكنه انتحر من بعدها لشدة حزنه عليها.

ولدت سمير أميس ابناً إلى الملك (نينوس) الذي توفي من بعد ذلك بفترة

---

٤ ـ المرأة ودورها ومكانتها في حضارة وادي الرافدين، تأليف ثلما ستيان عقراوي، بغداد ١٩٧٨ ص ٢٥٣.

٥ ـ التاريخ لهيرودوت، الجزء الأول ص ١٨٤.

قصيرة تاركاً زوجته ولية العرش، حكمت سمير أميس لمدة / ٤٢ / سنة وقامت بمشاريع عمرانية واسعة أهمها بناء مدينة بابل بمعابدها وقصورها الفخمة واحاطتها بأسوار عالية، ومن الأعمال الجبارة التي قامت بها هذه الملكة بناء ممر مقبب من الحجر تحت مجرى النهر يوصل طرفي المدينة. . . وقامت سمير أميس بعد ذلك بفتوحات كثيرة واستطاعت أن تسيطر على مصر وسوريا وبلاد الميديين حتى وصلت إلى الهند. . . وعندما كبر ابنها (نيناس) ثار ضدها، فلم تعاكسه بل أعطته الحكم واختفت عن عمر يقارب / ٦٢ / سنة.[٦].

ثم يذكر ديودور الصقلي، اسطورة اخرى عن سمير اميس على لسان مؤرخ اسمه (اتنايوس)، يذكر هذا بأن سمير أميس كانت جارية في قصر الملك، ولكن الملك أعجب بجمالها فتزوجها وأصبحت ملكة، أقنعت سمير أميس زوجها أن يسلمها زمام الحكم لخمسة أيام فقط، وعندما حقق لها زوجها رغبتها قبضت عليه وألقته في السجن وبقيت تحكم بدلاً عنه لسنوات طويلة.

أما الأساطير الأرمنية فتذكر عن سمير أميس بأنها كانت ملكة آشورية وأحبت الملك الأرمني (آرا الجميل) وطلبت منه أن يتزوجها، ولكنه امتنع عن ذلك فجهزت سمير أميس ضده جيشاً كبيراً وهاجمت بلاد أرمينية. . . دارت هناك الحروب العنيفة قتل خلالها الملك الأرمني، فتملك الحزن حينذاك الملكة سمير أميس وأخذت تبكي على حبيبها (آرا) داعية الآلهة أن تعيده إلى الحياة ثانية. فاستجابت الآلهة إلى دعائها وأعادت حبيبها إلى الحياة.

الملكة الآرامية نقية (زاكوتو):

تذكر المصادر التاريخية المختلفة، أنه كان للملك الآشوري الشهير سنحاريب (٧٠٤ ـ ٦٨١ ق.م) سرية آرامية لم يتجاوز عمرها الثالث عشر تدعى «نقية» وكانت من جملة الصبايا الآراميات التي عاد بهن على أثر حملته الشهيرة على مدينة القدس. . . . كانت نقية على جانب كبيرة من الجمال والرقة والنعومة والمفاتن الأنثوية، لفتت نظر الملك الآشوري إليها، فاختلى بها ليقضي منها وطراً، شأنه في ذلك، شأن كل عظيم قادر في السلطة، ولم يكن ليدري أن نزوته هذه سوف تنجب له خلفاً. . . سوف يتحدث عنه التاريخ مطولاً. .

٦ ـ يذكر ديودور أن البعض يعتقد بأن سمير أميس تحولت إلى حمامة وطارت مع سرب منها.

http://al-maktabeh.com

واحتلت «نقية» مكان الصدارة بين نساء القصر في الحرم الملكي، نظراً لمنحها العاهل الآشوري ثمرة ولعه بها، وكانت الثمرة (آشور آخي دين) المعروف باسم (آسر حدون) ومعناه (آشور أعطي أخي).

ولم يكن في ذهن سنحاريب، ولم يدر في خلده، أن يسمي ابن الأمة الآرامية السورية خلفاً لعرشه، فهو ليس الولد الأكبر ولا الوحيد. وأمه ليست من طبقة السادة... إلا أن «نقية» لم تعد تلك الفتاة الصغيرة الطائشة، التي سعت بكل ماتملك إلى تسمية ولدها ولياً لعرش أبيه، ونجحت فيما سعت إليه، وأصبح ابنها من الكبار الذين خلدتهم المنحوتات المجسمة عبر التاريخ، فكان له منحوتة ضخمة في بلاد الأناضول وسورية ولبنان وقبرص، وفي كل بقعة من الأرض وصلت إليها جيوشه، وتظهره هذه المنحوتات شامخاً بكبرياء، تركع أمامه الملوك والأمراء.

تذكر المصادر التاريخية الآشورية «نقية» باسم (زاكوتو) بأنها ذات نفوذ واسع النطاق في الامبراطورية الآشورية، وقد عاشت لفترة طويلة من الزمن وبقيت تتمتع بمركز سياسي مرموق في زمن زوجها سنحاريب وابنها آسر حدون على حد سواء.

وتدل الرسائل المسمارية المكتشفة في نينوى، بأنه كانت لزاكوتو سلطات واسعة في تصريف أمور بعض المناطق الشرقية والجنوبية من الامبراطورية الآشورية، وخاصة مناطق الأهوار في جنوب العراق، المعروفة بكونها مركزاً للفتن والثورات السياسية، ويظهر من التقارير والمراسلات التي تسلمتها الملكة (زاكوتو) من الأمراء في هذه المناطق بأنها كانت المسؤولة عن فرض السيطرة الآشورية على هذه الأقاليم من بلاد بابل، وعلى الحفاظ على سلامة البلاد من هجمات الميلاميين من الشرق وسكان القطر البحري من الجنوب.[٧]

ويظهر أن (زاكوتو) قد اتخذت من مدينة (لاخيرو) مركزاً إدارياً لتصريف أمور الأجزاء الجنوبية من الامبراطورية الآشورية، وذلك بعد وفاة زوجها سنحاريب، أي خلال حكم ابنها آسر حدون، ومن المعروف أن زوجها سنحاريب، كان قد قام بتدمير مدينة بابل عندما سلط عليها مياه النهر، وهدم معظم معابدها وقصورها ونقل تمثال الاله مردوخ إلى مدينة آشور، ولذلك فقد

---

٧ ـ المرأة ودورها في بلاد الرافدين، ص ٢٥٧.

اتخذت زاكوتو على عاتقها مهمة بناء مدينة بابل مجدداً، فقامت بانجاز بناء معظم المعابد والقصور ومشاريع الري المهمة وارجعت تمثال الاله مردوخ إلى معبده الشهير في مدينة بابل.

وعندما توفي آسر حدون في طريقه إلى مصر سنة ٦٦٩ ق.م قامت ثورات متعددة في أنحاء مختلفة من الامبراطورية الآشورية، مما كانت ستؤدي إلى سقوطها، وهنا استعملت الملكة العجوز (زاكوتو) نفوذها وأجبرت أحفادها وعلى رأسهم (شمش ـ شم ـ اوكن) وجميع ضباط الجيش والمتنفذين على الولاء لملكهم الجديد (آشور بانيبال) ـ ٦٦٨ ـ ٦٢٦ ـ ق.م. وهكذا أعادت (زاكوتو) الهدوء والسلام إلى البلاد، غير أن ذلك لم يدم إلا لفترة قصيرة إذ سرعان مانشب النزاع بين الملك آشور بانيبال وأخيه شمش ـ شم ـ اوكن فتذكر المصادر التاريخية المتأخرة عن (زاكوتو) بأنها عندما سمعت بهذا النزاع الأخير أخذت تتضرع وتصلي وتقدم القرابين للآلهة طالبة منها أن تحقق الوئام بين الأخوين وتبعد الشر عن البلاد.

المرأة السورية تحكم روما:

لعبت سورية دوراً كبيراً في العهد الروماني الأمبراطوري فقد انتقل كثير من السوريين إلى روما يحملون معهم ثقافتهم وفكرهم وفنهم واعتمد عليهم الرومان في كثير من شؤون الثقافة، حتى قال الشاعر الروماني الهجاء جوفينال في عام ١٤٠ ميلادية، منتقداً هذا التأثير العارم: «إن نهر العاصي أصبح يصب في نهر التيبر منذ زمن بعيد، حاملاً معه لغة سورية وتقاليدها وثقافتها».

وتأكد هذا التأثير من خلال أسرة عربية حمصية، ودور الامبراطورة (جوليا دومنا) واختها (جوليا ميزا) وابنتيها (جوليا سوميا) و (جوليا مامه). حيث امتزج تاريخ هذه النسوة منذ عام (١٧٥ م) وحتى عام (٢٣٥م) بتاريخ روما، وغدت كل واحدة منهن امبراطورة، وحكمن جميعاً على التوالي روما والعالم...

كيف حدث ذلك؟ هذا ماسطرته لنا كتب التاريخ. التي تفيد أن مدينة حمص كانت مشهورة في العصر الروماني بعبادة (ايلا غبال) الذي كان إلهاً شمسياً يرمز إليه بحجر أسود مخروطي الشكل، مخصص لعبادته في معبد كبير شيد في

٨ ـ الذكريات السورية في روما، الدكتور أنور حاتم، مجلة الحوليات الأثرية السورية، العدد الحادي عشر والثاني عشر.

http://al-maktabeh.com

حمص، وكانت تشرف على تنظيم هذه العبادة أسرة عربية تحكم حمص. . . وفي سنة / ١٧٥ / ميلادية، كان الكاهن الأكبر في معبد (ايلا غبال) رجل اسمه (باسيان) وكان لباسيان، ابنة وافرة الذكاء وعلى نصيب كبير من الثقافة اسمها (جوليا دومنا). وشاءت الظروف أن يراها (سبتيم سيفير) أحد الموظفين الرومان الامبراطوريين، فأحبها وتزوجها، وتشاء الأقدار أن يصبح سبتيم سيفير امبراطوراً، وجوليا امبراطورة في روما بعد عدة سنوات، وتعمل جوليا دومنا حتى تجلب إلى هذه المدينة اختها (جوليا ميزا) وابنتيها (جوليا سوميا) وجوليا مامه)[٩].

لقد بنى سبتيم سيفير قصراً له ولجوليا دومنا على هضبة البالاتان طوله / ٩٦ / متراً، وأسهمت جوليا في شهرة زوجها، ورافقته في رحلاته وفي انتصاراته، ومنحتها روما لقب (أم الوطن) ولقب (أم مجلس الشيوخ) ولقب (أم الجيوش). وقد ساعدت على انتشار النفوذ الثقافي السوري، وأحاطت نفسها بعدد كبير من المفكرين والعلماء والأطباء السوريين، وكان في عملها هذا توسيع لآفاق الفكر الفلسفي والديني والروماني.

لقد رزقت جوليا دومنا من سبتيم سيفير بولدين هما: باسيان المعروف باسم (مارك اوريل انطونيان) وجيتا، وبعد موت والدهما يقوم باسيان ويعلن نفسه امبراطوراً، وكان يفضل الديانات الشرقية، فأمر بتشييد معبد للاله (سيرابيس) في هضبة الكيرينال من روما. وقد عرف مارك انطونيان باسم (كراكالا) نسبة إلى ثوب الكاركال وهو رداء سوري يشبه العباءة، مفتوح من الامام والخلف وفرض ارتدائه على الرومان. وكان كريماً جداً مع جنوده، وأمر بالبدء بتشييد الحمامات التي حملت اسمه وأسماء الامبراطوريين السوريين اللذين أتيا بعده (ايلا غبال وسيفير الاسكندر)، ويعود الفضل إليه بتخطيط أجمل شارع في روما وهو شارع (فيانوفا).

ظل اسم (كراكالا) مقترناً بالمرسوم الذي أصدره ومنح بموجبه حق المدينة لجميع سكان الامبراطورية، وكان من شأن هذا المرسوم أن وحد جميع بلاد حوض البحر المتوسط في ظل قانون واحد، وأقام المساواة بين جميع مواطني الامبراطورية الأحرار.

وقد قتل (كاركالا) غدراً، فبلغ (جوليا دومنا) خبر ذلك وهي في انطاكية، فطغى عليها الحزن، وتركت نفسها تموت جوعاً. وحمل رماد جسدها ووضع في

---

٩ ـ نفس المصدر السابق ص / ١٦٨ /.

مدفن (اوغست) في روما دلالة على المكانة الكبرى التي تمتعت بها عند الرومان.

لقد أعاد القاتل (ماكران) الذي نصب نفسه امبراطوراً (جوليا ميزا) وابنتيها مع حاشيتها السورية إلى حمص، إلا أن الفرقة السورية الرومانية الثالثة المرابطة قرب بلدة مصياف أعلنت (افتيوس) وكان غلاماً عمره / ١٤ / سنة، وابناً لجوليا سوميه ابنة جوليا ميزا، امبراطوراً بعد أن ذكرت جدته أنه كان ابناً لكراكالا، وكان افيتوس قد تولى قبل ذلك بقليل منصب الكاهن الأعظم في معبد حمص حيث كان يقدس الحجر الأسود[١٠] وهزم ماكران، وتم الأمر لافيتوس، وغلب عليه اسم (ايلا غابال) معبود مدينة حمص وصدرت أوامر الامبراطور الجديد أن تقام الطقوس الدينية إلى هذا الاله في كل أنحاء الامبراطورية، وأن يقدم اسمه على أسماء كل الآلهة حتى على اسم «جوبيتر».

في عام / ٢١٩ / ميلادية، عادت الأسرة الامبراطورية السورية، إلى روما، واصطحب ايلا غابال معه الحجر الأسود، وبنى له معبداً خاصاً على شاكلة معبد حمص، وبنى المذابح حول المعبد... فحنق الرومان عليه، ولم يصغ إلى نصائح جدته ميزا بالاعتدال وقامت أمه سومية بدفعه لايجاد مجلس شيخات من النساء على شاكلة مجلس الشيوخ التقليدي، وطلبت أن يكون لها رئاسته، وأن تكون مهمة المجلس الجديد البحث في أمور الموضة والمراسم والاستقبال والبروتوكول...

لقد أدركت (ميزا) مايحيق بالسلالة السورية من أخطار جراء أفكار الأمبراطور الشاب، فراحت تعمل على احلال ابن خالته (الكسيانوس) وجهدت حتى توصلت إلى اقناع (ايلا غابال) بأن يتبناه ويسميه قيصراً. وقد تولى (الكسيانوس) بعد مقتله ومقتل أمه (جوليا سوميه)، واتخذ اسم (الاسكندر سيفير)، وقد اتسع نفوذ جدته جوليا ميزا وأمه جوليا مامه في زمن حكمه، التي لقبت بـ «أم الجنس البشري كله».

إلا أنّ الاسكندر سيفير خالف الخطة التي سارت عليها السلالة السورية في تصريف شؤون الحكم بالتقرب من الجيش ومنح أفراده المكافآت، حيث أعاد إلى مجلس الشيوخ هيبته ومكانته اللتين كانتا له في السنوات الماضية، وأنقص

---

١٠ ـ آثار سورية القديمة، هورست كلنكل / ص ١٠٤ /. وتدمر والتدمريون د. عدنان البني، / ص ٧٦ /.

http://al-maktabeh.com

أعطيات الجنود، فبرم الجيش به وقتل مساعده (اولبيان الصوري) على مرأى منه. وكان اولبيان هذا مع (بابنيان) الحمصي من أكبر المشرعين الذين أخرجتهم روما في كل الأزمنة، وقد أقام الرومان لهما تمثالين اعترافاً بفضلهما.

وكان الاسكندر سيفير ووالدته (أم الجنس البشري كله) يحبّان السلم، وكانت ((مامه)) تدعو إلى الحب ونبذ البغض، وقد اتصلت ببعض كبار المسيحيين، ويقال أنها استمعت أو التقت بـ ((أوريجين)) المشهور، عندما كانت في انطاكية . .

لقد دام حكم الاسكندر سيفير مدة / ١٣ / سنة حيث اغتاله ووالدته، أحد قواده تحت خيمته بالقرب من نهر الراين سنة / ٢٣٥ / ميلادية، عندما كان يقوم بحرب القبائل الجرمانية المتمردة، وبذلك زال حكم الأسرة السورية عن روما، وكان للمرأة الدور الكبير في ذلك.

زنوبيا امبراطورة تدمر:

تحدثت كتب التاريخ كثيراً عن (أذينة) التدمري ومسيرته السياسية التي كانت وراء ازدهار تدمر وتوسع نفوذها السياسي والعسكري، في عصر الملوك التدامرة الذي استمر حوالي ٢٣٥ و ٢٧٣ بعد الميلاد.

فقد استطاع أذينة، الذي بدأ مسيرته السياسية عضواً في مجلس الشيوخ ثم ارتفع إلى مرتبة قنصل، أن يحقق انتصاراً عسكرياً باهراً على جيوش الساسانيين التي توغلت في بلاد الشام، وبذلك انتزع أذينة من القيصر الروماني جالينوس لقب ((مصلح الشرق بكامله)). ثم تعززت مكانته أكثر في نفس القيصر عندما قضى على جيش أحد المنافسين للقيصر على نهر العاصي، وقد أدرك (أذينة) سمو مكانته إذ كان يحيط نفسه بمظاهر الأباطرة، حتى أطلق على نفسه لقب «لقب الملوك».

وفي عام / ٢٦٠ / ميلادية منح أذينة لابنه هيروديان لقب ملك الملوك أيضاً، وبهذا أصبح له ولي عهد يحفظ مستقبل السلالة التدمرية التي يجمع علماء التاريخ أن عام / ٢٦٠ / م هو عام تأسيس هذه الامبراطورية الوليدة، خاصة بعد أن دحر

الساسانيين أكثر من مرة، وفي إحدى المرات طاردهم حتى عقر دارهم واحتل عاصمتهم (طيسفون) التي تقع آثارها في المدائن قرب بغداد.[11]

في ظروف ماتزال غامضة اغتيل الملك أذينة في حمص سنة / ٢٦٧ / ميلادية، وقتل معه وريثه، ولده الأكبر (هيروديان)(*) فاعتلى العرش أخوه الأصغر وهب اللات، وورث بذلك لقب أبيه ملك الملوك. لكن وهب اللات كان صغير السن، فأخذت أمه زنوبيا تدير عنه دفة الحكم وتسير أمور البلاد، وفي ظل هذه الملكة العظيمة، وصلت تدمر إلى أوج عزها ومجدها الخالد.

لم يكن دور زنوبيا في حياة زوجها واضحاً، إلا أننا نتبين من سياق الأحداث التي تلت موت أذينة، أنها كانت راجحة العقل، شديدة الطموح، واعية للوضع السياسي في روما والشرق... إنها امرأة فذّة مثقفة، وقد أثنى عليها المؤرخون، ومنهم (بوليو البيروتي) الذي وصفها وصفاً جميلاً، وأشار إلى مقدرتها وقابليتها، وذكر أنها كانت تتكلم اليونانية وتحسن اللاتينية، وتتقن اللغة المصرية وتتحدث بها بكل طلاقة، وتهتم بشؤون المملكة، وتقطع المسافات الطويلة سيراً على الأقدام في طليعة رجال جيشها.[12]

وقد بلغتنا روايات تفيد أن زنوبيا ادعت أنها من مصر، من سلالات الملوك، وأنها من صلب الملكة الشهيرة كليو باترة. وأنها ألفت كتاباً كتبته بخط يدها اختصرت فيه ما قرأته من تواريخ الأمم الشرقية لاسيما تاريخ مصر. وأنها استقدمت مشاهير رجال الفكر إلى عاصمتها مثل الفيلسوف الشهير (كاسيوس ديونيسيوس لونجينوس) - ٢٢٠ - ٢٧٣ م وقد استقدمته الملكة إلى عاصمتها واستضافته عندها وجعلته مستشاراً لها، فأخلص لها في مشورته، فكان ذلك سبباً في قتله. فقتله القيصر (أورليان) لاتهامه أنه كان يحرض الملكة على الرومان.

---

١١ - يرى الدكتور عدنان البني أن مقتل أذينة وولده يمكن أن يكون في عام ٢٦٧ أو ٢٦٨م، وقد يكون لقي حتفه معهما ابن آخر هو حيران، على يد (معنى) ابن أخيه، الذي قيل أنه أراد استرجاع ملك أبيه، وعلى كل حال فإن الكثيرين كانت لهم مصلحة في قتل أذينة، منهم الحزب الممالئ للساسانيين في تدمر، ومنهم الرومان أنفسهم، وهناك من يتهم بذلك زوجته الثانية أو الثالثة، زينب (زنوبيا). فالأبن الذي قتل مع أبيه أذينة (أو الابنان) من زوجة سابقة، وزنوبيا تريد العرش لصغيرها وهب اللات.

١٢ - المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام - د. جواد علي - الجزء الثالث ص / ١٠٧ /.

http://al-maktabeh.com

كذلك استقدمت الكاتب المؤرخ (كليكراتس الصوري) و (لويوكوس) البيروتي اللغوي الفيلسوف و(بوسانياس) الدمشقي المؤرخ و (نيوكوماخس) من زمرة الكتاب المؤرخين المتضلعين بالاغريقية، ومن الفلاسفة، وقد تولى الكتابة باللغة الاغريقية، وصار من مستشاريها كذلك، ولذلك أمر به القيصر (أورليان) فقتل بعد محاكمته بمدينة حمص. في الوقت الذي حوكمت فيه الملكة والفيلسوف (لونجينوس) الذي قطع رأسه بعد أن مثل به وفي حشد هذا النزع من الرجال، دلالة على ميول زنوبيا الفلسفية، وثقافتها العالية.[١٣]

ويصفها مؤرخو الرومان بأنها كانت سمراء لوحتها الشمس، سوداء العينين، يشع منهما بريق رائع، أسنانها كاللآلىء، وتتكلم بصوت رنان قوي وتخطب بجنودها معتمرة الخوذة، وكانت تركب العربة الحربية، وقلما تعتلي السرير المحمول ولكنها كانت تمتطي الجواد في غالب الأحيان، وذكر أنها كثيراً ماكانت تمشي على قدميها ثلاثة أو أربعة أميال مع الجنود، كما كانت تحتمل الشمس والغبار وتصطاد مع أذينة في الأحراش والجبال، أنها أنبل نساء الشرق وأكثرهن جمالاً.

ويتحدث مؤرخو الرومان أيضاً عن زوعة بلاطها وسخاء ولائمها وتقديمها الطعام لهم في آنية كانت تخص الملكة المصرية كليوباترة، وكانت ترتدي ثياباً ملكية مزينة بالأرجوان ومنزلة بالحجارة الكريمة، كما كانت مضرب مثل في العفة لاتشرب الخمر إلا نادراً، فإذا شربت مع قوادها كانت تتفوق، وطيلة حكمها لم تظهر أية منازعة لدى العرب أو الأرمن أو غيرهم..

لقد اتبعت زنوبيا بعد مقتل زوجها سياسة عربية، سياسة تعتمد على التقرب من الأعراب والتودد إليهم والاعتماد عليهم في القتال والحروب، وذلك بعد أن رأت أن الرومان هم أعداء تدمر، وأنهم لايفكرون إلا في مصالح الرومان الخاصة، وبهذه السياسة تقربت أيضاً إلى العناصر العربية المستوطنة في المدن، وأخذت تعمل على تكوين دولة عربية قوية واحدة بزعامتها، وخاصة بعد أن أدركت أن الأعراب قوة لايستهان بها، وأنهم لو نظموا واستغلوا استغلالاً جيداً، صاروا قوة يحسب لها كل حساب، فأخذت تعمل لتكوين هذه القوة.

ووجهت زنوبيا أنظارها إلى مصر، فاحتل (زبدا) قائد الجيش التدمري مصر بقوات من تدمر وبلاد الشام عامة.

---

١٣ ـ المصدر السابق ص/ ١٠٨ /.

واتخـذت زنـوبيا لنفسها لقب «اوغست» الذي كان وقفاً على الامبراطور الـروماني وفي عام / ٢٧١ / ميلادي، سكت نقوداً، ظهر عليها صورة (وهب اللات) متوجاً بالأكليل ذي الأشعة، وهو رمز الأباطرة، كما سكت أيضاً، نقوداً باسم زنوبيا.

وفي ضوء هذه الأخطار سارع قيصر روما «اورليان» بجيش جرار، توغل في البدء في بلاد الأناضول ثم في بلاد الشام، فانتصر على (زبدا) في انطاكية ثم في حمص، وضرب الحصار على تدمر التي كانت تنتظر النجدة الموعودة من الساسانيين ومن قبائل الأعراب ورفضت زنوبيا الاستسلام، وبحثت عن الخلاص بالوصول إلى نهر الفـرات متخفية على ظهر أحد الجمال، حيث يمكنها الاتصال شخصياً بملوك ساسـان وتدبير النجدة اللازمة لابعاد اورليان عن أسوار تدمر. . . لكن خيالـة الـرومـان استـدركـوهـا عنـد نهر الفـرات واقتـادوهـا مكبلة بالقيود إلى (اورليان). . . عند ذلك فتحت أبواب تدمر أمام القيصر ودخل المدينة في خريف عام / ٢٧٢ / ميلادي، وصادر أموالها وأفرغ خزائنها. . .

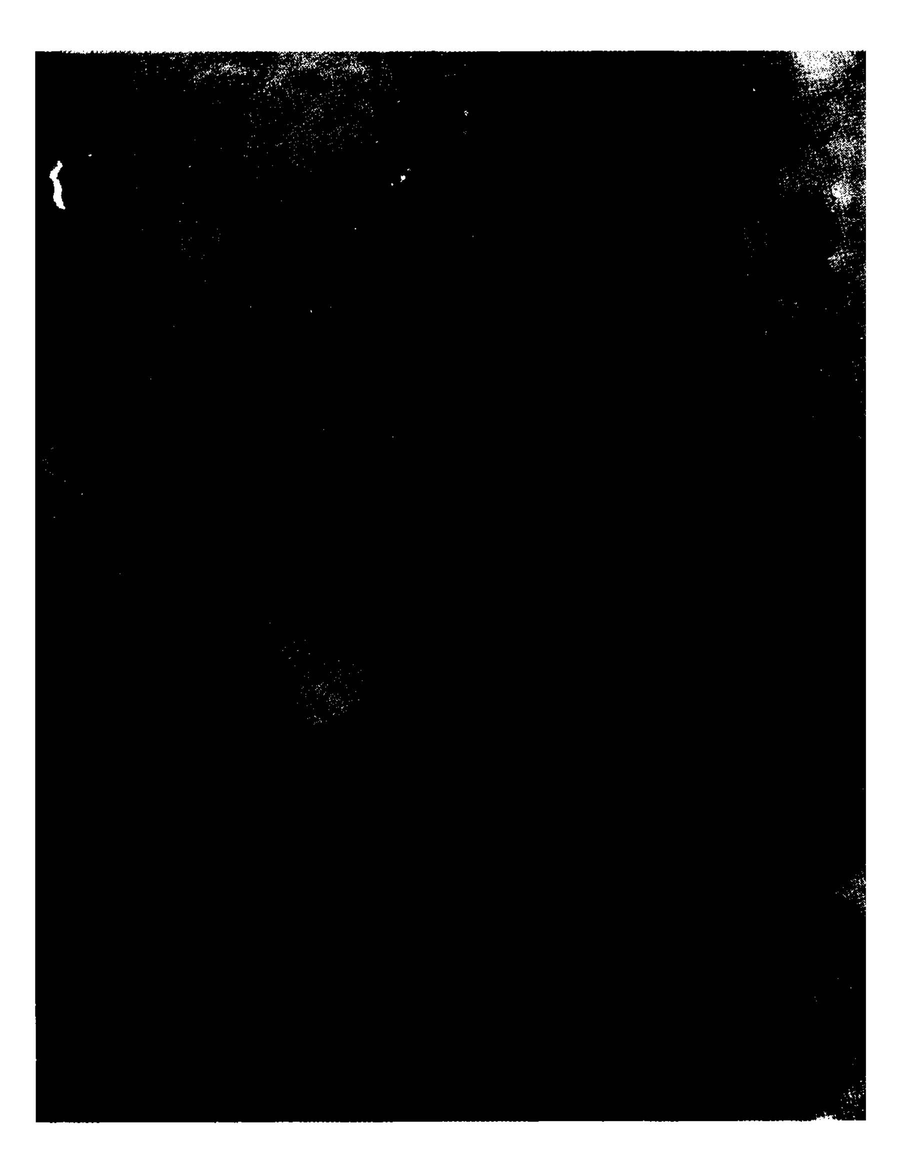
تتضارب الروايات حول مصير زنوبيا، فمن الباحثين من يقول أن أورليان أخذها وأبناؤها وعدد من الأسرى معه إلى روما، لالحاقهم بموكب النصر الذي سيقيمه عند دخوله العاصمة ليتفرج الناس عليهم. . . ومنهم من قال: أن زنوبيا ماتت في طريقهـا إلى روما مرضاً أو امتناعاً عن الطعام. ومنن قائل أنها وصلت إلى روما، وعاشت فيها مدة من الزمن، حيث تزوجت أحد أعضاء مجلس الشيوخ، وقضت أيامها ببلدة تيبور على بعد عشرين كيلو متراً من روما قرب قصر هادريان، وكان هناك بعض أحفادها في القرن الرابع الميلادي.[١٤]

وهكذا انتهت سيرة امرأة عربية من بلاد الشام كادت تصبح ملكة العالم، وانطوت بذلك صفحة خالدة من صفحات العرب المشرقة في التاريخ القديم. . لقـد صنعت زنوبيا بقيادتها الحكيمة لمملكتها، نموذجاً فريداً بقيادة الشعوب، لذلك ليس غريباً، أن تصبح تدمر كلها ملخصة بزنوبيا، وتصبح سيرة هذه المرأة على قصرها هي كل تاريخ تدمر.

---

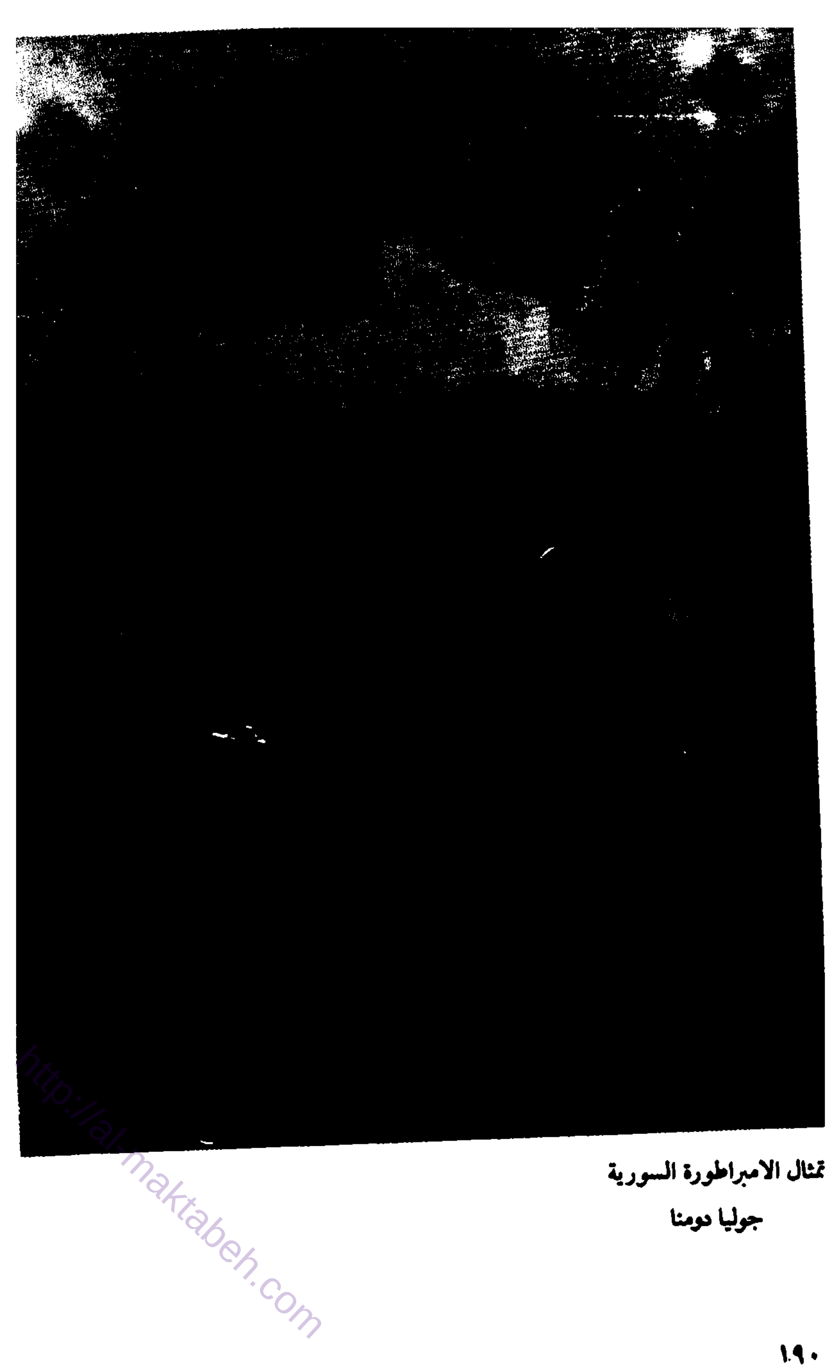
١٤ ـ للمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع يمكن الرجوع إلى كتاب المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، للدكتور ـ جواد علي ـ الجزء الثالث ص/ ١٢٠ / ومابعدها. . .

http://al-maktabeh.com
مكتبة المهتدين
al-maktabeh



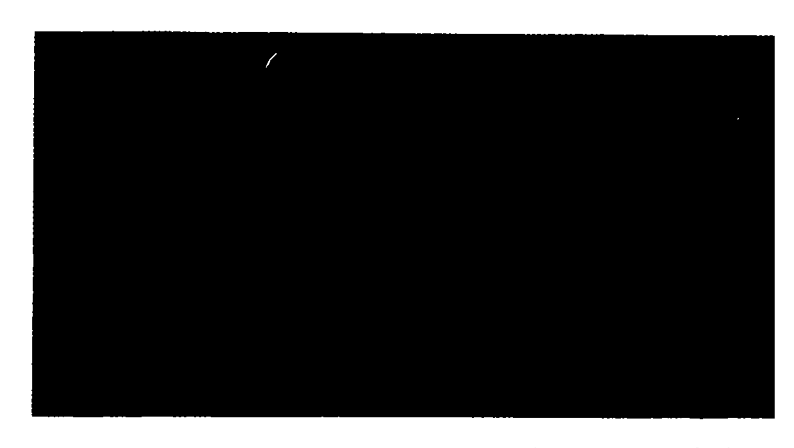
الامبراطورة السورية، الحمصية المولد

جوليا دومنا

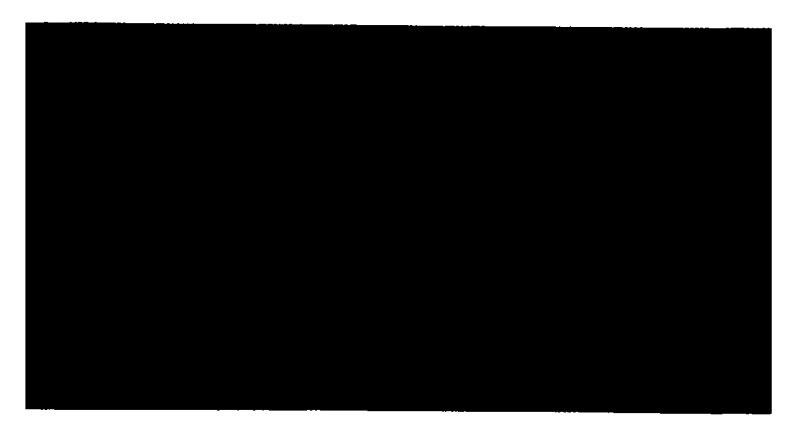


تمثال الامبراطورة السورية
جوليا دومنا

http://al-maktabeh.com



بيت لعائلة حمصية قرب روما.



حمامات الامبراطور كراكالا، قرب روما



تمثال الامبراطور الاسكندر سيفير ابن جوليا ماميا
حكم من ٢٢٢ إلى ٢٣٥ ميلادية

http://al-maktabeh.com



قطعة نقدية، عليها نقش زنوبيا ملكة تدمر



زنبيا



وهب اللات

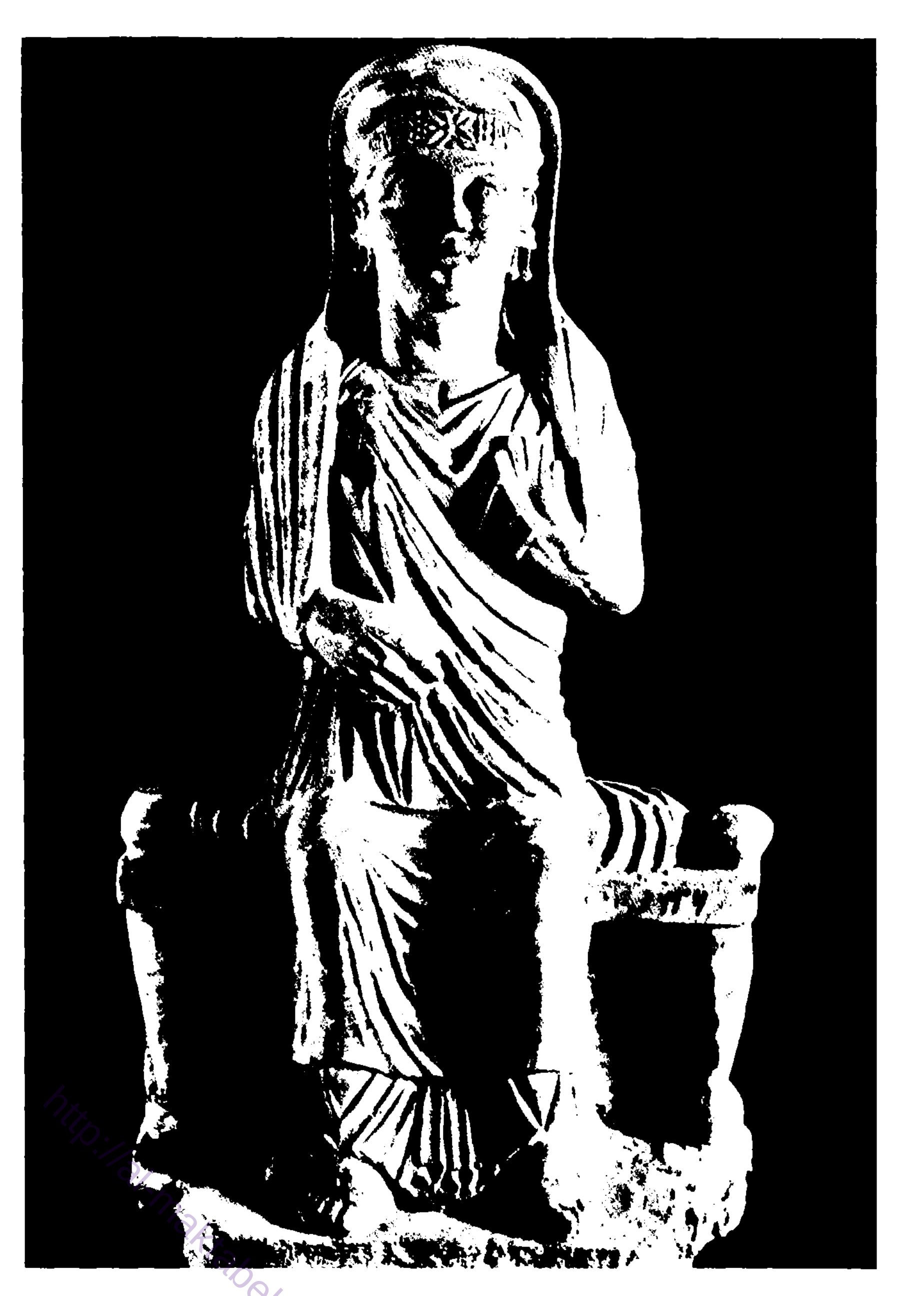


أورليان

http://al-maktabeh.com



تمثال امرأة تدمرية بزيها وزينتها الغنية (أوائل القرن الثاني الميلادي)



امرأة تدمرية جالسة (أوائل القرن الثاني الميلادي).

http://arabicivilization2.blogspot.com



المرأة إلى جانب الرجل في تدمر



شموخ المرأة التدمرية وجمالها وسحرها الأخاذ

https://al-maktabeh.com

المصادر العربية

١ ـ د. سلطان محيسن، عصور ماقبل التاريخ، دار المستقبل للطباعة دمشق ـ عام ١٩٨٦.

٢ ـ مجلة فكر، العددان الستون والواحد والستون ـ آب ـ إيلول ـ تشرين أول ١٩٨٤.

٣ ـ هاري ل ـ شابيرو، الانسان والحضارة والمجتمع، ترجمة عبد الكريم محفوض اصدار وزارة الثقافة والارشاد القومي بدمشق عام ١٩٧٨.

٤ ـ الوحدة الحضارية في بلاد الشام بين الألفين التاسع والثامن قبل الميلاد، تأليف الدكتور جاك كوفان، تعريب الاستاذ قاسم طوير، طباعة دار المجد بدمشق عام ١٩٨٤.

٥ ـ د. سلطان محيسن، الانتروبولوجيا وماقبل التاريخ، دراسة غير منشورة.

٦ ـ ول ديو رانت، قصة الحضارة، الجزء ان الأول والثاني، نشأة الحضارة ـ الشرق الأدنى. ترجمة االدكتور زكي نجيب محمود ومحمد بدران ـ القاهرة ١٩٤٩.

٧ ـ علي القيّم، اضـاءات من الذاكرة القديمة، اصدار وزارة الثقافة والارشاد القومي دمشق ١٩٨٦.

٨ ـ صموئيل هنري هووك ـ منعطف المخيلة البشرية ـ بحث في الأساطير ترجمة: صبحي حديدي ـ اصدار دار الحوار ١٩٨٣.

٩ ـ الآثار السورية، مجموعة أبحاث أثرية وتاريخية، صدرت بمناسبة معرض كنوز الآثار السورية، اصدار مؤسسة البريد الدولي للصحافة والنشر ـ دار (فور فرتس) للطباعة ـ فيينا.

١٠ ـ آثـار الفرات، دليل معرض مكتشفات الحملة الدولية لانقاذ آثار الفرات، الذي أعدته المديرية العامة للآثار والمتاحف بمناسبة انتهاء أعمال الحملة الدولية لانقاذ آثار الفرات المعرضة للغمر ـ عام ١٩٧٤.

١١ ـ المرأة والألوهية ـ دراسة في حضارات الشرق القديم، محمد وحيد خياطة اصدار دار الحوار ـ اللاذقية ـ ١٩٨٤ .
١٢ ـ فراس السواح، لغز عشتار، الألوهية المؤنثة وأصل الدين والاسطورة ـ سومر للدراسات والنشر والتوزيع ـ قبرص ـ نيقوسيا ـ الطبعة الأولى ـ ١٩٨٥ .
١٣ ـ د. ايفاشترومنغر «حبوبة كبيرة»، مدينة عمرها خمسة آلاف عام ـ تعريب محمد ماجد الموصلي ـ مراجعة: عدنان البني ـ منشورات المديرية العامة للآثار والمتاحف دمشق ١٩٨٤ .
١٤ ـ د. توفيق سليمان ـ دراسات في حضارات غرب آسيا القديمة، من أقدم العصور إلى عام ١١٩٠ ق.م، الجزء الأول ـ دار دمشق للطباعة والنشر ـ الطبعة الأولى عام ١٩٨٥ .
١٥ ـ كافين رايلي، الغرب والعالم، القسم الأول، سلسلة عالم المعرفة الكويتية رقم / ٩٠ / ترجمة: د. عبد الوهاب محمد المسيري ود. هدى عبد السميع حجازي. مراجعة د. فؤاد زكريا.
١٦ ـ د. ثروت عكاشة، الفن العراقي القديم ـ سومر وبابل وآشور، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بلا تاريخ.
١٧ ـ صموئيل كريمر ـ طقوس الجنس المقدس عند السومريين، ترجمة: نهاد خياطة ـ سومر للدراسات والنشر والتوزيع ـ نيقوسيا ، قبرص، الطبعة السورية ١٩٨٦ .
١٨ ـ سومر ـ مجلة علمية تبحث في آثار الوطن العربي وتاريخه، اصدار وزارة الثقافة والاعلام المؤسسة العامة للآثار والتراث ـ بغداد.
١٩ ـ المتحف الوطني بدمشق، دليل مختصر، وضعه ـ محمد أبو الفرج العش ـ عدنان الجندي ـ بشير زهدي ـ اصدار المديرية العامة للآثار والمتاحف ـ دمشق ـ ١٩٦٨ .
٢٠ ـ د. أحمد داوود، تاريخ سورية القديم، تصحيح وتحرير ـ دار المستقبل ـ دمشق ١٩٨٦ .
٢١ ـ أسد أشقر، الخطوط الكبرى في تاريخ سورية ونشوء العالم العربي ـ الجزء الأول ـ القسم الأول ـ طبعة ثانية ـ منشورات مجلة فكر ـ بيروت ١٩٨١ .
٢٢ ـ د. بدر الدين السباعي ـ مشكلة المرأة ـ العامل التاريخي ـ اصدار دار الجماهير الشعبية ـ دمشق ١٩٨٥ .

http://al-maktabeh.com

٢٣ ـ د. هورست كلينسكل ـ آثار سورية القديمة، آثار ماقبل الاسلام في الجمهورية العربية السورية، ترجمة قاسم طوير، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق ١٩٨٥.
٢٤ ـ اندريه بارو ـ مازي، ترجمة د. رباح نفاخ ـ منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي دمشق ١٩٧٩.
٢٥ ـ الشيخ نسيب وهيبة الخازن ـ من الساميين إلى العرب ـ منشورات دار مكتبة الحياة بيروت، بدون تاريخ.
٢٦ ـ انيس فريحة، ملاحم وأساطير من أوغاريت ـ رأس الشمرة، دار النهار للنشر ـ بيروت ١٩٨٠.
٢٧ ـ انيس فريحة، دراسات في التاريخ، دار النهار للنشر بيروت ١٩٨٠.
٢٨ ـ مجلة عالم الفكر الكويتية، المجلد السادس عشر ـ العدد الثالث ـ لعام ١٩٨٥ ـ.
٢٩ ـ هنري فرانكفورت وآخرون، ماقبل الفلسفة، الانسان في مغامرته الفكرية الأولى، ترجمة: جبرا ابراهيم جبرا، اصدار المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ـ الطبعة الثانية ١٩٨٢.
٣٠ ـ قاسم الشواف، مع الكلمة الصافية، دار الأجيال دمشق ١٩٦٩.
٣١ ـ د. ايفلين كلينكل ـ براندت «رحلة إلى بابل القديمة، ترجمةد. زهدي الداوودي اصدار دار الجليل، الطبعة الأولى، دمشق ١٩٨٤.
٣٢ ـ قاسم طوير وآخرون ـ ايبلا ـ الصخرة البيضاء مطبعة سورية دمشق ١٩٨٤.

٣٣ ـ قاسم طوير ـ ايبلا ـ منشورات المديرية العامة للآثار والمتاحف دمشق ١٩٨٢.
٣٤ ـ الأختام الاسطوانية في سورية ـ بين ٣٣٠٠ و ٣٣٠ ق.م.
٣٥ ـ د. عمر الدقاق ـ ايبلا ـ منعطف التاريخ ـ منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي دمشق ١٩٧٩.
٣٦ ـ د. عفيف بهنسي ـ وثائق ايبلا ـ دمشق ١٩٨٤.
٣٧ ـ باولو ماتييه وغابرييلا ماتييه سكاندوني وفرانسيس بينوك، (مملكة ايبلا وعلاقاتها الدولية في الألف الثالث قبل الميلاد) جامعة روما ـ ١٩٨٣.

٣٨ ـ باولـو ماتييه ـ تل مرديخ ـ ايبلا ـ أقدم عامرة في سورية، تعريب ـ قاسم طوير ـ جامعة روما، ١٩٧٨ .
٣٩ ـ د. أحمـد سوسـة ـ العرب واليهود في التاريخ ـ الطبعة السادسة، العربي للطباعة والنشر والتوزيع ـ دمشق ١٩٨٦ .
٤٠ ـ مجلة المرأة العربية ـ العدد ٢٨٦ تاريخ ٥ / ٨ / ١٩٨٦، دراسة لعلي القيّم بعنوان «صورة المرأة السورية القديمة» من خلال مكتشفات مملكة ماري الأثرية .
٤١ ـ ايفـا شترومنغـر «مـاري، أكبر حاضرة في سورية»، ترجمة قاسم طوير ـ منشورات المديرية العامة للآثار والمتاحف ـ دمشق ١٩٨٣ .
٣٢ ـ ملف الأبحاث المقدمة إلى الندوة الدولية لتاريخ وآثار دير الزور، (٢ ـ ٦ تشرين الأول عام ١٩٨٣ .
٤٣ ـ د. وديع بشـور «أساطير آرام» منشورات مؤسسة فكر للأبحاث والنشر ـ بيروت ـ ١٩٨١ .
٤٤ ـ جبرائيل سعادة ـ أوغاريت «رأس الشمرة» الطبعة الأولى دمشق ١٩٥٤ .
٤٥ ـ مفيد عرنوق «اللآلىء من النصوص الكنعانية «منشورات مجلة فكر بيروت ـ ١٩٨٠ .

٤٦ ـ البعثـة الأثـرية الفـرنسية، المنقبة في رأس الشمرة، ترجمة فهمي الدالاتي منشورات المديرية العامة للآثار والمتاحف ـ دمشق ١٩٨٠ .
٤٧ ـ ثلما ستيان عقـراوي، المـرأة ودورها ومكانتها في حضارة وادي الرافدين، منشورات وزارة الثقافة والفنون ـ بغداد، ١٩٧٨ .
٤٨ ـ د. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، الجزء الثالث، دار العلم للملايين ـ بيروت، مكتبة النهضة، بغداد، الطبعة الثالثة، ١٩٨٠ .
٤٩ ـ د. عدنـان البني، تدمـر والتـدمـريون، وزارة الثقافة والارشاد القومي ـ دمشق، الطبعة الأولى ١٩٧٨ .
٥٠ ـ د. عدنان البني، خالد الأسعد، تدمر أثرياً، تاريخياً، سياحياً، دمشق، بدون تاريخ .
٥١ ـ دراسـات في تاريخ وآثـار فلسـطين، وقـائـع الندوة العالمية الأولى للآثار الفلسطينية، المجلد الثاني، منشورات مركز الآثار الفلسطيني، جامعة حلب ١٩٨٧ .

http://al-maktabeh.com

٥٢ ـ مجلة الحـوليات الأثـرية السـورية، المجلدان الحـادي عشر والثاني عشر، ١٩٦١ ـ ١٩٦٢.
٥٣ ـ د. طه باقر، تاريخ الحضارات القديمة، الجزء الأول، بغداد، ١٩٧٣.
٥٤ ـ د. فاضل عبد الواحد علي، عشتار ومأساة تموز، بغداد ١٩٧٣، سلسلة الكتب الحديثة / ٦٢ /.
٥٥ ـ حولية دائرة الآثار العامة الأردنية ـ عمان.
٥٦ ـ هنري فرانكفورت: فجر الحضارة في الشرق الأدنى القديم ترجمة: ميخائيل خوري ـ بيروت ـ ١٩٦٠.
٥٧ ـ د. هشام الصفدي: علم الآثار الشرقية، منشورات جامعة دمشق ـ ١٩٨٢.
٥٨ ـ تشارلز داروين، أصل الأنواع، ترجمة: اسماعيل مظهر، بيروت، بغداد، ١٩٧١.
٥٩ ـ تاريخ الحضارات العام، مترجم عن الفرنسية، ترجمة يوسف أسعد داغر وفريد داغر ـ بيروت، ١٩٦٨.

المصادر الأجنبية

1 - Kramer, Mythologies of The Aneient World, 1961.

2 - Jacobsen, Betore philosophy. (1954).

3 - Meek, T. The neo - Babylonian Laws. 1969

4 - PARROT, A. Sumer, London,1960.

5 - Saggs, H,W.F. The Greatness That Was Babylon.

6 - CAH. Early History of the Middle East, Vol. 1 part 2.

7 - Frazer, James, The Golden Bough, Newyork. 1971.

8 - Neuman, Erich. The Great Mother, Newyork, 1974.

9 - Elaine Morgan, The Descent of Women.

10 - Riencourt, Sex and power in History.

11 - Robert Briftautk, The Mothers, 1927.

12 - Louise Lampher, Woman Gulture and society.

13 - Betty Friedman, The Feminie Mytigue.

14- engels, the origin of the Family (1884)

15. EBLA to Damascus, ART and Archaeology of Angient Syria. 1985.

16. Kenyon. K.M. Archaeology in the Holy land. London, 1970.

http://al-maktabeh.com

الفهرس

http://al-maktabeh.com